الجمهورية التركية

جامعة طقوز أيلول معهد العلوم الاجتماعية

تفسير سورة يس

لمحمد أمين بن صدر الدين زاده الشرواني المتوفى سنة ١٠٣٦هـ/١٦٢٧م

دراسة وتحقيق

(القسم العربي للرسالة)

إعداد

مصطفى طاغ دلن

الإشراف على الرسالة

الأستاذ الدكتور مصطفى أوزل

إزمير ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م

DÖRDÜNCÜ BÖLÜM
MUHAMMED ŞİRVÂNÎ'NİN "TEFSÎRU SÛRETİ YÂSÎN" ADLI ESERİNİN TAHKİKLİ METNİ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ إنّ الله يبعث الموتى ويحي العظام وهي رميم. وإنّ سيدنا محمدا لمن المرسلين. ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]. ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[2]. فسبحان من بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل ميّت وحيّ. نحمده على ما خلق الأزواج، ورفع سماءً ذات أبراج، ومهّد أرضاً ذات أمراجٍ، وعهد إلينا أنْ لا تعبدوا الشيطان، إنّه لكم عدوّ مبين. فسبحان الله نعم المولى ونعم المعين.

ونصلّي على أفضل من لا يسألنا أجرا وهم مهتدون، وعلى أصحابه الذين هم بآثاره مقتدون ما سار القمر في منازله ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[3] ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4].

فيقول أحوج العبيد إلى الفضل الرحماني، محمد أمين بن صدر الملّة والدّين الشرواني، خصّهما الله باللطف الرّبّاني، لما كان العلم أفضل ما يتنافس فيه المتنافسون، كما قال عزّ

---

1 سورة يس ٣٦/٤.
2 سورة يس ٣٦/٥.
3 سورة يس ٣٦/٣٨.
4 سورة يس ٣٦/٤٠.

من قائل: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[5] شمرت عن ساق الجدّ لتحصيله باحثا عن إجماله وتفصيله مدة آخذاً من أفواه فحول العلماء في الآفاق وبُرْهَة متصفّحاً في الزّبر والأوراق حتى وفّقت في أكثر الفنون بتحقيقات لم يسمعها الآذان وتدقيقات لم يسمح بمثلها الخواطر والأذهان، فسودت الكراريس وزيّنت وجوه القراطيس واشتغلت سنين بنشر المعارف، وإفادة اللَطائف، ومدّ باع الجدال وبسط كفّ القيل والقال، وتحرير الحواشي، وإزالة الحجب عن وجوه المطالب والغواشي. فإذا فتحت الحوادث أبوابها وأطالت النوائب أنيابها فتلاطم أمواج الفتن في البلاد، فيا حسرةً على العباد، فلزمني مفارقة الأبناء والإخوان ومهاجرة الأطلال والأوطان والتزام الأسفار وركوب فقار القفار حتى رماني الدهر، وأطرحني بالجبر والقهر إلى بلاد ديار بكر [٢/أ] فإذا رأيت قد اندرست مدارس العلوم فيها وانطمست معالم التعليم وذبلت أشجارها ويبست حتى عاد كالعرجون القديم، فأقمت بتلك الأنحاء والعين تنسجم وشرعت في الإملاء والمطالعة، والقلب يضطرب ويضطرم فوجدت هناك قوما لا يهتدون إلى منازل العلم سبيلا، ولا يجدون إلى جداوله مرشدا ودليلا.[6]

---

[5] سورة الزمر ٣٩ / ٨

[6] و- فلما آنسوا منا نارا من بوادي الفنون، توجهوا نحونا ليقتبسوا منا فلعلهم يصطلون. فأريناهم من آياتنا الكبرى فظلّت أعناقهم لها خاضعين. فقالوا ما سمعنا بهاذا وإن كنا من قبله لمن الغافلين. فاعف عنا وأعرض عن الجاهلين.

فلما آنسوا منا نارا بوادي الفنون توجهوا نحونا ليقتبسوا منا فلعلهم يصطلون.

فأريناهم ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾[7] ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[8] فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾[9] ﴿وَإِنْ كُنْتَ[10] مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[11] فاعف عنّا ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.[12]

ثمّ التمسوا[13] منّي أن أقلب قلبي نحو قلب القرآن، وأحرّر لهم في تفسيره ما لم يتزيّن بمثله الآذان. فشرعت فيه في أثناء علائق شتّى، وعوائق فوضى، من غير مراجعة إلى المطوّلات، وإجالة قداح النظر في المبسوطات، لتلاطم أمواج العلائق، وتراكم أفواج العوائق، ومقاساة أنواع النصب والمحن والانسلاخ عن الأدوات والكتب والوطن، فجآء بحمد الله سبحانه معدنا للجواهر الغالية، ومجمعا لنفائس اللآلي المتلالية ومشتملا على رموز لم يهتد

---

[7] سورة طه ٢٣/٢٠.

[8] سورة الشعراء ٤/٢٦.

[9] سورة المؤمنين ٢٤/٢٣؛ سورة القصص ٢٨/ ٣٦؛ سورة ص ٧/٣٨.

[10] في المتن: كنا.

[11] سورة يوسف ٣/١٢.

[12] سورة الأعراف ١٩٩/٧.

[13] و: فالتمسوا.

إليها ذهن نقّاد، ومنطويا[14] على نكات لم يفز بها طبع وقّاد. ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾،[15] وله الحمد في الآخرة والأولى.[16]

فالمرجو مِن الناظرين فيه[17] أنْ ينظروا بعين[18] الرضا والإغماض، لا بعين السخط والإغماز. فعين الرضا من كل عيب الكليلة. ولكنّ عين السخط تبدي المساويا. مع أنّي معترف بقصور باعي في الصناعات وقلّة ذات يدي في[19] هذه البضاعات[20].

---

[14] و: مطويّا.

[15] سورة النحل ١٦/٦٠: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾.

[16] ى + فلما تم تحريره، كمل تقريره، أردت أن أتحفه تحفة النمل إلى حضرة سليمان، وإهداء القطرة إلى بحر عمّان، إلى جناب المولى الأعظم والمفرد العلم، فاتح أقاليم الفتاوى بألوية العلم وأسنة القلم، علم العلماء الأعلام، مفتي ممالك الإسلام، رئيس الملّة الحنيفيّة ورإيسُها، وسراج الشريعة المحمدية ونبراسُها، جامع جوامع علوم الأواخر والأوائل، علامة العلماء البحر الذي لا ينتهي، ولكل بحر ساحل، وهو الذي أحيا مراسم العلم بعد ما أماتها الأولون، وأقام قوائم الفضل بعدما هدمها الأقدمون، فهو حجة الله على الخلق حجة نيّرة ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾، (سورة الأنفال ٨/٤٢). ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾، (سورة الصافات ٣٧/٦١). ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، (سورة المطففين ٨٣/٢٦)، وبعد ما طرزت العنوان، بألقاب ذاك العظيم الشأن، حملته هاتيك الحضرة، حمل التمرة إلى البصرة، فهتف هاتف من جانب رب الأرباب، وقال ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾، (سورة مريم ١٩/١٢)، وآتيناك الحكم وفصل الخطاب، فالمرجو من كرمه العميم، ولطفه الحميم.

[17] ى – فالمرجو مِن الناظرين فيه.

[18] ى: أنْ ينظر فيه بعين.

[19] ى + العلوم.

[20] ى + فلا حول ولا قوة إلاّ بالله. ولا نستعين إلاّ إياه ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾، (سورة القصص ٢٨/٧٠).

على أنّي حين ما حرّرته صبّت على مصائب، لو أنها صبت على الأيام صرن ليالبا. ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[٢١]، وأفوّض أمري إليه،[٢٢] إنّه رحيم بالأوّاه، ولا[٢٣] نستعين إلا[٢٤] إياه. فصبر جميل على ما حكم الله وهو حسبي ونعم الوكيل[٢٥].

سورة يس وتسمى "متممة" أيضا، لأنّها تتّم على قارئها خير الدارين، و"دافعةً" أيضا لأنّها تدفع عنه كل سوءٍ، و"قاضية" لأنّها تقضي له كل حاجة.

وقد ورد في فضل هذه السورة أخبار كثيرة: منها ما روي عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أنّ رسول الله عليه وسلم قال: «*لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس.*»[٢٦] [٢/ب]

قال حجة الإسلام[٢٧]: "إنّما كان قلب القرآن، لِأَنَّ الْإِيمانَ صِحَّتُهُ بِالإعْتِرَافِ بِالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ."[٢٨] وهذا المعنى مقرر فيه بأبلغ وجه.

---

[٢١] سورة يوسف ١٢/٨٦.

[٢٢] سورة المؤمن ٤٠/٤٤، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

[٢٣] و، ى: + لا. صوّبْنا.

[٢٤] و + وبالله.

[٢٥] و + ولا قوة إلاّ بالله؛ ى – على أنّي حين ما حرّرته صبّت على مصائب لوانها صبت على الأيام صرن لياليا. ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، وأفوّض أمري إليه، إنّه رحيم بالأوّاه، ولا نستعين إلا إياه. فصبر جميل على ما حكم الله وهو حسبي ونعم الوكيل.

[٢٦] أخرجه الدارمي في سننه، باب من فضل يس، ج: ٤، ص: ٢٢٩، رقم الحديث: ٣٤٥٩، بلفظ؛ «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يس، مَنْ قَرَأَهَا، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ».

[٢٧] يشير المؤلف إلى الْغَزَالِيّ، أَبُو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الإمام حجّة الإسلام أَبُو حَامِد الْغَزَالِيّ الطوسي الشَّافِعِي، (المتوفى ٥٠٥هـ). من مصنفاته، "الأجوبة المسكتة عَن الاسئلة المبهتة". من كتبه "إحياء عُلُوم الدّين"، "بداية الْهِدَايَة فِي الموعظة"، (هدية العارفين : ج: ٢، ص: ٧٩).

وقيل: "لما كان القلب لبّ الإنسان استعمل القلب في لبّ الأشياءِ."

فقيل: "قلب النخلة أي: لبّها."[٢٩].

فقوله: "قلب القرآن يس" أي: لبه لإحتواء هذه السورة مع قصر نظمها وصغر حجمها على الآيات الساطعة والبراهين القاطعة والعلوم المكنونة والمعاني الدقيقة والمواعيد الرعيّة والشواهيد البليغة والزواجر البالغة والإشارات الباهرة وغير ذالك. مما لو تدبره المؤمن العليم كان كالذي لم ينل مِن السيل إلاّ زبدا، ولم يسمع مِن البحر إلاّ خبر هذا. واعلم أنّ كلام الأنبياء، سيما كلام خاتم النبيين عليه أفضل الصلوات مشتمل على إشاراتٍ إلى حقائق ورموز إلى دقائق لا يفهمها إلاّ من كان عارفا بعلومٍ جمّة بعد ما صقل عقله عن كدورات الرسوم والعادات. وتطهّر عن دنس الجهالات.

ففي طيّ كل كلامه عليه السلام بحكم: «*أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ*»[٣٠] رموز ودقائق لا تسعها مجلدات، فمن رموز هذا الحديث ما نقول، فاستمع.

[٢٨] الرازي، التفسير الكبير، إن النبي صلى الله عليه وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس». وَقَالَ الْغَزَّالِيُّ فِيهِ: إِنَّ ذَلِكَ لِأَنَّ الْإِيمَانَ صِحَّتُهُ بِالِاعْتِرَافِ بِالْحَشْرِ، وَالْحَشْرُ مُقَرَّرٌ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بِأَبْلَغِ وَجْهٍ، فَجَعَلَهُ قَلْبَ الْقُرْآنِ لِذَلِكَ، ج: ٢٦، ص:٣١١.

[٢٩] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج: ١٥، ص: ٤٤٠.

[٣٠] أحمد بن محمد بن حنبل، لمسند، (المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، الرسالة، باب مسند أبو هريرة، ج: ١٢، ص: ٣٦٦، رقم الحديث: ٧٤٠٣.

وهو أنّ القلب جزء من أجزاء البدن يختص من بدن الأجزاء بكمال الإعتدال لينعكس بواسطة ذلك الإعتدال الّذِي هو ظل للوحدة الحقيقة من مشكوة. ذلك الجزء أشعة أنوار الوحدة إلى سائر الأجزاءِ، ويستعد للتحقق بسائر الكمالات الوجودية. فالقلب عبارة عن صورة تناسب المعنى على وجه أتم ومظهر يطابق الظاهر بوجه أكمل طبق النعل بالنعل، وإليه أشار هذا القائل:

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتِ الْخَمْرُ

فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ.

فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ

وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرٌ.[٣١]

إذا تمهد هذا، فالقرآن الّذِي هو عبارة عن جمعيّة الكلام الختّمى له أجزاء أيضا. ويختصّ من بينها السين بلسان الإشارة بالسّوية الإعتداليّة الّتي مطابقة الظاهر والباطن، وبها قامت السماوات والأرضون، وعليها ينبت السعادات الحكمية والكمالات العلمية التي تفاخرت بها الأوّلون والآخرون، كما لا يخفى لدى الواقف على أساليب العلوم الشرحية والحقائق الحرفية، فالسّين من تلك الأجزاء بمنزلة القلب. ثُمّ أن الجزء الآخر في يس وقع قلب

[٣١] الآلوسي، روح المعاني، ج: ٩، ص: ٣٦٣.

القلب، ففي الحديث الشريف [٣/أ] إشارة إلى القلب وقلب القلب تعرفه إنْ كنت من أهله.

ومنها؛ ما رُوي عنه عليه الصلوة والسلام: «*مَنْ قَرَأَ سُورَةَ يس كُتِبَ لَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ*»[٣٢]

ومنها؛ ما رُوي عن معقل بن يسار عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: «*اقْرَؤُوا* سورة يس *عَلَى مَوْتَاكُمْ*»[٣٣]

قال الإمام[٣٤] رحمه الله: "*وذلك لأنّ اللِّسَانُ ضَعِيف، وَالْأَعْضَاءُ سَاقِطَة، لَكِنَّ الْقَلْب قَدْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ* بكلّية، فيقرأ عليه *مَا يُزَادُ بِهِ قُوَّةُ قَلْبِهِ، وَيُشْتَدُّ تَصْدِيقُهُ بِالْأُصُولِ*"[٣٥].

ثُمّ اعلم[٣٦] أنّ الحروف المقطعة الواقعة في أوائل بعض السور الكريمة من متشابهات القرآن. فمنهم من تورّع، فقال: ﴿*مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ*﴾[٣٧] فالتكلّم فيه حرام. ويؤيده أنّه سُئِلَ الشَّعْبِيُّ عنها، فقال: "سِرُّ اللَّهِ، فَلَا تَطْلُبُوهُ"[٣٨]

---

[٣٢] أخرجه الدارمي في سننه، باب من فضل يس، ج: ٤، ص: ٢١٤٩، رقم الحديث: ٣٤٥، بلفظ؛ «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَإِنَّ قَلْبَ الْقُرْآنِ يس، مَنْ قَرَأَهَا، فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَشْرَ مَرَّاتٍ».

[٣٣] أبو داود، سنن أبي داود، باب القراءة عند الميت، ج : ٣، ص: ١٩١، رقم الحديث: ٣١٢.

[٣٤] يشير المؤلف إلى فخر الدين الرازي.

[٣٥] الرازي، التفسير الكبير، ج: ٢٦، ص: ٣١٢؛ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ نَدَبَ إِلَى تَلْقِينِ يس لِمَنْ دَنَا مِنْهُ الْمَوْتُ، وَقِرَاءَتِهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَكُونُ اللِّسَانُ ضَعِيفَ الْقُوَّةِ، وَالْأَعْضَاءُ الظَّاهِرَةُ سَاقِطَةَ الْبِنْيَةِ، لَكِنَّ الْقَلْبَ يَكُونُ قَدْ أَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ وَرَجَعَ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، فَيُقْرَأُ عِنْدَ رَأْسِهِ مَا يُزَادُ بِهِ قُوَّةُ قَلْبِهِ، وَيُشْتَدُّ تَصْدِيقُهُ بِالْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ...» أنظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج: ٤، ص: ١٤٤.

[٣٦] و – ثم اعلم.

وقد رُوِي عن خلفاء الراشدين، وغيرهم ما يقرب منه. قال في الينابيع: سُئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عنها فقال: "لو تكلّمت فيه لكنت متكلّفا. وقد أمر الله تعالى إلى النبي عليه الصلوة والسلام ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾".[٣٩] ونقل عن بعض العارفين أيضا أنّ النبي صلّى الله عليه وسلم نشآت يكلمه الله باعتبار كل نشأة بما يناسبه، فله عليه السلام نشأة بشرية، كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[٤٠] ويكلم الله تعالى باعتبار هذه النشأة بكلمات مركبة مثل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٤١] الآية، ونشأة ملكية، كما ينبغي عنه قوله عليه السلام: « إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي[٤٢] وَيَسْقِينِي»[٤٣] ويكلمه الله[٤٤] تعالى بإعتبار هذه النشأة بحروف مفردة مثل يس وطه وحم وغير ذلك، ونشأة لا هوتيّة كما قال عليه الصلوة والسلام: «مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى

[٣٧] آل عمران ٣/٧؛ في المتن: ﴿لا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾.

[٣٨] الرازي، التفسير الكبير، ج: ٢، ص: ٢٥٠.

[٣٩] سورة ص ٣٨/٨٦.

[٤٠] سورة الكهف ١٨/١١٠.

[٤١] سورة الإخلاص ١١٢/١.

[٤٢] و + فيطعمني.

[٤٣] أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، الرسالة، باب مسند أبو هريرة، ج: ١٢، ص: ٢٨٤، رقم الحديث: ٧٣٣٠، بلفظ؛ « إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»

[٤٤] و — الله.

الحَقّ.»[٤٥] وكلامه تعالى معه عليه السلام باعتبار هذه النشأة ليس من جنس الحرف والكلمات ولا يدركه العقول القاصرات. ويكلّ دونه الفهوم والإدراكات، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾[٤٦]

فمنهم[٤٧] من خاض في تأويله فقال إنّ معنى[٤٨] سرّ الله أنّه سرّ استأثر الله بعلمه بمعنى أنه لا يعلمه إلاّ الله، أو من ارتفع البينونة بينه وبين الله تعالى. وهم العلماء الراسخون المتقرّبون بقرب النوافل، فهم لا يعلمون إلاّ بعلم الله، بل بالله تعالى وهؤلاء افترقوا فرقا.

فقال بعضهم: المراد بها الحروف الملفوظة المسمّات بها [٣/ب] قصد تعديدها، أو تسمية بعض السور والقرآن، أو الله سبحانه بها يقسم، أو غير قسم، فالنكتة في افتتاح السور بطائفة مِن الحروف الّتي هي بسائط الكلام سواء كان على وجه التعديد والتسمية. أما التنبيه لمن تحدّى بالقرآن على أنّ المتلو عليهم كلام منظوم ممّا ينظمون منه كلامهم، فلو كان من عند البشر، غير نازل من خلاّق القوى والقدر، لما عجزوا عن الإتيان بما تدانيه. فضلا عمّا يساويه.

---

[٤٥] البخاري، الجامع الصحيح، باب من رأى النبي، ج: ٩، ص: ٣٣، رقم الحديث: ٦٩٩٧؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، باب قول النبي، ج: ٤، ص: ١١٧٦، رقم الحديث: ٢٢٦٧.

[٤٦] سورة النّجم ٥٣/١٠.

[٤٧] و، ى : ومنهم.

[٤٨] و، ى + كونه.

وأما ليكون أوّل ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع مِن الإعجاز، فإنّ النّطق بأنفس الحروف وإنْ كان على طرف الشمام، يتناوله الخواص والعوام مِن الأعراب والأعجام. لكنّ التّلفّظ بأسمائها إنما يتأتى ممّن درس وخطّ. فأما مِن الأمّي الّذِي لم يحم حوم ذلك قط. فأعزّ من بيض الأنوق، وأبعد من مناط العيوق، سيّما إذا كان على نمط عجيب، وأسلوب غريب، منبئ عن سرّ سرّى، مبني على نهج عبقريّ من إيراد نصف أسماء الحروف بحيث ينطوي على إنصاف أصناف مسمياتها تحقيقا أو تقريبا في تسعة وعشرين سورة على عدد الحروف مع نكات آخر، كما بينها صاحب الكشّاف[٤٩] وزاد عليه من يحذ وحذوه.

وقال بعضهم: هي إشارة إلى كلماتٍ هي منها اقتصر عليها، فإنّ الياء من "يس" إشارة إلى يوم الميثاق، والسين إلى السّرّ مع أهل الأشواق. وربّما يشير العارفون بالحروف الملفوظة باعتبار مخارجها إلى معان دقيقة لطيفة، كما قالوا إنّ السّين الّذِي مخرجه متوسّط بين الحلق والشّفة إشارة إلى السّوية الاعتدالية، وبالياء الّذِي أيضا مخرجه كذلك إلى مراتب القريبة منها. ثُمّ إنّ السين من بين الحروف السّويّة الاعتداليّة يختصّ بالتساوي بين زبره الّذِي هو مسمّاه وبين بيّناته التي هو فضل الاسم على المسمّى، أعني الياء والنون، فإنّ عدد مجموع الياء والنون هو بعينه عدد السين.

---

[٤٩] يشير المؤلف إلى الزَّمَخْشَرِيّ.

ولذلك قيل: المراد بـ"يس" هو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم. لأنّ الاعتدال الحقيقي والإستقامة إعتقادا وخلقا وعملا يختصّ به عليه السّلام، كما قال عزّ من قائل [٤/أ] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ ۚ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[٥١]

وقال الشيخ صدر الدين القونوي:[٥٢] "المراد بهذه الحروف روحانيتها حيث قال في شرح ما روي عَنْ رِفَاعَة بْنِ رَافِعٍ أنّه قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي مع رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكوع. قَالَ:«سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفًا؟»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعًا وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ.»[٥٣]

---

[٥٠] ى: السّبيل.

[٥١] سورة الأنعام ١٥٣/٦.

[٥٢] صدر الدّين القونوي، مُحَمَّد بن مجد الدّين بن إسحاق بن علي ابْن يُوسُف الملاطي ثمَّ القونوي صدر الدّين ربيب وتلميذ الشَّيخ الأكبر، توفي سنة ٦٧٢ اثْنَتَيْنِ وَسبعين وستمِائَة. لَهُ من التصانيف إعجاز الْبَيَان فِي كشف بعض إسرار أم الْقُرْآن فِي تَفْسِير الْفَاتِحَة، الرسَالَة الهادية، جَامع الأصول رِسَالَة فِي الحَدِيث. (هدية العارفين، ج: ٢، ص: ١٣٠).

[٥٣] إسماعيل حقي، روح البيان، ج: ٨، ص: ٣٨٣.

اعلم أنّه "قد ثبت شرعا وكشفا أن ما ثم صورة إلا ولها روح، فتارة تخفي آثار الروح في الصورة بالنسبة لأكثر الناس، وتارة تظهر بشرط تأييد روح تلك الصورة بمدد يتصل من روح آخر."[٥٤]

وقد وردت النصوص الشرعية مكرّرة بذلك في الكتاب والسّنّة. فإذا عرفت هذا، فاعلم أنّ "صورة[٥٥] الأعمال والأقوال أعراض، لا ترتفع إلاّ بأعراضها المصاحبة لها والمتأيدة أيضا بأرواح العمال ونياتهم ومتعلقات هممهم التابعة لعلومهم واعتقاداتهم الصحيحة المطابقة لما هو الأمر عليه وللحروف والكلمات من حيث أفرادها، ومِن حيث تراكيبها خواص تظهر[٥٦] من أرواحها بواسطة صورها تلفظا أو كناية شهدت بذلك الأنبياء والأولياء عن شهود محققة وتجربة مكرّرة."[٥٧]

وإذا تقرر هذا، فاعلم أنّ سرّ قوله صلّى الله عليه وسلّم في هذا الحديث "أنّ مجموع حروف هذا الكلام الّذِي ذكره الرجل وراء النبي عليه السلام ثلاث وثلاثون حرفا، لكلّ حرف روح. هو المثبت والمبقي الصورة ما وقع النطوية، فبأرواح الصّور يبقى وبنيات العمّال

---

٥٤ المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج: ٢، ص: ٦٣.

٥٥ و: صور.

٥٦ و: يظهر.

٥٧ المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج: ٢، ص: ٦٣.

وتوجهات نفوسهم ومتعلقات هممهم التابعة لعلومهم واعتقاداتهم ترفع إلى حيث منتهى همة العامل،"[58] وتنتج.

فأفهم هذا سرّ قوله عليه السلام: «*لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعًا وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا* أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا *أَوَّلُ*» صور البضع الثلاثة وآخر التسعة ولا يخفى على اللبيب بناء على هذا الأصل أنّه يمكن أنْ يكون وقوع هذه الحروف في أوائل بعض السور لفظا وكتابة لخاصية روحانياتها دخل في [٤/ب] بعض أحوال ذلك الكتاب، كحفظه عن التغيير والتحريف وغير ذلك مِن الأمور. انتهى.

أقول توضيحه بوجه إجمالي، إنّه يجب أنْ يعلم أنّ حقائق الحروف في ذواتها صور علميّة للواجب الحقّ وباعتبار تعلق الإرادة بتوجيهه إلى مخاطب محقّق أو[59] مقدّر يمتاز عن العلم. ولهاذا شاع في عبارات[60] أئمة الكشف والتحقيق الذين هم ورثة خاتم النّبيين صلّى الله عليه وعلى آله أجمعين أنّ الكلام صفة حقيقية منتشية مِن المقارعة المعنوية الغيبية الواقعة بين صفة العلم والقدرة. ولا شك أنّ كلّ ما فيه مدخل للقدرة،[61] فللإرادة أيضا فيه مدخل. إذ تأثير القدرة على وفق الإرادة، ولهذا يذكر تارة في موضع القدرة الإرادة، فالعلم والقدرة

---

[58] إسماعيل حقي، روح البيان، ج: ٧، ص: ٢٦٠.

[59] و: و.

[60] و: أهل.

[61] و: المقدّرة.

بمنزلة الجسمين المتقارعين، والإرادة بمنزلة المقارعة. إذ الإرادة رابطة بينهما، كما أنّ المقارعة رابطة بين الجسمين ربطا يقتضي حدوث الصوت، فبحكم قوله تعالى:﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[٦٢] اقتضت الرحمة الإلهية أن يتنزل الصور العلميّة من سماء سمّو الذات إلى المجالى الثلاثة الصّوتيّ والكتابيّ واللسانيّ، فيظهر على السّمع والبصر والقلب.

ومع هذه التنزلات والظهور في ملابس الحدوث حقيقتها القدسيّة محفوظة عن الأرجاس الهيولاني والأدناس المادي، كما يفحص عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٦٣]

ولهذا كلّف عموم الأمة في كتب العقائد الإسلاميّة بأنْ يعتقدوا أنّ القرآن[٦٤] "كلام الله غير مخلوق."[٦٥] وهو متلوًّا بالألسن مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور، وإنْ كانت القراءة والكتابة والحفظ حادثة وإذا تمهّدتْ هذه المقدّمة، فنقول: لما كانت حقيقة كلّ حرف صورة علمية، والصّور العلميّة عبارة عن الأسماء الإلٰهيّة ولكلّ اسم مِن الأسماء الإلٰهيّة مظهر، كان كل فرد من أفراد الموجودات مظهر الحقيقة حرفية وواقعاً تحت تربيته اسم خاص من أسماء تعالى. هو ربّه وروحه وحقيقته ولبّه وقلبه، لا يشاركه فيه غيره مِن الموجودات،

---

٦٢ سورة الإسراء ١٧/١٠٥.

٦٣ سورة الحجر ١٥/٩

٦٤ ى – القرآن

٦٥ أَبُو طَاهِرِ الكَرَجِيُّ، الاعتقاد القادري، ج: ١، ص: ٢٥٨؛ ابن عساكر أبو القاسم، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ج: ١، ص: ١١.

كالمجرّدات، فإنها مظاهر الأسماء التنزيهيّة لا يشاركها فيها الأجسام الّتي هي مظاهر [٥/أ] الأسماء المقابلة لها. ثُمّ إنّ النشأة الإنسانيّة مظهر جميع الأسماء والصفات. إذ قد غجتمع فيها جميع الحقائق مِن المجردات والماديات واللطائف والكشائف إلى غير ذلك مِن التفاصيل المنشبة في الآفاق، فهو نموذج لجميع العوالم، ولذلك سمّي بالعالم الصغير، وربّما يسمّى بالعالم الكبير نظيرا[٦٦] إلى سعة إحاطته، حتّى قال *أبو يزيد*:[٦٧] "*لو أنّ العرش وما حواه ألف مرّة*[٦٨] *في زاوية قلب العارف لما ملأه*[٦٩]."[٧٠]

فالحقيقة الإنسانية لكونها مظهراً لجميع الأسماء والصفات ظاهرة فيها آثارها وأحكامها ظهورا، بيّنا وكتاب منتخب من جميع العالم ﴿*لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا*﴾[٧١] نسبته إلى العالم، كنسيبة[٧٢] القرآن إلى الكتب السّماويّة. حيث أنّه يحوي مع وجازته جميع ما فيها، بلْ جميع الحقائق وأحكامها ﴿*رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي*[٧٣] *كِتَابٍ*

---

[٦٦] و: نظرا.

[٦٧] يشير المؤلف إلى البسطامي، طيفور بن عِيسَى بن على ابْن سروشان أَبُو يزِيد البسطامي الزَّاهِد الْمَشْهُور (المتوفى ٢٦٤هـ). لَهُ من التصانيف: "معارج التَّحْقِيق فِي التصوف" ورسائل اخر.(هدية العارفين: ج: ١، ص: ٤٣٤).

[٦٨] و + وضع.

[٦٩] و + أحسّ به.

[٧٠] النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، ج: ١، ص: ٨٧،"لو أن العرش وما حواه مائة ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس"،

[٧١] سورة الكهف ٤٩/١٨.

[٧٢] ى: نسبة.

[٧٣] و — في.

مُبِينٍ﴾[٧٤] هذا ويقرب ممّا ذكر ما قاله الشّيخ الرئيس إنّ هذه الحروف باعتبار وقوعها في مراتب ترتيبها الواقع بينها إشارة إلي مراتب الوجود، وبيانه أنّ للموجودات مراتب، أحدها الوجود الحقّ، وهو مبدع المبدعات، ومنشئ الكلّ.

وأوّل ما يبدع عنه عالم العقل. وهو جملة تشتمل على عدة مِن الموجودات قائمة بلا مواد.

ثُمّ العالم النفسِيُّ، وهو يشتمل على جملة كثيرة من ذوات معقولة ليست مفارقة للمواد كلّ المفارقة، بلْ يلابسها نوعا مِن الملابسة.

ثُمّ عالم الطبيعة، ويشتمل على قوى سارية في الأجسام ملابسة للمادة على التمام تفعل فيها الحركات والسكونات.

وبعدها العالم الجسماني وهو ينقسم إلى اثيرى وعنصرى وخاصية العنصرى التّهيؤ للأشكال المختلفة والأحوال المتغايرة وانقسام المادة بين الصورتين المتضادين، أيّتها كانت بالفعل كانت الأخرى بالقوة، ولكلّ ما قوى المذكورة اعتبار بذاته واعتبار بالإضافة إلى تاليه الكائن عنه ونسبة الثواني كلّها إلى الأوّل بحسب الشركة نسبة الإبداع.

وأما على التفصيل، فيختصّ العقل[٧٥] بنسبة الإبداع. ثُمّ أذاقهم متوسّطا بينه وبين الثوالث صار له نسبته الأمر، واندرج فيه معه النّفس. [٥/ب] ثُمّ كان بعده نسبة الخلق.

---

[٧٤] سورة الأنعام ٦/٥٩.

وهو يختصّ بالموجودات الطبيعية، ويعمّ جميعها والتكوين يختصّ بالكلّية الفاسدة منها إذا كانت الموجودات بالقسمة الكلّيّة إما روحانيّة وإما جسمانيّة، فالنسبة الكليّة للمبدإ الحقّ إليها أنّه الّذِي له الأمر والخلق، فالأمر يتعلق بكلّ ذِي إدراك، والخلق بكلّ ذِي تسخير.

وإذا عرفت هذا. فاعلم متى أريد الدلالة على هذه المعاني بالحروف من حيث هي ذوات، يكون الأوّل منها في الترتيب القديم، وهو ترتيب أبجد هوّز وإلاّ على الأوّل. وما يتلوه على ما يتلوه. ويكون الدّال على هذه المعاني من حيث هي ذوات متقدّما على الدّال عليها من جهة ما هي مضافة. ويكون المعنى الّذِي يرتسم[٧٦] من إضافة بين اثنين منها مدلولا عليه بالحرف الّذِي يرتسم من إضافة من ضرب أحد عددي الحرفين في الآخر. ويكون ما يحصل مِن العدد والضّربى مدلولا عليه بحرف واحد مستقلا في هذه الدلالة مثل ا ي ا هو من ضرب ا ه ا في ا ب ا وما يصير مدلولا عليه بحرفين مثل به هو من ضرب ا ج ا في ا ه ا مطّرحا، لأنّه شكل يوهم دلالة كل واحد من ا ي ا و ا ه ا ويقع هذه الاشتباه في كلّ حرفين مجتمعين لكلّ واحد منهما خاص دلالة في حدّ نفسه. ويكون الحرف الدّال على مرتبة من حجة أنّها بواسطة مرتبة قبلها ما يحصل من جمع حرفي المرتبتين.

---

[٧٥] و: الفعل.

[٧٦] و: ارتسم.

فإذا تقرر هذا فينبغي ضرورة أنْ يدل **بالألف** على الباري تعالى، **وبالياء** على العقل، **وبالجيم** على النفس، **وبالدّال** على الطبيعة هذا. إذا أخذت من حيث هي ذوات. ثُمّ **بالهاء** على الباري، **وبالواو** على العقل، **وبالزاي** على النفس، **وبالحاء** على الطبيعة هذا. إذا أخذت من حيث هي مضافة إلى ما دونها. ويبقى **الطاء** للهيولي، وعالمه وليس له وجود بالإضافة إلى شيء تحته. وينقد فيه رتبة الآحاد. ويكون الإبداع وهو من إضافة الأوّل إلى العقل، والعقل ذات لايضاف بعد مدلوله عليه **بالياء**، لأنّه من ضرب |هـ| وفي |ب| ولا يصحّ إضافة الباري، أو العقل إلى النفس إذا ليس للباري ولا للعقل بالنسبة إلى النفس عدد يدل عليه بحرف واحد، لأنّ |هـ| في |ج| يه و|و| في |ج| يح.

ويكون الأمر وهو من إضافة الأوّل إلى العقل مضافا|ل| وهو من ضرب|هـ| في |و|، ويكون الخلق وهو من [٦/أ] إضافة الأوّل إلى الطبيعة مضافة|م|، لأنّه ضرب|هـ| في |ح|.

ويكون التكوين من إضافة الباري إلى الطبيعة، وهي ذات مدلولا عليه بالكاف. ويكون جمع نسبة[٧٧] الأمر والخلق، أعني ترتيب الخلق بواسطة الأمر. أعني اللام والميم مدلولا عليه بحرف|ع| وجمع نسبة الخلق والتكوين. كذالك أعني الميم والكاف مدلولا عليه

---

[٧٧] ى: نسبيّ.

بالسين. ويكون جمع نسبة طرفي الوجود، أعني اللام والكاف مدلولا عليه بالنون. ويكون جمع نسبة الأمر والخلق والتكوين أعني ¦ ل م ك ¦ مدلولا عليه ¦ ص ¦ .

ويكون انطواء الجملة في الإبداع، أعني ¦ ي ¦ في نفسه ¦ ق ¦ . وهو أيضا من جمع ¦ ص و ي ¦ ويكون ردّها إلى الأوّل الّذِي هو مبدأ الكل، ومنتهاه على أنّه أوّل وآخر، أعني فاعلا وغاية مدلولا عليه بالراء ضعف ¦ ق ¦ .

وإذا تقرر ذلك، فأقول إنّ المدلول عليه بـ ¦ الم ¦ هو القسم بالأوّل ذي الأمر والخلق، وبـ ¦ المر ¦ القسم بالأوّل ذي الأمر والخلق الّذِي هو الأوّل والآخر والمبدأ الفاعل والمبدأ الغائي جميعا، وبـ ¦ المص ¦ القسم بالأوّل ذي الأمر والخلق ومنشئ الكلّ، وبـ ¦ ص ¦ القسم بالعناية الكلية، وبـ ¦ ق ¦ القسم بالإبداع المشتمل على الكل بواسطة الإبداع المتناول للعقل وبـ ¦ كهيعص ¦ القسم بالنّسبة الّتي للكاف، أعني عالم التكوين إلى المبدإ الأوّل المضاف الّذِي هو ¦ هـ ¦ بنسبة الإبداع الّذِي هو ¦ ي ¦ .

ثُمّ الخلق بواسطة الإبداع صارا[٧٨] بوقوع الإضافة أمرا وهو ¦ ع ¦ . ثُمّ التكوين بواسطة الخلق والأمر ¦ ص، وبـ ¦ طه ¦ القسم بالعالم الهيولاني المستفيض مِن المبدإ الأوّل مضافا، و ¦ يس ¦ قسم بأوّل الفيض.[٧٩] وهو الإبداع وآخره، وهو التكوين الّذِي بواسطة الخلق

---

[٧٨] و: صابرا ، ى: صايرا.

[٧٩] ى: الغيض.

المدلول عليه بالسّين، و¦حم¦ قسم بالعالم الطبيعي الواقع في الخلق، و¦حم عسق¦ بمدلول وساطة الخلق في وجود العالم الطبيعي، وبالخلق بينه وبين الأمر بنسبة الخلق إلى الأمر وبنسبة الخلق إلى التكوين بأنْ يأخذ من هذا. ويؤدّي إلى ذلك، فيتم به الإبداع الكلي المشتمل على العوالم كلها، فإنّها إذا أخذت على الإجمال لم يكن لها نسبة إلى الأوّل غير الإبداع الكلّي الّذِي يدلّ عليه بـ ¦ق¦، و¦طس¦ قسم بالعالم الهيولاني الواقع في التكوين بنسبة الخلق في الخلق، و¦طسم¦ قسم به واقعا بالتكوين [٦/ب] بنسبة الخلق في الخلق، و¦ن¦قسم بعالم التكوين وعالم الأمر، أعني مجموع ¦ك¦ و¦ل¦. انتهى.

فلا يختلجن في وهمك أنّه لا يمكن أنْ يكون للحروف دلالة غير هذا، إذ ليس[٨٠] مراد الله من كلامه محصورا في مفهوم واحد، بلْ كلّ ما يفهمه أحد متى لم يشهد الشرع، أو العقل، أو الكشف بخلافه، فهو مراده سبحانه وتعالى، ولو بالنسبة إليه مع عدم انحصار مراده في المفهومات كلّها سيّما الحروف المقطّعات، فإنّ عجائبها لا تنقضي وغرائبها لا تنتهي، فإنْ علم خواص الحروف ممّا يختص به الأنبياء والأولياء وأرباب الأذواق العاليات. وعليه مدار علمي الجفر والجامعة الّذين خصّ بهما أهل بيت النبوة ومشايخ المغاربة. وقد صرّح به قدّس سرّه. (في شرح المواقف)[٨١].

---

[٨٠] ى: ذلك وليس.

[٨١] ى: – في شرح المواقف.

وقد قيل إنّ الحروف أعمّ من كلّ عام إذ ما من موجود ومعدوم إلاّ وبها يظهر أحواله وكيفياته، فـ﴿هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[٨٢] وإليه أشار النبي عم[٨٣] بقوله: «*تعلّموا أباجاد وتفسيرها، فَإِن فِيهِ الْأَعَاجِيب كلهَا، فويل لعالم جهل أباجاد وتفسيرها.*»[٨٤]

وقال أيضا عليه الصلوة والسلام: «يا علي ويل لعالم لا يعلم تفسير أباجاد "الألف" من اسم الله الّذِي[٨٥] هو "الله" و"الباء" من اسم الله الّذِي هو "الباري" و"الجيم" من اسم الله الّذِي هو"الجليل".»[٨٦]

قال ابن عبّاس[٨٧] رضي الله عنه: إنّ عليا رضي الله عنه يعرف الفتن من حم عسق.[٨٨]

وَذَكَرَ الْقُشَيْرِيُّ[٨٩] والثَّعْلَبِي[٩٠] في تفسيرهما: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عرفت الكآبة في وجهه، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَحْزَنَكَ؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ بِبَلَايَا

---

٨٢ سورة فصلت ٤١/٤٥.

٨٣ و: صلّى الله وسلّم ؛ ى: عليه الصلوة والسلام.

٨٤ السيوطي، الدر المنثور، ج: ٢، ص: ٢٠١.

٨٥ و – هو الله والباء من اسم الله الّذِي هو الباري، والجيم من اسم الله الّذِي.

٨٦ لم يجد عليه.

٨٧ الْحَافِظ أَبُو عبد الله عِكْرِمَة بن عبد الله، بربري الاصل، مولى ابْن عَبَّاس من كبار التَّابِعين، (المتوفى ١٠٥). لَهُ تَفْسِير الْقُرْآن. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٦٦٦).

٨٨ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: ١٦، ص: ٢.

٨٩ القشيري، عبد الرحيم بن أبي الْقَاسِم عبد الْكَرِيم ابْن هوَازن القشيري أَبُو نصر الشَّافِعِي (الْمُتَوفَّى ٥١٤). لَهُ تَفْسِير الْقُرْآن، الموضح فِي الْفُرُوع الشَّافِعِيَّة. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٥٥٩).

تَنْزِلُ بِأُمَّتِي مِنْ خَسْفٍ وَقَذْفٍ وَنَارٍ تَحْشُرُهُمْ وَرِيحٍ تَقْذِفُهُمْ فِي الْبَحْرِ وَآيَاتٍ مُتَتَابِعَاتٍ عند عِيسَى وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ".[٩١] وفي التفسيران أنّ كل حرف مِن المقطعات المذكورة في القرآن إشارة إلى أمر جليل الخطر، عظيم[٩٢] القدر من بيان منتهى ملك تلك الأمة وظهور الحق فيهم وعدد أئمتهم وخلفائهم وعدد البقاء الّتي يبلغ دولة الإسلام بها.

ورُوِي عَن أبي العالية[٩٣] أيضا من كبار التابعين: "إنّها إشارة إلى مدد أقوام وآجال أو غير ذلك بحساب الجمل."[٩٤]

ورُوِي أنّ عبد السلام ابن برجان[٩٥] حين أخذ الفرنج بيت المقدس استخرج تاريخا من [٧/أ] ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ[٩٦] وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾[٩٧] "إنّ بيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ووقع كما قال."[٩٨]

٩٠ الثَّعْلَبِيّ، أحْمَد بن مُحَمَّد بن إبراهيم النَّيْسَابُورِي أَبُو إسحق الثَّعْلَبِيّ (المتوفى ٤٣٧). من تصانيفه ربيع المذكرين. له عرائس الْمجَالِس فِي قصَص الأنبياء، الكشف والبيان في تفسير القرآن. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٧٥).

٩١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ج: ١٦، ص: ٢.

٩٢ و: عقيم.

٩٣ أبي العالية، من كبار التابعين، قال أبو خلدة: مات سنة تسعين، وقال غيره سنة "٩٣"، وقال المدائني سنة "١٠٦" وقال أبو عمر الضرير مات سنة "١١١"، والصحيح الأول. قلت: وكذا جزم به بن حبان. وروى البخاري وغيره عن أبي خلدة أنه توفي سنة "٩٣". (تهذيب التهذيب، ج: ٣، ص: ٢٨٥).

٩٤ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ١، ص: ٣٤.

٩٥ ش: سرجان؛ و، ى: برجان؛ يشير المؤلف إلى ابْن برجان، عبد السَّلَام بن عبد الرحمن بن أبي الرِّجَال مُحَمَّد بن عبد الرحمن اللخمى أَبُو الحكم الإشبيلي المالكي الْمَعْرُوف بِابْن برجان (المتوفى ٥٣٦). له من تصانيفه الإرشاد فِي تَفْسِير الْقُرْآن، شرح أسماء الله الْحسنى فِي مجلدين، كتاب الارشاد. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٥٧٠).

٩٦ ش: – فِي أَدْنَى الْأَرْضِ.

وبيّن بعض المحققين كيفية استخراجه بأنّ ¦الم¦ بحساب الجمل الكبير إحدى[99] وسبعون. ويضرب ذلك في عدد البضع الّذي هو في تلك الأصول عبارة عن الثمانية، فيصير خمسمائة وثمانية وستين. ويعمل بحساب الجمل الصغير عملا آخر. هكذا¦الم¦ بذاك الحساب ثمانية والبضع أيضا ثمانية والمجموع ستة عشر. ويطرح الواحد في ذلك الأصول، فيصير خمسة عشر. ويضم هذا إلى الحاصل من حساب الجمل الكبير. ويعتبر كل عدد سنة، فيصير ثلثا وثمانين و خمسمائة. وقد اتفق أنّه في هذا العام استخلص المسلمون بيت المقدس عن أيدى النصارى.

وقال ابن خلكان[100] في تاريخه إنّ أحدا[101] من علماء المغاربة حكم بأنه ستحدث زلزلة عظيمة في تاريخ سنة اثنين وسبعمائة. واستنبط ذلك من ظاهر آية ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[102]ووقعت كما قال زلزلة عظيمة في ذلك التّاريخ، وخربت أكثر محلات مصر. ولم يبق منارة في أكثر البلاد مِن العرب والعجم إلاّ وقد سقطت رؤوسها، واندرست رسومها.

[97] سورة الروم ٣٠/١-٣.

[98] أبو الحسن مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج: ٥، ص: ٢٠٩.

[99] و: أحد.

[100] ابْن خلكان، أَحْمَد بن مُحَمَّد بن إبراهيم الأربلي القاضي شمس الدّين أَبُو الْعَبَّاس الشَّافِعِي الْمَعْرُوف بِابْن خلكان (المتوفى ٦٨١). صنف وفيات الأعيان فِي أنباء أبناء الزَّمَان فِي التَّارِيخ والتراجم مجلدين مطبوع وَغير ذَلِك. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٩٩).

[101] و: واحدا.

[102] سورة الزلزلة ٩٩/١.

ثمّ إنّ قطب الأولياء والمحققين شيخ سعد الدين الحموي[١٠٣] قدّس سرّه كان يستنبط من لفظ محمد والميمين فيه، أو ضاع ملل كثيرة[١٠٤] وأحوال دول عظيمة وأشار إليها برموز لا يعرفه إلاّ من له قدم راسخ في علم خواص الحروف، وأشار إليه في رباعيته[١٠٥] ممّا يقرب منه ما استنبط العلامة الدواني من لفظ "محمد" الإسلام ومن لفظ "علي" الإيمان، وأشار إليه في رباعيته،[١٠٦] وهي هذه[١٠٧]:

خورشيد كمالست نبي ماه ولي.

إسلام محمدست وإيمان عليّ.

كر بيّنه در إين سخن ميطلبي.

بنگر كه زبينات أسماست جلي.

وبيانه أنّ بيّنات اسم محمد يم أيم ال، وعدد مجموعه عدد الإسلام، وبينات اسم علي هذه بن أم و[١٠٨] هي بعينه حروف الإيمان ولكون الإيمان بالنسبة إلى الإسلام بمنزلة الباطن، كما أنّ الولاية باطن النبوة وقعت بيّنات اسم خاتم النبوة الإسلام وبيّنات اسم خاتم

---

١٠٣ الحموي، مُحَمَّد بن الْمُؤَيد بن أبي بكر بن أبي الْحُسَيْن ابْن مُحَمَّد بن حمود الحموي، سعد الدَّين الصوفي (الْمُتَوفَّ ٦٥٠). لَهُ من الْكتب بَحر الْمعَانِي فِي التصوف، حقائق الْحُرُوف. (هدية العارفين، ج: ٢، ص: ١٢٤).

١٠٤ و – كثيرة.

١٠٥ و – وأشار اليه في رباعية.

١٠٦ و: رباعة.

١٠٧ جلال الدين محمد بن سعد الدين الدواني، http://books.rayih.com/HTML/tanqih-16/11.html, (02.04.2014)

١٠٨ و: أو.

الولاية من وجه وفاتحها من وجه وقعت حروف الإيمان، ولما كانت النشأة النبوية [٧/ب] تقتضي إدماج الحقائق في صور الأحكام الشرعية والنواميس الوضعية وكان كشف تلك الحقائق والإفصاح[١٠٩] عنها موكولا على نشأة الولاية لم يظهر تمام حروف اسم الإيمان في بيّنات اسم النّبي عليه السلام، بل الحروف الأربعة الأولى الّتي هي حروف الإيمان ظهرت فيه إيماء إلى أنّ شأن مرتبة النبوة الإيماء إلى الحقائق والإفصاح عنها في بينات اسم علي ظهر تمامه في الصورة الرقمية أشعارا بأن أفصح الحقائق وكشف الحجب عنها شأن هذه المرتبة هذا وههنا دقيقة لابد مِن التنبيه عليها.

وهو أنّ زبر هذا الاسم أعني محمدا |م ح م د|. وعدد هذا المجموع اثنان وتسعون وهو عدد حروف الكمال إلاّ واحدا، ففيه رمزا إلى أنّه عليه السلام مستجمع لجميع الكمالات سوى كمال واحد وهو الوجوب الذّاتي الّذي من خواص مرتبة الألوهيّة.

وإنّ بيّنات عدد هذا الاسم السامي مائة واثنان وثلاثون وهو عدد حروف القلب. ولما سائر أحاد الإنسان بمنزلة الأعضاء والنّبي عليه السّلام بمنزلة القلب لهم، ففي هذا الاسم تنبيه إلى أنّه قلب الإنسان ونسبتان من هذا.

وجه آخر بتسمية يس قلب القرآن بأنْ يكون المراد بالقرآن الإنسان وبـ"يس" النبي عليه الصلوة والسلام خذ هذا، فإنّه مِن السوانخ الّتي يشهر له الرواية والدّراية.

---

[١٠٩] و: الافضاح.

ثمّ اعلم أنّه ليس شيء من هذه الحروف آية عند غير الكوفيين. وأما عندهم، فـ ¦الم¦ في مواقعها، و¦المص¦ و¦كهيعص¦ و¦طه¦ و¦طسم¦ و¦طس¦ و¦يس¦ و¦حم¦ آية، و¦حم عسق¦ آيتان. والبواقي ليست[110] بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه.[111]

ثمّ إنّه يتأتى الإعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة لو موازنة لمفرد كيس، فإنّها كهابيل. وفيما عدا ذلك، ليست إلاّ الحكاية.[112] ويوقف عليها وقف التمام إذا قدّرت بحيث لا يحتاج إلى ما بعدها هذا.

وقد يقال: معنى "يس" "يا إنسان" بلغة طي على أنّ أصله يا أنيسين بصيغة التصغير، فاقتصر على شطره لكثرة النّداء به إلاّ أن المقصود به هو: سيّدنا محمّد صلّى الله وسلّم، لأنّ كمال الإنسانيّة الّتي أحدية جمع الحقائق الكونية والأسماء الإلهيّة إنّما هي عليه السّلام.

ويردّ عليه، أما أوّلا، فلأنّه ينبغي حينئذ أنْ يقال معناه "يا آنيسين" بناء على ما ذكر [٨/أ] في الأصل.

---

[110] و: ليس.

[111] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ١٩٩١، ص: ٣٥.

[112] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج: ١، ص: ٣٥.

وأمّا ثانيا فلأنّ بن حيّان[113] ادّعى أنّ المنقول مِن العرب في تصغير إنسان أنيسيان ولا نعلمهم إنّهم ذكروا في تصغير أنيسين.

وأما ثالثا فلأنّ التحقير يمتنع في حقّ النّبيّين، ويمكن الجواب. أمّا عن الأوّل، فبأنْ يقال نبّه بإيراد المكبّر على عدم إرادة التحقير الّذِي هو أصل وضع المصغّر.

وعن الثاني بأنْ يكون أنيسين مقتضى القياس يكفي لنا، وإن لم يعلم سماعه مِن العرب.

قال الرضي:[114] "قياس إنسان أنيسين، كسرحان وسُرَيْحِين، فتصغيره أنيسان بزيادة الياء شاذّ."[115]

وعن الثالث بأنّ التصغير قد يجرد عن التحقير. ومع ذلك لا يجري في أسمائه تعالى لا يهامه ذلك، ولا في أسماء الرسول عليه السلام أيضا كذلك، لكن من قبلنا لا من قبله

---

[113] أَبُو حَيَّان (٦٥٤ – ٧٤٥ هـ)، الأندلسي مُحَمَّد بن يُوسُف بن على بن يُوسُف، ابْن حَيَّان الجياني الإمام، أَبُو حَيَّان أثير الدَّين الأندلسي الشَّافِعِي النَّحْوِيّ. لَهُ من الْكتب، الأبيات الوافية فِي علم القافية، الْبَحْر الْمُحِيط فِي تَفْسِير الْقُرْآن، إتحاف الأريب بِمَا فِي الْقُرْآن من الْغَرِيب، الأثير فِي قِرَاءَة ابْن كثير. (هدية العارفين، ج: ٢، ص: ١٥٢)؛ أنظر: الأعلام، ج: ١، ص: ١٥٢.

[114] الرضي الأستراباذي (‥ – نحو ٦٨٦ هـ)، محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي ، نجم الدين، عالم بالعربية، من أهل أستراباذ، اشتهر بكتابية في النحو جزآن، و (شرح مقدمة ابن الحاجب) وهي المسماة بالشافية، في علم الصرف. (الأعلام، ج: ٦، ص: ٨٦.)

[115] شرح شافية ابن الحاجب، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين، ج: ١، ص: ٢٧٥.

تعالى، إذ له تعالى ذلك إلاّ أنه لا يحمل على التحقير، بلْ على الاستعطاف والشفقة، كما يكون مِن الأب العطوف لولده.

وقال بعضهم: إنّ ׀ طه ׀ و ׀ يس ׀ من أسماء نبيّنا عليه السّلام. ويؤيّده إنّه يقال لأهل البيت آل طه ويس. ثُمّ إنّه قرئ بالكسر على البناء، كحبر وبالفتح على البناء كائن، أو الإعراب بتقدير: قل: يس، أو بإضمار القسم والفتح على هذا أما لأنّه غير منصرف، أو لأنّه من قبيل الحذف والإيصال، أو لكونه على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين. وقرئ بالضّم على البناء، كحيث، أو لأنّه منادي مفرد معرفة، أو على الإعراب بتقدير المبتدأ أي: هذه ياسين. و أما لبعض القرّاء الياء من يس ليناسب صوت النطق بالفتحة وصوت النطق بالكسرة الّتي بعدها هذا.

ثُمّ إنّ سبب نزول الآية الكريمة إنّ الكفار تعجّبوا من دعوى رسالته عليه الصلوة والسّلام، فقالوا: إن أنت إلاّ بشر مثلنا، فلست مرسلا، فنزل﴿**يَس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمُ**﴾[١١٦]

قالوا: وللعطف إن جعل يس مقسما به وإلاّ فللقسم. وقد استشكل[١١٧] بعضهم في القسم الواقع في القرآن احتجاجا للكفار بأنّهم ينكرونه رأساً، فكيف يعترفون بكونه حجّة؟ أجيب عنه بأنّ القسم ليس حجّة، بلْ هو موضوع في لغة العرب لتأكيد القسم عليه

---

١١٦ سورة يس ٣٦/٢.

١١٧ و: استكل.

والاهتمام به، وتعظيم القسم به ولإفادته التأكيد. اعتبره [٨/ب] الشرع في المخاصمات، لا لأنّه حجة كيف والحجة أما برهانية أو إلزامية. وهو ليس شيئا منها.

والقرآن في اللغة مصدر بمعنى الجمع. قال: قرأت الشيء جَمَعْتُه، وبمعنى القراءة. قال: قرأت الكتاب تلوته. ثمّ نقل ابتداء، أو بعد جعله بمعنى المفعول إلى المجموع المقرّ والمنزل على الرسول عليه السلام.

قد يطلق على القدر المشترك بينه وبين بعض أجزائه الّذِي له نوع اختصاص به لكونه مشتملا على البلاغة وعلو الطبقة، كالسورة والآية. والأوّل هو المناسب لغرض المفسّرين. والثاني لغرض الأصولين.

وقال العارفون: الحقائق العلميّة إنْ كانت معتبرة لا بأحوالها يسمّى حروفا غيبية. ومع[١١٨] أحوالها كلمات غيبية والوجودية بلا أحوالها حروفا وجودية، ومعها كلمات وجوديّة، فالدالّة منها على جملة مفيدة آية والبعض الجامع لتلك الجمل سورة ومجموع المعقولات، أو الموجودات كتابا [١١٩] قرآنا[١٢٠] وكذلك عباراتها الواردة عليها مِن الحق أيضا.

---

١١٨ و: ب.

١١٩ و: و.

١٢٠ و – ولكون جميعها في الإنسان الكامل يسمّى أيضا كتابا وقرآنا.

وقد سبق منا ما إذا عطفته[121] إلى هذا الموضع نفعك. ثُمّ إنّ معنى القرآن الحكيم القرآن المحكم، إما بمعنى المشتمل على الحكم والمصالح في أمر المعاد والمعاش، وإما بمعنى أنه ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا[122] مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أو بمعنى أنه ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾[123] فما يبقين من شكوك وشبهة، كما قال قائلهم محكمات فما يبقين من شبه الّذي شقاق ولا يبقين من حكم.

ويجوز أن يعتبر في الكلام التجوز إما في النسبة بأنْ يكون وصف القرآن بالحكيم لكونه تنزيلا من حكيم، أو بأنْ يكون الحكيم بمعنى الحاكم، وصف به القرآن لوقوع الحكم فيه، كما يقال: علم باحث عن كذا، وقضية قائلة بكذا، أي: يبحث فيه عن كذا، ويحكم فيها بكذا، أو في اللغة بأنْ يعتبر تشبيه القرآن بالشخص النّاطق وبالحكمة على سبيل الاستعارة بالكناية، ويثبتُ له الحكم الّذي هو من ملائمات المشبه به وروادفه على سبيل الاستعارة التخليلية. ثُمّ إنّ جواب القسم قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[124] واللام موصولة أي: لمِن الذين أرسلوا﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[125] هذا إما ظرف لغو صلة للمرسلين، ففائدته إنّك لست تدعي أمرا عجيباً كنت منفردا به ليبادروا على إنكار رسالتك، [٩/أ]

---

[121] و: عطف.

[122] و – لا.

[123] سورة هود ١١/١.

[124] سورة يس ٣٦/٣.

[125] سورة يس ٣٦/٤.

ويتعجّبوا منها على محاذاة قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾[١٢٦] وأيضا فيه إشارة إلى أنّك مِن المرسلين الذين صدقوا هم أسلافهم. وقد عذب مكذّبوهم، ففيه ترغيب وترهيب.

وإما ظرف مستقرّ على أنّه خبر ثان، أو حال مِن المستكن في الظرف الراجع إلى الرسول، أو من ضمير الموصول. ففائدته على جميع التقادير مع كون الرسول على الصّراط المستقيم، معلوم هو إفادة اتصافه عليه السّلام[١٢٧] كونه على الصّراط المستقيم، لا مجرّدا، لإخبار بالوقوع.

وتوضيحه أنّ[١٢٨] الجملة تشتمل على أمرين موصوفية المسند إليه بمضمون الخبر ووصفية الخبر له وهما اعتباران متلازمان، لكن تارة يقصد الأوّل، كما إذا كان الكلام في الزاهد[١٢٩] أنّه هل يتصف بالشرب والطرب، فيقال: الزاهد يشرب ويطرب وتارة يقصد الثاني، كما إذا كان الكلام في الشرب وأنّه هل يقع وصفا للزّاهد فيقال: يشرب الزّاهد، فليس الغرض ههنا من إيقاع على صراط مستقيم خبرا، أو حالا، أو صلة مجرّد وصفيّة الوقوع على الصّراط، الصّراط المستقيم له عليه السّلام حتى يرد أنّه لازم لكونه مِن المرسلين،

---

١٢٦ سورة الأحقاف ٤٦/٨.

١٢٧ في المتن: عم

١٢٨ ى – انّ.

١٢٩ و، ى + مثلا وإنه.

بلْ المقصود موصوفيته بالثبوت على الصّراط المستقيم. لا يقال: الخبر الأوّل مؤكدة باللام دون الثاني مع أنّه لا ترجيح، فكيف يصح كونه خبراً ثانيًا ؟ لأنّا نقول في الخبر الثاني ما يعارض تأكيد الأوّل. وهو الفخامة المستفادة مِن التنكير أي: صراط بلغ في الفخامة مبلغا لا يكتنه كنهه ويتقاصر العبارة عنه. ومِن العجائب ما قيل: إنّ الصّراط المستقيم إذا فسر بالتوحيد، أو الاستقامة جاز أنْ يكون "على صراط" خبرا ثانيا، أو حالا. وأما إذا فسر الصّراط المستقيم بالطريق المستوي أي: طريق الحقّ، فلا يحقّ ذلك لإغناء[١٣٠] قوله: ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٣١]عن هذا، إذا المرسلون كلهم على الطريق المستوي. ويدل كونهم مرسلين عليه صريحا، فيكون غير مفيد بخلاف ما إذا فسّر بالتّوحيد، أو لاستقامة في الأمور، فإنّ دلالته عليه التزاميّة، فللتصريح فائدة. انتهى.

وأنت خبير بأنّ الكون على الصّراط المستقيم بكلّ مِن التفسيرين لازم في نفس الأمر للمرسلين، لكن ليس مدلولا له، لا صراحة [٩/ب] ولا التزاما بشيء مِن التفسيرين. وإما صراحة، فظاهر، وإما التزاما فلأنّه ليس شيء منهما لازما ذهنّيا بحيث يلزم مِن تصوّرهما تصوّره. وهو المعتبر في الالتزام ولا يكفي مجرّد اللزوم في نفس الأمر. ثُمّ إنّ ههنا نكتة ذوقية وهو أنّه أشير بقوله تعالى: "إنّك" إلى إفراد المخاطب وذكورته. ولا شك أنّ المخاطب هو

---

١٣٠ و: لإغنائه.

١٣١ سورة يس ٣/٣٦.

نبينا صلى الله عليه وسلم، فبإفراده أشير إلى إفراده الحقيقي وهو أنحاء[132] كثرته النسبيّة في الوحدة الحقيقية. وبذكورته أشير إلى أنّ له عليه الصلوة والسلام بحسب حقيقية مرتبة الأبوّة بالنسبة إلى جميع أفراد الآدميّين، كما قيل بلسان مرتبة.

نظم:

وإنِّي و[133] إنْ كنتُ ابن آدمَ صُورةً .

ولِي[134] فِيه مَعْنىً شاهدٌ بأُبوَّتِي.[135]

خذْ هذه النكتة الجليلة بقوّة.

والسراط الجادة من "شرط الشيء". إذا ابتلعه سمّيت به[136] على توهم أنّه يبتلع سالكه، أو يبتلعه سالكه، كما يقال: أكلته المفازة إذا أهلكته. وأكل المفازة إذا قطعها.[137]

---

[132] ى: المنحاء.

[133] و – و.

[134] و: فلى.

[135] "المسألة الثالثة: شطحات الزنادقة الذين يسمون أنفسهم أولياء، وفي جوهر المعاني (ج: ٢ ص: ٥٩) ما نصه، وذلك في الجواب عن قول أبي يزيد البسطامي: خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله، فاعلم أن في الشطحات التي صدرت من أكابر العافين ما يوهم أو يقتضي أن لهم شفوفا وعلوا على المراتب النبيين والمرسلين، ومثل قول أبي يزيد البسطامي: "خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله"، ومثل قول الشيخ عبد القادر الجيلي: معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه، ومثل قول ابن الفارض:

ودونك بحرا خضته وقف الألي ... بساحله صونا لمؤضع حرمتي

وأني وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

وفي المهدي حزبي الأنبياء وفي عنا ... صر لوحي المحفوظ والفتح سورتي."، محمد تقي الدين الهلالي، الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، ج: ١، ص: ١٢٠.

فالصراط من قلب السّين صادا لأجل الطاء، لأنّها مستعلية، فيوافقها الصّاد لكونها أيضا مِن المستعلية بخلاف السين، فإنّها مِن المنحفضة، ففي الجمع بينهما بعض الثقل، فتبصر.

والمراد بالمستقيم، ما يؤدّي إلى المقصود سواء كان أقرب[١٣٨] أصلا أو المراد به أقرب الطرق الموصولة إلى المطلوب على ما قالوا من أنّ الخط المستقيم أقرب الخطوط الواصلة بين النقطتين،[١٣٩] فغرر المستقيم لا يجب أنْ يكون من طرق الضلال المطلق، بلْ يكون أعمّ. وأيضا لا يجوز تعدد المستقيم بهذا المعنى بخلاف معنى الأوّل. ويجوز أنْ يراد أعدل الطرق، وهو الغير المائل عنه يمنة ويسرة. وهذا المعنى الثالث هو المتبادر مِن الإطلاق المستقيم لكونه الفرد الكامل منه سيّما.

وقد حكم بالوقوع عليه على نبينا صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ الاعتدال الكامل في جميع الأمور اعتقادا وعملا وخلقا من خصائص الشّريعة المحمّدية على صاحبها أفضل الصّلاة والتحية.

١٣٦ و – به.

١٣٧ الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: ١، ص: ٦٣،{الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} يقال: الصراط، والسراط، والزراط، والأصل من: سرطت الطعام، وزردته: إذا ابتلعته، وسمي الطريق بذلك تصوراً أنه إما أن يبتلعه سالكه، أو يبتلع هو سالكه، ذلك ألا ترى أنه قيل: فلان أكلته المفازة – إذا أضمَرَتْهُ أو أهْلَكَتْهُ. وأكل المفازة – إذا قطعها – وعلى هذا النحو قال [أبو تمام]

١٣٨ و – سواء كان أقرب.

١٣٩ الرازي، مفاتح الغيب = التفسير الكبير، ج: ٨٦، ص: ٢٢٠.

وقد فسّر المستقيم ههنا بالتوحيد والاستقامة في الأمور، فيرد عليه أنّ الاستقامة أعمّ مِن التوحيد جريان[140] الاستقامة في الأعمال والأخلاق أيضا.

وذكر الخاص مع العام في تفسير العام ممّا لا يصح، أو لا يحسن [١٠/أ]

﴿تَنْزِلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾[141] قرأ حفص وابن عامر وحمزة والكسائي بالنصب، إما بتقدير "أعني" أي: أعني بالصراط المستقيم وبالقرآن تَنْزِيلُ الْعَزِيزِ الرّحِيمِ على أنْ يكون التنزيل بمعنى المنزل. وإما بتقدير نزل على أنْ يكون أصله: نزل العزيز الرحيم تنزيلا، فحذف الفعل اختصارا لدلالة المصدر عليه وقدم المصدر وأضيف إلى الفاعل. وقرأ الباقون بالرّفع، إمّا على أنّه مبتدأ خبره "لتنذر". وإمّا على أنّه خبر مبتدإ محذوف، فالمصدر حينئذ إمّا بمعنى المفعول أي: هو منزل العزيز الرحيم. فالتجوز في اللغة وإما بمعناه، فالتجوز في[142] الإسناد وهذا أبلغ، كما حقّقوا في أنّما هي إقبال وإدبار وقرئ[143] بالجرّ أيضا على أنْ يكون صفة للقرآن، أو بدلا منه، أو "مِن الصّراط المستقيم" بدل الكلّ مِن الكلّ بادعاءِ العينية، أو بدل الاشتمال. ثُمّ المشهور إنّ التنزيل تحريك من أعلى إلى أسفل تدريجا بخلاف الإنزال، فإنّه يستعمل في الدافعيّ أيضا. والقرآن المنزل إن أريد به كلامه الّذِي هو صفته، فتنزيله تحريكه

---

[140] ي: لجريان؛ و: يان.

[141] سورة يس ٣٦/٥.

[142] و: ب.

[143] و: قرأ.

بالحركة المعنوية إلى مظاهرة السّفليّة بعد ظهوره في المظاهر العلوية، فإنّها تظهر أوّلا في المظاهر العقلية، ثُمّ النفسية، ثُمّ المثالية، ثُمّ الحسية.

وإن أراد به الكلمات المنتظمة مِن الحروف، فتنزيله تحريكه مِن المعاني العلمية الإلهية إلى العقلية، ثُمّ إلى النفسية، ثُمّ إلى صورة الحروف والكلمات المثالية، ثُمّ الحسيّة. وعلى هذا يكون التنزيل مستعملا في معناه المجازي، فيكون من قبيل المجاز في المفرد. ولك أنْ تجعله من قبيل المجاز في الإسناد بأنْ يكون التنزيل مستعملا في معناه الحقيقي. و ينسب إلى القرآن باعتبار حامله الّذِي هو جبرائيل.

ثُمّ إنّ "العزيز" معناه: الغالب من قولهم عزّ إذا غلب، ومِنه قولهم: منْ عَزَّ بَزَّا أي: من قدّر وغلب سلب،[١٤٤] ومرجعه إلى القدرة. وقيل: عديم المثل، فيكون من أسماء التنزيه. وقيل: هو الّذِي يتعزّر الإحاطة بوصفه ويعسر الوصول إليه مع أنّ الحاجة يشتد إليه، ومِنه: عزّ الطعام في البلد وحظ العارف من هذا الاسم أنْ يعزّ نفسه، فلا يستهينها بالمطامع مع الدنية ولايدنّسها بالسّؤال عن النّاس والافتقار إليهم ويجعلها بحيث يشتد احتياج [١٠/ب] العباد إليها في الإرفاق والإرشاد، وأما الرحيم، وكذا الرحمان، فصفتان مشبهتان بُنِيَا للمبالغة، من "رحم" المتعدي بعد جعله لازما بنقله إلى فعل مضموم العين. والرحمة في اللغة: الميل

---

١٤٤ الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج: ٥، ص: ٦٣.

وانعطاف[١٤٥] مِن القلب تقتضي التفضيل[١٤٦] والإحسان إلى ما يتعلق به. وهي بهذه المعنى لا يصحّ إطلاقه عليه تعالى لكونها مِن الكيفيات النفسانية التابعة للمزاج، المنزه عنه تعالى. فأسماء الله تعالى وصفاته إنّما تؤخذ[١٤٧] باعتبار الغايات الّتي هي أفعال دون المبادئ الّتي هي انفعالات. فرحمة الله تعالى على العباد إما إرادة الإنعام عليهم ودفع الضّرر عنهم، فيكون الاسمان من صفات الذّات، أو نفس الإنعام والدفع، فيعودان إلى صفات الأفعال، فعلى هذا يكون إطلاقه عليه تعالى من قبيل المجاز المرسل من باب إطلاق اسم السبب على المسبّب، لأنّ كل واحد مِن الإنعام وإرادته مسبب عن رقة القلب والإنعطاف.

ثُمّ أقول: هذه إذا كانت الرحمة وأمثالها مستندة إلى مرتبة الجمع. وهما إذا كانت مستندة إلى مرتبة الفرق، فلا حاجة إلى هذا التأويل. والرحمان أبلغ من الرحيم لزيادة بنائه. وحظ العارف من هذين الاسمين أنْ يتوجه بشراشره إلى جناب قدسه، فيتوكل عليه ويلتجئ فيما يعنّ له إليه ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره لما فيهم منهما أنّه المنعم الحقيقي المولى المنعم للنعم كلها، عاجلها وآجلها، ويرحم عباد الله، فيعاون المظلوم، ويصرف الظالم، ويدفع عنه ظلمه بالطريق الأحسن والوجه الأجمل، وينبّه الغافل، وينظر إلى العاصي

---

[١٤٥] و: الانعطاء.

[١٤٦] ى: تقتضي التفضل.

[١٤٧] و: يوجد.

بعين الرّحمة دون الازدراء ويجتهد في إزالة المعاصي، وإزاحتها على أحسن ما يستطيعه مِن الطرق، ويسعى في سدّ خلّة[١٤٨] المحتاجين بقدر وسعه وطاقته.

ثُمّ إنّ النكتة في إيثار هذين الاسمين من بين الأسماء الحسنى التنبيه على أنّ هذا تنزيل ممن هو غالب على أمره، فـ﴿يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[١٤٩] وَ﴿مَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[١٥٠] له. وإنّ ذلك التنزيل من آثار رحمته، ومِن جملة تخليّاته. إذ بيّن فيه كل ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم. فإن قلت، إنّما آثر التنزيل المنبئ عن التدريج على الإنزال الغير المنبئ عنه [١١/أ] مع أنّ النّزول التدريجي كان أحد أسباب طعنهم في القرآن، فإنّهم كانوا يطعنون فيه من حيث أنّه كان مدرجا على قانون الخطابة والشّعر، فإنّ التأثر لا يوحي بمجموع خطبه، أو رسائله دفعة والنظام لا يلقي ديوان شعره ضربة، بلْ مفرقا حيناً فحيناً، وشيئاً فشيئاً،[١٥١] فكانوا يقولون ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾[١٥٢] هذا القرآن خلاف هذه العادة جملة واحدة، قلت: لأنّ الغرض من تنزيل القرآن الإنذار المتجدّد و[١٥٣] المتدرّج، كما يفيده تعليله بقوله ﴿لِتُنْذِرَ﴾[١٥٤]

---

١٤٨ و: خلد.

١٤٩ سورة آل عمران ٣/٤٠.

١٥٠ سورة الزمر ٣٩/٥١.

١٥١ الزمخشري، الكشاف: ١، ٩٦.

١٥٢ سورة العنكبوت ٢٩/٥٠؛ تمام الآية: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

١٥٣ و – و.

١٥٤ سورة يس ٣٦/٦.

بصيغة المضارع التجددي الدّال على تجدد الإنذار. ولا شك أنّ تجدد الإنذار إنّما هو بتجدد النّزول وتدرجه. إذ بكل جمله يقع إنذار، فيستمر الإنذار برهة مِن الزّمان، فيكون أدخل في التأثير وأوفق للحكمة بخلاف ما لو أنزل جملة واحدة، فإنّه ينقطع بإنقطاع النزول. ويجوز أنْ يتعلق قوله: ﴿لِتُنْذِرَ﴾[155] بمعنى قوله: ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[156] أي: إنّك مرسل لتنذر.

ثُمّ إنّه يقال في أمثال هذا المقام إنّ هذا التعليل ليس على وجهه الغرض لما تقرر في موضعه[157] أنّ أفعال الله تعالى ليس بمعلل بالغرض، لأنّ الفاعل لغرض مستكمل به، بلْ على أنّه كالغرض من حيث أنّه عاقبة الفعل ومواده. وأما عند أرباب المكاشفات، فالحق سبحانه وتعالى، كما لأنّ كمال ذاتي، كوجوب وجوده ووحدته وحيوته وعلمه وغير ذلك مِن الصّفات الّتي لا يحتاج الحق سبحانه في الاتصاف بها إلى ما سواه وكمال أسمائي يحتاج في الاتصاف بها إليه، فإنّ كمال الأسماء إنّما هو بظهور آثارها وترتب أحكامها عليها. وذلك لا يتم إلاّ بوجود المظاهر، فنفي[158] الاحتياج والستكمال بالغير عنه إنّما هو بالنّظر إلى كماله الذّاتي الّذي له مرتبة الغنى عن العالمين وأما بالنظر إلى كماله الأسمائي، فليس له

---

[155] سورة يس ٣٦/٦.

[156] سورة يس ٣٦/٣.

[157] و: موضع.

[158] ى: فينبغي.

هذه المرتبة. هذا والإنذار: التخويف مطلقا. وقد جاء بمعنى الإعلام، والمراد به ههنا التخويف عن عقاب الله تعالى أي: لتخوّف عن عقاب الله.

﴿قوماً﴾[١٥٩] القوم في الأصل يختص بالرجال. قال تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يكونوا خَيْرًا مِنْهُمْ ولا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ﴾[١٦٠] الآية ، فجعل القوم مقابلا للنّساء. وقال الشاعر: "أقومٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِساءُ."[١٦١] إلاّ أن المراد ههنا ما يشمل الفريقين [١١/ب] لعموم إنذار الرسول.

﴿مَا أُنذِر آباؤُهُمْ﴾[١٦٢] وكلمة "ما" إما موصولة، أو موصوفة، فيكون مفعولا ثانيا "لتنذر"، والعائد محذوف أي: لتنذر قوما العذاب الّذي أنذر به آباءهم، أو عذابا أنذر به أباءهم. وإما مصدرية أي: لتنذرهم مثل مَا أُنذِر آباؤُهُمْ. وأما قوله تعالى في سورة السجدة ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾،[١٦٣] وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[١٦٤] وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى

---

١٥٩ سورة يس ٣٦/٦.

١٦٠ سورة الحجرات ٤٩/١١.

١٦١ الشوكاني، فتح القدير، ج: ١، ص: ١٠١، "زهير في قوله: وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقومٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِساءُ؟"

١٦٢ سورة يس ٣٦/٦.

١٦٣ سورة القصص ٢٨/٤٦؛ سورة السجدة ٣٢/٣.

١٦٤ سورة سبأ ٣٤/٤٤.

﴿الأُمَم﴾[١٦٥]، فهذه الآى إما تدل[١٦٦] على نفي إنذارهم ولا على نفي إنذار آبائهم، وإما نافية والجملة صفة "لقوما" تبين شدّة احتياجهم إلى الرسول، والمفعول الثاني محذوف. وهو عذابا أي: لتنذر قوما لم ينذر آباءهم عذاباً، كقوله ﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾[١٦٧]

ثمّ إنّ المراد بآبائهم الّذين لم ينذروا هم التطاول مدّة الفترة وعدم مجيئ نبي إليهم قيل رسول الله عليه وسلّم، كما يدل عليه الآي المنقولة آنفا. وأما أباؤهم لا يعدون وهم من ولد إسمعيل، فهم أنذروا، فلا منافاة بين كون[١٦٨] "ما" نافية وبين التوجيهات السابقة الدّالة على تحقق إنذار آبائهم.

وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[١٦٩] فقيل: المراد مِن الآية أهل عصر. لا يقال كون آبائهم الأقربين غير منذرين يستلزم أنْ لا يكونوا مؤاخذين على رأي إلاّ شعري، لأنّا نقول: يكفي في المؤاخذة كونهم مطلعين عللا شرائع الأنبياء، ومطلعين على أهل الكتاب، لكن لما كان كل مِن الأنبياء السالفة مرسلا إلى قومهم ولم يرسل إليهم رسول احتاجوا إلى رسول إليهم. فإن قلت لاشبهة في أنّ المراد بالآباء ههنا الأب الحقيقي والأجداد الّذين هم بمنزلة الأب، فيلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز، قلت: جاز أن يراد

---

١٦٥ سورة فاطر ٣٥/٤٢.

١٦٦ و: تذلّ.

١٦٧ سورة النبأ ٧٨/٤٠.

١٦٨ و: كونه.

١٦٩ سورة فاطر ٣٥/٢٤.

الأجداد الأقربون فقط من غير الأب، فيكون مجازا فقط، لا جمعا بينهما على أنّه يجوز الجمع بينهما في الجمع.

وقال القاضي البيضاوي:[١٧٠] "على تقدير كون "ما" نافية يكون الجملة صفة مبنيّة لشدّة [١٢/أ] احتياجهم إلى الإرسال."[١٧١] انتهى. واللام في قوله شدة احتياجهم صفة مبنية أي: صفة تبين شدة إحتياجهم.

وقد خفى هذا مع ظهوره على من قال في حله معنى كونها صفة مبنية إنّها صفة موضحة للقوم وقوله لشدّة احتياجهم بيان لما يصح إيراد الصفة المبنية. انتهى.

ولا يخفى سماحة هذا التوجيه، بلْ عدم استقامته والفاء في قوله: ﴿**فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾[١٧٢] على وجهه الأوّل متعلّقة بمعنى قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[١٧٣] أو بقوله ﴿لِتُنْذِرَ﴾[١٧٤] فالمعنى على وجهين: أنت مرسل إليهم لتنذرهم بسبب كونهم غافلين، أو بقوله ﴿تَنْزِيلُ﴾[١٧٥] أي: منزل بسبب غفلتهم. وعلى وجه الأخير أعني كون ما نافية الفاء

---

[١٧٠] القاضي البيضاوي، عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن علي الشِّيرَازِيّ الإمام نَاصِر الدّين أَبُو سعيد القاضي البيضاوي الْفَقِيه (المتوفى ٦٩١). من تصانيفه أنوار التَّنْزِيل فِي أسرار التَّأْوِيل فِي تَفْسِير الْقُرْآن، منهاج الْوُصُول إِلَى علم الأصول، طوالع الأنوار فِي علم الْكَلَام، نظام التواريخ فَارسي وَغير ذَلِك. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٤٦٣).

[١٧١] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٥، ص: ٢١١.

[١٧٢] سورة يس ٦/٣٦.

[١٧٣] سورة يس ٣/٣٦.

[١٧٤] سورة يس ٦/٣٦.

[١٧٥] سورة يس ٥/٣٦.

للتفريع على النفي على معنى أنهم غافلون لعدم إنذار آبائهم إنْ جعل ضمير"هم" راجعا إلى القوم، وإن جعل راجعا إلى الآباء، فالمعنى، فهم بقوا[١٧٦] على غفلتهم الّتي كانوا عليها، ولا يحسن[١٧٧] تعلّقه على هذا بمعنى قوله: إنك لمن المرسلين كما في الوجوه الآخر إذ الّذين إنّما ينساق بعد ملاحظة وصف القوم بعدم إنذار آبائهم إلى كونهم غافلين، لا إلى كون غفلتهم سببا لإرسال الرّسول إليهم هذا.

واعلم أنّ الماضي إذا وقع جوابا للقسم وكان مِن الأفعال المتصرّفة، لا بدّ له من "قد" أو "ربّما"، ولا يكتفي في الصورة الأولى "بقد" أيضا إلاّ للضرورة. وإذا طال القسم، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾[١٧٨] بلْ لا بدّ مع "قد" مِن اللام أيضا، نحو: والله ﴿لَقَدْ حَقَّ﴾[١٧٩] وتقرّر ﴿الْقَوْلُ﴾[١٨٠] ﴿مِنِّي﴾[١٨١] لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾،[١٨٢] فهذا الكلام جواب لقسم محذوف. وله نظائر كثيرة في التنزيل. والمعنى: والله لقد تقرّر وصادف كلمة العذاب منّا ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾[١٨٣] فلذلك ما[١٨٤] آمن منهم إلاّ

---

١٧٦ و: نقوا.

١٧٧ و: يحسّ.

١٧٨ سورة الشمس ٩١/١؛ و: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، (سورة الأعلى ٨٧/١٤).

١٧٩ سورة يس ٣٦/٦.

١٨٠ سورة يس ٣٦/٦.

١٨١ ى – مني.

١٨٢ سورة السجدة ٣٢/٣١.

١٨٣ سورة يس ٣٦/٦.

قليلا، لأنّه لا يبدل القول لديّ. ﴿فَهُمْ﴾[185] أي: ذلك الأكثرون ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[186] الفاء إما للتفريع وإفادة أنّ ثبوت القول عليهم علّة لعدم إيمانهم إنْ جعل المعلوم تابعا للعلم، لأنّ من حقّت عليهم كلمة العذاب ممّن علم الله تعالى ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[187] فوجب أنْ لا يؤمنوا بحكم التبعية[188] وإما للتعليل وإفادة أنّ عدم الإيمان علّة لثبوت [١٢/ب] القول إنْ جعل العلم تابعا للمعلوم، لأنّ كونهم ممّن حقّت عليه كلمة العذاب. وتعلّق العلم الأزلي بعدم إيمانهم إنّما هو بسبب أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بحكم هذه التبعية والوجود عليه عند المحققين.

رُوِي "أَنَّ أَبَا جَهْلٍ كَانَ قَدْ حَلَفَ لَئِنْ رَأَى مُحَمَّدًا يصلي ليرضخنّ رأسه فأتاه وَهُوَ يُصَلِّي وَمَعَهُ حَجَرٌ لِيَدْمَغَهُ به، فَلَمَّا رَفَعَهُ أُثْبِتَتْ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ وَلَزِقَ الْحَجَرُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا عاد إلى أصحابه وأخبرهم بِمَا رَأَى سَقَطَ الْحَجَرُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أَنَا أَقْتُلُهُ بهذا الْحَجَرِ، فَأَتَاهُ فَأَعْمَى اللَّهُ تَعَالَى بَصَرَهُ، وكان يَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا يَرَاهُ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَرَهُمْ[189] حَتَّى نَادَوْهُ فَقَالُوا لَهُ: مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُهُ وَلَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَهُ وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَهَيْئَةِ الْفَحْلِ يَخْطُرُ بِذَنبِهِ، لَوْ دَنَوْتُ مِنْهُ لَأَكَلَنِي."[190] فنزل قوله تعالى.

١٨٤ ى + من.

١٨٥ سورة يس ٦/٣٦.

١٨٦ سورة يس ٦/٣٦.

١٨٧ سورة يونس ٣٣/١٠.

١٨٨ و – تلك.

١٨٩ و: يره.

١٩٠ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج: ٤، ص: ٦.

﴿إنّا جَعَلْنَا في اَعْنَاقِهِمْ اَغْلاَلاً﴾[١٩١] أي: شددنا أيديهم إلى أعناقهم ﴿فهي﴾[١٩٢] أي: الايدي الدّال عليها الأغلال مغلولة ومردودة ﴿إلى اَلاَذْقَانِ﴾[١٩٣] إلى الحنك الأسفل، فإنّ الذقن مجمع اللحيين. ويجوز إرجاع الضمير إلى الأغلال أي: الأغلال واصلة إلى أذناقهم فلا تخليهم يطأطؤن رؤسهم[١٩٤] لما[١٩٥] أنّ طوق الغلّ الّذِي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذّقن حلقه فيها عمود يكون رأسه خارجا مِن الخلقة إلى الذّقن فلا يخليه[١٩٦] يخفض رأسه. ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾[١٩٧] غاضوا الأبصار رافعوا الرؤوس، فإن المقمح على صيغة اسم الفاعل الّذِي رفع رأسه وغضّ بصره، كما يقال: بعير مقمح إذا رفع رأسه وغض بصره. ويجوز أنْ يكون على صيغة اسم المفعول، فإنّه لما غلّت أيديهم إلى أعناقهم رفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم، فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال. ويجوز أنْ يكون هذا الكلام إخبارا عن فضاعة حالهم يوم القيامة ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾،[١٩٨] فالتعبير بلفظ الماضي لكونه متحقق الوقوع.

---

١٩١ سورة يس ٨/٣٦.

١٩٢ سورة يس ٨/٣٦.

١٩٣ سورة يس ٨/٣٦.

١٩٤ ى: راؤسهم.

١٩٥ ى + لما.

١٩٦ ى: تجلّيه.

١٩٧ سورة يس ٨/٣٦.

١٩٨ سورة غافر ٧١/٤٠.

وقد يقال هذا الكلام كناية عن استكبارهم للحقّ، كما يجعل خفض الأعناق كناية عن التواضع، كما قال *تعالى*: ﴿*فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ*﴾[١٩٩] [١٣/أ]

﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا**﴾[٢٠٠] أي: حاجزا عظيما لا يكتنه كنهه. ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾[٢٠١] أيضا ﴿**سَدًّا**﴾[٢٠٢] كذالك عظيما إذ التنكير في الموضعين للتفخيم.

وسدّا رُوِي[٢٠٣] بالفتح والضّمّ. وقد يفرق بينهما بأنّ الأوّل ما فيه مدخل لقدرتنا بخلاف الثاني. ﴿**فَأَغْشَيْنَاهُمْ**﴾[٢٠٤] إما مِن التغشية بالغين بالمعجمة بمعنى التغطية، أو من[٢٠٥] الغشاية بالمهملة بمعنى ضعف البصر بالمعنى حينئذ على حذف المضاف. أي: أغشينا أبصارهم ﴿**فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾[٢٠٦] ما حولهم، كما وقع للرّجل المخزومي ويجوز جعل الآيتين الكريمتين من[٢٠٧] الاستعارة التمثيلية بأنْ يعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من إصرارهم على الكفر وتمادهم في الغي بحيث لا يلتفتون لفت الحق. ولا يتأملون فيه، فطبع على قلوبهم، فلا

---

١٩٩ سورة الشعراء ٢٦/٤.

٢٠٠ سورة يس ٣٦/٩.

٢٠١ سورة يس ٣٦/٩.

٢٠٢ سورة يس ٣٦/٩.

٢٠٣ و ، ى: قرى.

٢٠٤ سورة يس ٣٦/٩.

٢٠٥ و: بمعنى.

٢٠٦ سورة يس ٣٦/٩.

٢٠٧ و، ى + قبيل

يغنى[٢٠٨] عنهم الآيات والنذر بالهيئة المنتزعة مِن الذين غلّت أيديهم في أعناقهم مردودة إلى أذقانهم غير ناكسين رؤسهم وعاطفين أعناقهم، نحو: قدامهم ليروا ما فيها.

وقد أحيطوا بسدين مِن ورائهم وقدامهم، فلا يبصرون شيئا مِن قدامهم وخلفهم. ووجه الشبه هو هيئة منتزعة أخرى، وهي صورة المنع المسبّب مِن اجتماع عدة موانع، والموانع في جانب الشبه[٢٠٩] هي موانع الإسلام وحواجزه مِن التمادي في الغي والاستكبار وتقليد الأسلاف[٢١٠] والحبس في مطمورة الجهالة، وفي جانب المشبه به الأغلال والسلاسل والحبس في مطمورة لا يرى فيهن شيء ممّا في الآفاق، ويجوز جعلها[٢١١] مِن قبيل التشبيه المركب، أعني تشبيه أمور متعدّدة بأخرى على طريق التوزيع مِن غير اعتبار انتزاع الهيئة، فيعبّر تشبيه تصميمهم على الكفر مكبّين عليها بذِي الأغلال واستكبارهم عن الحق عنادا وعلوّا بالأقماح المستلزم لعدم الالتفات. ويجعل عدم النظر في القرون الماضية مشبّها بالسّدّ مِن خلفهم، وعدم تأملهم في العواقب مشبّها بالسدّ[٢١٢] من[٢١٣] قدامهم.

---

[٢٠٨] و: تغن.
[٢٠٩] و، ى: المشبه.
[٢١٠] و: الإسلام.
[٢١١] ى: جعلهما.
[٢١٢] و – من خلفهم و عدم تأملهم في العواقب مشبّها بالسدّ.
[٢١٣] و: عن.

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾[٢١٤] لفظ[٢١٥] "سواء" اسم بمعنى الاستواء، اجري على ما يتصف[٢١٦] بها، أو بمعنى المستوى. وقوله: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾[٢١٧] [١٣/ب] بتأويل المصدر مرفوع به على الفاعلية. أي: مستو عليهم إنذارك وعدمه. وهو مرفوع بالابتداء، و"سواء" خبره مقدما عليه، ورجح الثاني بأنّه لما كان اسما غير صفة، فالأصل أن لا يعمل. ثُمّ إذا جعل بمعنى اسم الفاعل فأتت المبالغة المقصودة مِن الوصف بالمصادر على ما حققوا في قوله إنما هي إقبال وإدبار، ووجه إفراده على الأوّل ظاهر. وعلى الثاني لجهة مصدرية والهمزة وفي[٢١٨] "أم" في الأصل للإستفهام، والدلالة على أحد الأمرين المستوين في علم المستفهم، وعطف أحدهما على الآخر، لكن جرّدنا عن الاستفهام والدلالة على أحد الأمرين لمجرد[٢١٩] الاستواء في علم المستفهم والعطف، فصار الفعلان مع الحرفين في تأويل اسمين موصوفين بالاستواء في علم المستفهم بينهما واو العطف، فكأنه قبل الإنذار وعدمه المستويان في صحة الوقوع في علم المستفهم مستويان، ففي عدم التأثير فيهم. ولا شك أنّ الاستواء المستفاد مِن الحرفين، غير الاستواء المفهوم من سواء[٢٢٠] في مثل هذا المقام خبر

---

٢١٤ سورة يس ٣٦/١٠.

٢١٥ و، ى: لفظة.

٢١٦ ى + با الاستواء كما يجري المصادر على ما يتصف بهما.

٢١٧ سورة يس ٣٦/١٠.

٢١٨ و، ى – في.

٢١٩ ى + المجرد والاستفهام في علم المستفهم والعطف فصار الفعلان مع الاستواء... .

٢٢٠ و، ى + فلا تكرار وذهب بعض النحاة إلى أنّ سواء.

مبتدإ محذوف أي: الأمران سواء عليهم. وإنّ الهمزة بما بعدها بيان للأمرين والفعلان في معنى الشّرط على أنْ يكون الهمزة بمعنى أن الجامع استعمالهما في غير المتيقن و"أم" بمعنى "أو"، لأنّ كليهما لأحد الأمرين، والجملة الاسمية أعني الأمران سواء دالّة على الجزاء. والمعنى أن (أَنْذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ)، فهما: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ. وإنما خصّ الإنذار بالذكر مع أنّ للبشارة أيضا تأثيرا في القلب، لأنّ الإنذار اشتدّ تأثيرا فيه مِن حيث أنّ دفع الضّرّ أهم من جلب النفع، فإذا لم يؤثّر إلاّ قوى كان الأضعف بعدم التأثير أولى، لأنّهم ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٢٢١] تاكيد، أو بيان[٢٢٢] للجملة قبلها أعني: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ اَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ. وحينئذ يكون محله الرفع.

ثُمّ إنّ ههنا إشكالا مشهورًا نورده مع جوابه تعميما للفائدة وهو أنّهم ما مأمورون بأنْ يؤمنوا دائما وهو محال، لأنّه تعالى أخبر عنهم بأنّهم لا يؤمنون. والإيمان تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه به وممّا جاء به أنهم [١٤/أ] لا يؤمنون.

فيكونون في حال إيمانهم على الاستمرار مأمورين بأنْ يؤمنوا بأنّهم لا يؤمنون، ويصدّقوا بأنّهم لا يصدّقون. والتصديق المستمر بعدم التصديق تصديق بما علم المصدّق مِن نفسه خلافه، فإن من كان مصدّقا كان عالما بتصديقه علما ضروريّا وجدانيّا فلا يمكنه

---

[٢٢١] سورة يس ١٠/٣٦.

[٢٢٢] و: تأكيدا وبيانه.

حينئذ التصديق بعدم التصديق، لأنّه يجد في باطنه خلافه وهو التصديق، بلْ يكون علمهم بتصديقهم موجبا لتكذيبهم في الإخبار بأنّهم لا يؤمنون.

فالإيمان المشتمل على ما ذكر محال لاستلزامه الجمع بين التصديق والتكذيب في حالة واحدة، فيكون تكليفا بما لا يطاق مع أنّه ﴿لا يُكَلِّفُ اللّهُ[٢٢٣] نَفْسًا[٢٢٤] إِلَّا وُسْعَهَا﴾.[٢٢٥] وأجيب بأنّ الإيمان هو التصديق الإجمالي. أي: التصديق بأنّ كلّ ما جاء به النبي عليه الصلوة والسلام، فهو حق، ولا استحالة فيه، وإنّما المحال التصديق التفصيلي، لأنّه مشروط بالعلم بوجود هذا الخبر، فيلزم الجمع بين النقيضين. وفيه أنّ التحقيق أن الإيمان هو التصديق إجمالا فيما علم إجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا، فالحق في الجواب ما قاله[٢٢٦] بعض المحققين، وهو أنّهم لم يكلفوا إلاّ بتصديقه، وإنّه ممكن في نفسه، متصور[٢٢٧] وقوعه إلاّ أنه مما علم الله تعالى أنّهم لا يصدّقونه لعلمه بالعاصين وإخباره لرسوله عم،[٢٢٨] كإخباره لنوح[٢٢٩] بقوله نُوحٍ ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ[٢٣٠] مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾،[٢٣١] لأنّه أخبرهم بذالك.

---

[٢٢٣] و، ی: تكلف ؛ ش: – اللّهُ.

[٢٢٤] ش: نفس.

[٢٢٥] سورة البقرة ٢/٢٨٦.

[٢٢٦] و: قال.

[٢٢٧] و: مصوّر.

[٢٢٨] و – عم (عليه السلام).

[٢٢٩] و + عم (عليه السلام).

لا يخرج الممكن عن الإمكان بعلم، أو خبر، نعم لو كلّفوا بالإيمان بعد علمهم بإخباره بأنّهم لا يؤمنون لكان مِن قبيل ما علم المكلّف امتناع وقوعه منه. ومثل ذلك غير واقع، لأنّه يوجب انتفاء فائدة التكليف وهو الابتلاء لاستحالته منهم، فلذلك لو علموا لقسط[٢٣٢] منهم التكليف. انتهى.

ثُمّ إذا لم ينفعهم الإنذار فـ﴿ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[٢٣٣] وإنذار مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ، لأنّه:

﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾[٢٣٤] وتنفع[٢٣٥] إنذارك ﴿مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾[٢٣٦] أي: من كان في مقام اتباع الذكر، وقبول النصح طالبا للحق، لا معاندا مستبدًّا برأيه. ﴿وَخَشِيَ﴾[٢٣٧] عقاب ﴿الرَّحْمنُ﴾[٢٣٨]ولا يغترّ [١٤/ب] برحمته وبما يلقيه الشيطان من أنّ ربّك رحمان لا يعجل بالعقوبة، بلْ يعفوا ويصفح برحمته، فافعل ما شئت. فإن هذه تمويه وتلبيس منه: أن محض الرحمة لا يقتضي إهمال الظّالم وتسوية المطيع والعاصي، كما قال تعالى وتقدّس: ﴿أَمْ حَسِبَ

٢٣٠ ش + لك.
٢٣١ سورة هود ٣٦/١١.
٢٣٢ و: القسط.
٢٣٣ سورة الأنعام ٩١/٦.
٢٣٤ سورة يس ١١/٣٦.
٢٣٥ و: اي تنفع ؛ ى: فتنفع.
٢٣٦ سورة يس ١١/٣٦.
٢٣٧ سورة يس ١١/٣٦.
٢٣٨ سورة يس ١١/٣٦.

﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾[٢٣٩] كيف فكما أنّه رحمان؟ فكذلك قهار، غضبان. فنعوذ بالله من غضب الحليم، بلْ مقتضى الرّحمة الجدّ في الطاعة، لا الانهماك[٢٤٠] في العصيان، لأنّ الرحمان من هو مفيض الجميع النّعماء، فيجب أنْ يخشى لئلا يزيل نعمه. ﴿**بِالْغَيْبِ**﴾[٢٤١] وهو إما مصدر "غاب" غياب يطلق على الغائب مبالغة، أو على حذف مضاف، أو على جعل المصدر بمعنى اسم الفاعل وإما مخفف فيْعل كَهَيْن وهيّن وأمثاله. لكن يردّ على هذا أنّه مقصور على ما سمع مثقلا، وما نحن فيه ليس كذلك ومعناه الخفي الّذي لا يكون محسوسا، ولا في قوة المحسوسات، كالمعلومات ببداهة[٢٤٢] العقل، أو ضرورة الكشف وذلك على قسمين قسم نصب عليه دليل، فيمكن معرفته، كذات الله سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأحوال الآخرة إلى غير ذلك مما يجب على العبد معرفته وكلف بها، وهو غائب عنه لا يشاهده، ولا يعاينه، لكن يمكن معرفته بالنظر الصّحيح، وقسم لا دليل عليه، فلا يمكن للبشر معرفته، كما قال تعالى﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾.[٢٤٣] فالباء إما للظّرفية والغيب صفة العقاب. أي: خشي قبل معاينة العقاب ومشاهدة أهوال العذاب، أو

---

٢٣٩ سورة الجاثية ٤٥/٢١.

٢٤٠ و: نمهاك.

٢٤١ سورة يس ٣٦/١١.

٢٤٢ و: ببديهة ؛ ى: ببديهية.

٢٤٣ سورة الأنعام ٦/٥٩.

بمعنى السّرّ. أي: خشي في سرّه وخلوته غائبا[٢٤٤] عن أعين الناس لا أنْ يكون مظهرا للخشية وهو غير خاش. وإما للملابسة والظرف مستقرّ حال، إما عن الفاعل والمفعول. أي: خشي كون الخاشي ملتبسا بغيبته المخشي عن الخاشي، أو حال كون المخاشي ملتبسا بغيبته عن الخاشي فأفهم. ويمكن أنْ يقول على مشرب أهل الذّوق إن المراد بالغيب غيب[٢٤٥] الغيب الّذِي هو ذاته المطلقة [١٥/أ] وهويته الغيبيّة السّارية في الكل علما وعيناً. ولا يمكن أنْ يتعلق به بهذا الاعتبار علم لكونه محتجبا في حجاب عزته، فلا نسبته بينه وبين ما سواه. فالخوض في معرفته بهذا الاعتبار والتشوق إلى طلبه تضييع للوقت وطلب للمحال. ولذلك قال سبحانه وتعالى بلسان الرحمة والإرشاد ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢٤٦] فمن رأفته أن اختار راحتهم وحذّرهم عن السّعي في تحصيل ما لا يحصل[٢٤٧]، لكن بحكم قوله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾[٢٤٨] لهذا الوجود الحق درجات تعيينات ومراتب تنزّلات هي ظهوره وتجلّيه في المراتب العلمية الإجماليّة والتفصيلية والعينية المثالية والشهودية، وانصباغه بأحكام الأعيان وآثارها وبهذا الاعتبار يتعلق به المعرفة وفيها

---

٢٤٤ و، ى: غايبا.

٢٤٥ و – غيب.

٢٤٦ سورة آل عمران ٣/٣٠.

٢٤٧ و: في تحصيل طلب ما لا يحصل؛ ى: في ما لا يحصل.

٢٤٨ سورة غافر ٤٠/١٥.

زمنها يقع الكلام. فالمعنى، والله أعلم، إنّما ينفع إنذارك ﴿مَن إتَّبعَ الذِّكْرَ﴾ [٢٤٩] أي: القرآن وامتثل بما فيه[٢٥٠] من طلب ما يمكن ويعنيه[٢٥١] وعدم تضييع الوقت في طلب المحال وما لا يعنيه[٢٥٢] ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ﴾ [٢٥٣] الملتبس[٢٥٤] بغيب الهوية، فلا يحوم حوم طلب معرفته بذلك الاعتبار محال ومقتضى رحمانيته أنّه حذّر عن طلبه بهذا الاعتبار.

ثُمّ إنّ ﴿مَنْ إتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بالغَيْبِ﴾ [٢٥٥] حقيق بأنْ يبشر. ﴿فَبَشِّرْهُ﴾[٢٥٦] المأمور بالتبشير إما على الرسول صلى الله عليه وسلم، كما هو الظاهر. وإما كل أحد إيذانا بأنّ المبشر به لعظم قطره جدير بأنْ يبشر به كل من قدر على التبشير، والبشارة أوّل خبر مِن خير أو شر، قالوا: لأنّ أثرهما إنّما يظهر في البشرة.

وهي أوّل ما يظهر مِن الإنسان وهو ظاهر جلده، فهي تنبئ عن الأوّليّة والظهور. ولهذا يطلق تباشير الصّبح: على ما ظهر مِن أوائل ضوئه وهذا رأى سيبويه[٢٥٧] إلاّ أن الأكثر

---

[٢٤٩] سورة يس ٣٦/١١.

[٢٥٠] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج: ٤، ص: ١٧٧٨.

[٢٥١] و: يعينه.

[٢٥٢] و: يعينه.

[٢٥٣] سورة يس ٣٦/١١.

[٢٥٤] ى: المتلبس.

[٢٥٥] سورة يس ٣٦/١١.

[٢٥٦] سورة يس ٣٦/١١.

[٢٥٧] سيبويه (١٤٨ – ١٨٠ هـ)، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٨٠٢).

استعمالها في الخبر. وذهب صاحب الكشّاف[٢٥٨] إلى أنّها مختصة بالخير، واستعمالها في الشر على سبيل التهكم واستعارة أحد الضّدّين للآخر استهزاءً، فالمعنى أخبره قبل كلّ شيءٍ بخير أعني ﴿**بِمَغْفِرَةٍ**﴾[٢٥٩] مِن الله تعالى وستر لذنوبه ﴿**وَأَجْرٍ كَرِيمٍ**﴾[٢٦٠] حسن كالجنّة ولقاء وجه الله الكريم وغير ذلك مما [١٥/ب] ﴿*لا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ*﴾.[٢٦١]

ثم إنّهم كانوا يقولون ﴿*إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ*﴾[٢٦٢] في الآخرة هدّدهم بردّ ما زعموا وتقرير أمر البعث بعد الموت على ما قال ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى**﴾[٢٦٣] أي: نبعثهم جميعا بجمع أجزاءهم[٢٦٤] الأصلية المتفرقة المتبدّدة وإعادة الروح إليها. ويؤيّد قصة إبرهيم على نبيّنا وعليه السلام، أو بإيجادها بعينها ثانيا بعد ما انعدمت على ما ذهب إليه أكثر المتكلّمين مِن جواز إعادة المعدوم بعينه وتفصيله يطلب مِن الكتب الكلامية المبسوطة وتقديم المسند إليه لكونه أهم والأضل.[٢٦٥] وأما تكريره، فللتقوية

---

٢٥٨ الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ١٠٤.

٢٥٩ سورة يس ١١/٣٦.

٢٦٠ سورة يس ١١/٣٦.

٢٦١ سورة السجدة ١٧/٣٢.

٢٦٢ سورة المؤمنون ٣٧/٢٣.

٢٦٣ سورة يس ١٢/٣٦.

٢٦٤ و: أجزاهم.

٢٦٥ ى: الأضل.

والتأكيد، أو للقصر، أو للفصل، فإن توسيط ضمير الفصل بين المبتدإ والخبر، وإنْ كان مشروطا بكون الخبر معرّفا باللّام، أو فعل من كذا إلاّ المضارع لشبهته بالمعرف باللام في عدم دخول اللام عليه جوّز فيه ذلك، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[٢٦٦] ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾،[٢٦٧] بلْ في الماضي أيضا، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾.[٢٦٨]

﴿**وَنَكْتُبُ**﴾[٢٦٩] أيْ، كما أنا نحن نحييهم جميعا بعد موتهم لتجازيهم[٢٧٠] بما كسبوا إن خيرا فخير، وإنّ شرّا فشرّ، كذلك نكتب ونستنسخ ﴿**مَا قَدَّمُوا**﴾[٢٧١] وأسلفوا مِن خير وشرّ وإيراد "قدّموا" بلفظ الماضي لكون الكتابة بعد التّقديم ﴿**وَآثَارَهُمْ**﴾[٢٧٢]وما أخّروه مِن آثارهم الّتي تبقى عنهم بعد وفاتهم على ما يدلّ عليه حديث مسلم من أنّه: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، ووَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ.»[٢٧٣]

---

٢٦٦ سورة البروج ٣١/٨٥.

٢٦٧ سورة فاطر ١٠/٣٥.

٢٦٨ سورة النّجم ٤٤/٥٣،٤٣.

٢٦٩ سورة يس ١٢/٣٦.

٢٧٠ و: ليجازيهم.

٢٧١ سورة يس ١٢/٣٦.

٢٧٢ سورة يس ١٢/٣٦.

٢٧٣ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد، ج: ٣، ص: ١٢٥٥، رقم الحديث: ١٦٣١ بلفظ؛ «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. »؛ ابن حزم ، حجة الوداع، ج:

الصّدقة الجارية محمولة عند العلماء على الوقف. كذا قال بعض المفسرين إلاّ أنه يوهم اختصاص الآثار المكتوبة بالخيرات، فالأولى ما قاله بعض المفسرين من أنّ المراد ما سنّ[274] سنة حسنة، أو سيّئة. قال ءم:[275] «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، يَعْمَلُ بها مِنْ بَعْدِهِ[276] كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا مَنْ عَمِلَ بها ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ».[277]

وقد يقال المراد من "آثارهم" المكتوبة خطاهم إلى المساجد. لما رُوِي أن بني سلمة كانت منازلهم [١٦/أ] بعيدة، وكان يشقّ عليهم حضورهم إلى الصلوات، فأرادوا أنْ يتحولوا إلى قرب المسجد، فنزلت الآية توطينا لهم لما قاسوا مِن المشقة.

١، ص: ٢٧٣، بلفظ «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ» أَوْ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَذَكَرَ: «صَدَقَةً جَارِيَةً، وَعِلْمًا، وَوَلَدًا صَالِحًا يَدْعُو لَهُ.»

[274] و، ى: سنّوه.

[275] و، ى: النّبي عليه السّلام.

[276] و، ى + كان له أجرها. ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنّ في الإسلام سنة سيّئة يعمل بها من بعده.

[277] مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، باب الحث على الصدقة، ج: ٢، ص: ٧٠٤، رقم الحديث: ١٠١٧، بلفظ «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»؛ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، باب من سن سنة حسنة، ج: ٤، ص: ٢٠٥٩، رقم الحديث: ١٠١٧، بلفظ «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»؛ أنظر: الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: ١، ص: ٤٥٨.

ثُمّ إنّ هذه الكتابة أعني كتابة ما قدّم وما أخّر هو كتابة الحفظة وهي غير ما يكتب بعد نفخ الروح في الجنين على ما رُوِي في الحديث أنّه يرسل ملك، فينفخ في الجنين الرّوح، فيؤمر بأربع[٢٧٨] كلمات: يكتب رزقه وعمله وأجله وسعيد، أو شقي.[٢٧٩] ثُمّ إنّ فيما يكتبه الحفظة قولان:

أحدهما أنْ يكتب كل شيء قولا، أو عملا حتى أنّه ليكتب قوله: أكلت وشربت. فإذا كان يوم الخميس يعرض قوله وعمله، فيثبت ما كان فيه خير، أو شرّ وإلا يمحى، فلذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٢٨٠] وهذا هو المروي عن ابن عبّاس.

والثاني أنه لا واسطة بين الأعمال الصّالحة والطّالحة. وأن ما ليس حسنة، فهو سيّئة. وإنْ كان لا يعاقب عليها، فان بعض السّيّئات، قد لا يعاقب عليها[٢٨١] مكفّرة باجتناب الكبائر هذا ولا يظنّ أنّ كتابتنا جميع ما فعلوا سابقا ولاحقا للضّبط والإحصاءِ، بلْ لازما الحجّة وتبكيتهم كيف؟ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾[٢٨٢] أي: كل موجود مِن الأزل إلى الأبد إذ الشيء عندنا يختص بالوجود، لأنّه في الأصل مصدر "شاءَ" أُطْلِق تارة بمعنى "شاءٍ" اسم فاعل،

---

٢٧٨ و: أربع.

٢٧٩ و: وشقي أو سعيد.

٢٨٠ سورة الرعد ٣٩/١٣.

٢٨١ ى + يقع؛ و + تقع.

٢٨٢ سورة يس ١٢/٣٦.

وحينئذ يتناول الباري سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾.[283] وبمعنى اسم المفعول أعني مشيء تارة أخرى. أي: مشيء وجوده. ولا شك أن ما شاء الله وجوده، فهو موجود في الجملة، لأنّه ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[284] وعلى المعنى الثاني وقع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[285] و﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[286] فهما على عمومهما بلا احتياج إلى استثناء الواجب والممتنع، لأنّ المشيءَ الّذِي شاء الله وجوده لا يمكن أنْ يكون واجبا ولا ممتنعا، فلا يدخلان في الشيء حتى إلى استثنائهم عقلا وتخصيصه بالممكن. وأما المعتزلة فلما قالوا: الشيء ما يصحّ أنْ يوجد وهو يعم الواجب والممكن، أو ما يصح أنْ يعلم ويخبر عنه، فيعم الممتنع أيضا لزمهم تخصيص الشيء بالممكن في الموضعين بدليل العقل مع أنّه لا يكفي التخصيص بالممكن في تصحيح قوله *تعالى* ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[287][١٦/ب] لوجهين:

---

[283] سورة الأنعام ١٩/٦.

[284] سورة يس ٨٢/٣٦.

[285] سورة البقرة ١٠٩/٢، ٢٠، ٢٠٩، ١٤٨؛ سورة آل عمران ١٦٥/٣؛ سورة النحل ١٦٧/١٦؛ سورة النور ٤٥/٢٤؛ سورة العنكبوت ٢٠/٢٩؛ سورة فاطر ١/٣٥.

[286] سورة الزمر ٦٢/٣٩ ؛ سورة الرعد ١٦/١٣.

[287] سورة الزمر ٦٢/٣٩ ؛ سورة الرعد ١٦/١٣.

أحدهما أنّه ما ثبت أنّ كل ممكن، فهو مخلوق الله تعالى، اذ يجوز أنْ يكون ممكنا لا يوجد أصلا، ولم يتعلّق الإرادة بوجوده، كما قال تعالى:﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[٢٨٨] ونظائره كثيرة.

وثانيهما أن فعل العبد لا شكّ أنّه ممكن مع أنّه تعالى ليس بخالق له في زعمهم لكون العبد مستقلا في خلق أعماله عندهم، بلْ نقول: إذ لم يمكن أنْ يكون مقدور بين قادرين، كما هو مذهب جمهور المعتزلة، لا بد أنْ يستثنى أفعال العباد على مذهبهم عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٢٨٩] أيضا.

ولا يرد هذا على مذهب أهل السّنّة، لأنّ الشيء إذا كان بمعنى المشيئ، فكل شيء مقدور ومخلوق على حسب المشيئة، فان قلت كيف يستقيم كون الشيء بمعني المشيئ. أي: مشي الوجود في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾[٢٩٠] لأنّ لم يمكن مشيء الوجود، لا يمكن خلقه قلت: معناه؛ إنّك لم تكن من قبل الخلق مشي الوجود وإلاّ لما تأخّر خلقك إلى الوقت المعلوم، لأنّ أَمْرَهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أنْ لا يختلف المراد عن إرادته، فتصبر.[٢٩١] وبالجملة كل ما وجد، أو سيوجد مرتسمة في عرصة علمنا مع أوقاتها الواقعة هي فيها ﴿لا

---

[٢٨٨] سورة السجدة ١٣/٣٢

[٢٨٩] سورة البقرة ٢/١٠٩، ٢٠، ١٤٨،٢٠٩؛ سورة آل عمران ١٦٥/٣؛ سورة النحل ١٦٧/١٦؛ سورة النور ٤٥/٢٤؛ سورة العنكبوت ٢٩/٢٠؛ سورة فاطر ١/٣٥.

[٢٩٠] سورة مريم ٩/١٩.

[٢٩١] و + وسيجيئ زيادة تحقيق في معنى الشيئة في آخر السورة ان شاء الله تعالى.

يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾[٢٩٢] ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾[٢٩٣] أي: أحصينا كل شيء، فأحصينا مشتغل عنه كل شيء بضميره لو سلّط عليه هو لنصبه، فهو منصوب بإضمار[٢٩٤] على شريطة التفسير، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.[٢٩٥] وقرئ بالرفع، والمختار النصب الخوف ليس المفسر بالصفة والمراد بالإحصاء الحفظ، لأنّه من معاني الإحصاء، والمراد بالشيء المحفوظ الأمور الكائنة في هذا العالم إلى يوم القيامة، فإن أمور الآخرة لعدم كونها إرادة التكليف،[٢٩٦] لا يحتاج إلى حفظه. ﴿فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٢٩٧]وهو اللوح المحفوظ، سمّى إماما لكونه أصل كلّ ما كتب مِن كتب وصحف، كما سمّى مصحف عثمان رضي الله عنه إماما لذلك، وكونه مُبينا لإبانته وإظهاره ما فيه لمن يطالعه.

قال حجة الإسلام: "جميع ما جرى في العالم وما سيجري مكتوب فيه، ومنقوش عليه نقشا. لا تشاهده هذا العين، ولا تظنّن[٢٩٨] أن ذلك اللوح مِن خشب، أو حديد. وإنّ الكتاب من كاغد أو رق، بلْ ينبغي أنْ تفهم قطعا إنّ لوح الله تعالى لا يشبه لوح

---

[٢٩٢] سورة الكهف ٤٩/١٨، تمام الآية : ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا.﴾

[٢٩٣] سورة يس ١٢/٣٦.

[٢٩٤] و: عامله

[٢٩٥] سورة القمر ٤٩/٥٤.

[٢٩٦] ى: دار التكليف.

[٢٩٧] سورة يس ١٢/٣٦.

[٢٩٨] و: تظن.

الخلق،[٢٩٩] وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق، كما أنّ ذاته وصفاته لا يشبه [١٧/أ] ذات الخلق وصفاتهم، بلْ إن كنت تطلب له مثالا يقربه إلى فهمك فاعلم أنّ ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ أيضا هي ثبوت كلمات القرآن وحروفه في دماغ حافظ القرآن وقلبه، فإنّه مسطور فيه كأنّه نظر إليه. ولو فتشت دماغه جزءًا جزءًا لم تشاهد مِن ذلك الخط حرفا، فمن هذا النّمط ينبغي أنْ يفهم كون اللوح منقوشا بجميع ما قدره الله وقضاه." انتهى.[٣٠٠]

ولما بيّن عزّ وجلّ بقوله "لقد حقّ القول" إلى ههنا حقيقة صفة المنكرين لرسالته عليه الصلوة والسلام أراد أنْ يكشف عنها كشفا تامّا، فعقبها بالأمر بضرب مثل رجل عيسى عليه السلام ومبالغة في البيان، فقال:

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾[٣٠١]والضرب إيقاع شيء على شيء، كضرب الشيء باليد والعصا والسيف ونحوها وضرب الدّراهم إعتبارا بضربه بالمطرفة والضرب في الأرض الذهاب فيها وهو ضربها بالأرجل وضرب الخيمة لضرب أوتادها بالمطرفة. "وضَرْبُ المثِلِ هو من ضَرْبِ الدّراهمِ، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره. والاضْطِرَابُ: كثرةُ الذّهاب في الجهات من الضّرب في الأرض."[٣٠٢] هكذا قال الراغب الاصفهاني.[٣٠٣]" والمثل في الأصل بمعنى المثل

---

٢٩٩ و: المخلوقين.

٣٠٠ الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، ج: ٤، ص: ٥٠٥.

٣٠١ سورة يس ١٣/٣٦.

٣٠٢ الراغب الإصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: ١، ص: ٥٠٦.

وهو النظير. يقال مِثل ومَثل ومثيل كشبه وشبَه وشبيه."[٣٠٤] ثُمّ قيل: مثل للقول السّائر[٣٠٥] أي: الفاشي، ويعتبر فيه مع الفشو أنْ يكون تشبيها تمثيليّا على سبيل الاستعارة، ومِن ثمه[٣٠٦] حوفظ عليه ولم يغيّر ليكون بعينه لفظ المشبه به، فإنْ وقع تغيير لم يكن مثلا، بلْ مأخوذا منه وإشارة إليه، كما في قولك بالصيف "ضيّعت اللين" على صيغة التذكير.

وقيل: إنّما يغيّر لأنه ينبغي أنْ يكون فيه غرابة مِن بعض الوجوه.[٣٠٧] فلو غير لربّما[٣٠٨] انتفت تلك الغرابة. وإنّما سمّي مثلا، لأنّه جعل مضربة وهو ما يضرب فيه ثانيا مثلا لمورده وهو ما ورد فيه أوّلا. ثُمّ استعير لكلّ حال، أو قصة، أو صفة لها شأن وفيها غرابة. فالمعنى ههنا: "اذكر لهم مثلا" أي: قصّة عجيبة.

﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾[٣٠٩] أي: مثلهم وقصتهم العجيبة الشأن، فأصحاب القرية بتقدير المضاف أعني المثل بدل مِن "مثلا"، أو المعنى: اجعل لهم وفي حقهم مثلا وقصة

٣٠٣ الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الإصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب. من كتبه محاضرات الأدباء، أخلاق الراغب، المفردات في غريب القرآن. (هدية العارفين، ج: ٤٥٨، ص: ٨١)

٣٠٤ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: ١، ص: ٧٥٩.

٣٠٥ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ١، ص: ٤٩.

٣٠٦ ى: ثم.

٣٠٧ الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج: ٢، ص: ٣١٢.

٣٠٨ و: ولو غيرا ربما.

٣٠٩ سورة يس ١٣/٣٦.

مثلهم وقصّتهم على أنْ يكون أيضا بتقدير المضاف [١٧/ب] مفعولا ثانيا، لا ضرب بتضمين معنى الجعل ايّاه.

قال المكي: "أصحّ ما يعطى القياس والنظر في "مثلا أصْحَابَ الْقَرْيَةِ" إنّهما مفعولان لا ضرب دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾[٣١٠] فلا خلاف في أنّ "مثل الحياة" مبتدأ، أو "كماء" خبره. وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ﴾[٣١١] فدخل "اضْرِبْ" على المبتدإ والخبر، فعمل فيهما، فقد تعدّى اضرب الّذِي هو لتمثيل الأمثال إلى مفعولين بلا خلاف فِي هَذَا فَوَجَبَ أَن يجْرِي فِي غير هَذَا الْموضع على ذَلِك."[٣١٢] انتهى. والمراد بـ"القرية" مدينة أنطاكية.[٣١٣] وقوله: ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[٣١٤] يدل مِن نفس لفظ الأصحاب، لا عن المضاف المقدّر، فإنّه لا معنى له والمراد بالزمان الّذِي أشير إليه بـ "إِذْ " زمان ممتد يسع فيه مجيء الثلاثة لأنّهم أرسلوا متفرقة وأزمنة مجيئهم مخلّفة على ما ينطق به قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾[٣١٥] فهذا بدل

---

[٣١٠] سورة يونس ٢٤/١٠.

[٣١١] سورة الكهف ٤٥/١٨.

[٣١٢] مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ج: ٢، ص: ٦٠٠.

[٣١٣] و: انطاقية.

[٣١٤] سورة يس ١٢/٣٦.

[٣١٥] سورة يس ١٤/٣٦.

مِن قوله: ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. ثُمّ إنّ "المرسلين" هم رسل عيسى،[٣١٦] إلاّ أنه لما كان بأمر الله[٣١٧] وإذنه أسند إرساله إلى نفسه. واختلف في الإثنين الّذين أُرسلا. والأصح أنّهما يحيى وبولش بالباء الموحدة المفتوحة والواو الساكنة واللام المفتوحة، ثُمّ الشين المعجمة.

واعلم أنّ في هذا الكلام طيّاً وايجازً، يقال له في عرف البلاغة "قصر المسافة" إذ المعنى، فأتى المرسلان إليهم، فبلّغا ما أرسلا به. ﴿**فَكَذَّبُوهُمَا**﴾[٣١٨] لأنّهما لما قربا إلى مدينة أنطاكية رأيا حبيب النّجّار يرعى غنما، فسألهما: "منْ أنتما"، فقالا: رسولا عيسى عليه السلام، ندعوكم مِن عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمان. فقال: أمعكما آية، فقالا، نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص. وكان له ولد مريض، فمسحاه، فبرآه، فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على أيديهما خلق[٣١٩] وبلغ حديثهما إلى الملك، وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآلهتك؟. قال: قُومَا حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس[٣٢٠]، فأخذوهما وضربوهما في السوق.

---

٣١٦ و+ عم (عليه السلام).

٣١٧ ى + تع ؛ و + تعالى.

٣١٨ سورة يس ١٤/٣٦.

٣١٩ و + كثير.

٣٢٠ و – الناس.

ولما كُذّب الرسولان وانعكس هذا الخبر إلى عيسى ءم بعث شمعون ظهيرا لهما ونصيرا إيّاهما، كما قال عزّ مِن قائل: ﴿فعزّزْنَا بِثَالِثٍ﴾[٣٢١] أي: فقويناهما [١٨/أ] وأيّدنا أمرهما بإرسال ثالث وهو شمعون. فمفعول "عززنا" محذوف لكون الغرض المسوق له الكلام ذكر المعزّز به أعني شمعون ولطف تدبيره حتى عزّ الحق، فإنّ غير الغرض المسوق له الكلام يترك كما يقال حكم السلطان اليوم بالحق مِن غير أنْ يذكر[٣٢٢] لمن حكم إذ الغرض بيان حقيّة حكمه كائنا لمن كان وللاحتراز عن البعث لو ذكر لدلالة ما قبله وهو فكذبوهما عليه.

ثُمّ إنّ قصّة تقويتهما بالثالث: "هو إنّ شمعون. ودخل المدينة متنكرا. وعاش أصحاب الملك حتى استأنسوا به وأوصلوه إلى الملك فأنس به، فقال له يوما: سمعت أنّك حبست رجلين، فهل سمعت ما يقولانه، فقال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك. قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع[٣٢٣] ما عندهما فدعاهما، فقال شمعون: من أرسلكما؛ قالا: الله الّذِي خلق كلّ شيء وليس له شريك، فقال صفاه وأوجزاه. قال[٣٢٤] ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٣٢٥] و﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[٣٢٦]. قال: وما أتيكما. قالا ما يتمنى[٣٢٧] الملك، فدعا بغلام

---

[٣٢١] سورة يس ١٤/٣٦.

[٣٢٢] و: نذكر.

[٣٢٣] و + على.

[٣٢٤] و: وأوجزا قالا.

[٣٢٥] سورة آل عمران ٤٠/٣ ، سورة الحج ١٨/٢٢.

[٣٢٦] سورة المائدة ١/٥.

[٣٢٧] و: يتمنا.

مطموس العينين، فما زالا يدعوان الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقين[328] فوضعا في حديقته، فصارتا عينين[329] يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى صنع[330] مثل هذا، فيكون لك وله الشرف. قال الملك: ليس لي عنك سرّ مكتوم إنّ إلهنا الّذِي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر. فقال شمعون للملك: أههنا مثل هذا الغلام مطموس العين، فأمر الملك حتى أحضر، فصنع شمعون ما صنعا بالأوّل، ففرح الملك. ثمّ قال للرسولين إنْ قدر إلهكما الّذِي تعبدانه على إحياء الميت آمنا به وبكما. فقالا إلهنا قادر على كل شيء. فقال الملك: إنّ ههنا ميّتا، مات منذ سبعة أيام، فجعلا يدعوان ربّهما علانية وشمعون سرّا، فقام الميت وقال: إنّي دخلت سبعة أودية مِن النّار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا بالله. ثمّ قال: فتحت أبواب السماء، فنظرت، فرأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة وأشار إلى شمعون وصاحبيه، فتعجب الملك. فلما رأى شمعون أن قوله أثّر في الملك أخبره بالحال وتعاضد مع صاحبيه في دعوة القوم [١٨/ب] وأجمعوا على تبليغ الرّسالة إليهم."[331] ﴿فَقَالُوا﴾[332] جميعا ﴿إِنَّا إِلَيكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[333]

---

[328] و: بندقتين.

[329] و،ى: مقلتين.

[330] و،ى: يصنع.

[331] ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج: ٤، ص: ٥٦٢؛ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج: ٤، ص: ٩.

[332] سورة يس ١٤/٣٦.

[333] سورة يس ١٤/٣٦.

مؤكدا بأنّ واسميته الجملة[٣٣٤]، لأنّ تكذيب الاثنين في المرة الأولى تكذيب للثالث[٣٣٥] أيضا لاتحاد مقالتهم هذا. وبعدما أظهر الدعوة آمن الملك في جمع وكذّب آخرون.

وقيل: بلْ الكل كفروا وكذبوا وبالغوا في التكذيب، فعدلوا في نفي الرسالة عنهم إلى الكناية الّتي هي أبلغ مِن التصريح حيث ﴿**قَالُوا مَا اَنْتُمْ إلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾[٣٣٦] فمِن أين لكم هذه المزية علينا. ثُمّ إنّ هذا قصر قلب، لأنّ الكفار كانوا يعتقدون أنّ البشرية تنافي الرسالة في الواقع. وإنْ كان هذا الاعتقاد خطأ منهم وكان الرّسل المخاطبون مصرّين على دعوى الرسالة، فنزلهم الكفار منزلة المنكرين لوصف البشرية بناء على ما اعتقدوا مِن التنافي بين البشرية والرّسالة، فقلبوا: هذا الحكم وعكسوه، فقالوا ما أنتم إلاّ بشر أي: مقصورون على البشرية ليس لكم وصف الرّسالة التي تدعونها.

فإنْ قلت البشرية في زعمهم إنما تنافي الرّسالة مِن الله لا من عيسى عم[٣٣٧] وهم كانوا رسل عيسى، ولا يدعون أنّهم رسل الله، قلت: أجيب عنه بأنّ البشرية بزعمهم ينافي الرسالة مِن الرسول أيضا. إذ منشأ زعمهم إنّ الرسالة تقتضي[٣٣٨] مناسبة بين الرسول

---

[٣٣٤] و: الجميلة.

[٣٣٥] و: الثالث.

[٣٣٦] سورة يس ١٥/٣٦.

[٣٣٧] عليه السلام.

[٣٣٨] و،ى: يقتضى.

والمرسل وكما أنْ لا مناسبة بين البشرية[٣٣٩] وبينه تعالى لتباعد التجرّد والتعلق، فكذا لا مناسبة بين الرسول وغيره لتباين الكمال والنقصان، أو إنّ مجانس المجانس مجانس، فكما أنّ الرسول ينبغي أنْ يكون من جنس المرسل، فكذا رسول الرسول أيضا. وأجيب بوجه آخر أيضا.

وهو أنّ الرّسل كأنهم دعوهم إلى الإسلام على وجه ظنونهم أصحاب وحي ورسلاً مِن الله بناء على أنّ الرّسالة مِن رسول الله رسالة مِن الله، ولذا[٣٤٠] قال: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾[٣٤١] ويدل على هذه الحكاية أيضا وهو قوله "من أرسلكما". قالا: الله الّذِي خلق كل شيء. لا يقال: كيف توهمون أنّهم رسل الله والحال أنّهم أُرسلوا ليدعوهم إلى تصديق عيسى عليه السلام وانقياد دينه. لأنّا نقول: يجوز أنْ يقولوا: حكم الله تعالى فيكم أنْ يصدّقوا[٣٤٢] عيسى[٣٤٣] في جميع ما جاء به ويؤيّده نفيهم إنزال الرحمن شيئا. ولا شك أنّ الدّعوة إلى عيسى [١٩/أ] بهذا الوجه يوهم أنّهم جاؤوا مِن الله تعالى.

وقد يجاب عن أصل الإيراد بوجه آخر أيضا وهو أنْ يكون مرادهم إنّا مرسلون من عيسى بأمره تعالى ويكون تكذيبهم راجعا إلى كونهم مرسلين مِن رسول الله ويكون الخطاب

---

[٣٣٩] و: البشر.

[٣٤٠] و: لهذا.

[٣٤١] سورة يس ١٤/٣٦.

[٣٤٢] و: تصدقوا.

[٣٤٣] و + ءم (عليه السلام).

فيما[٣٤٤] أنتم متناولا للمرسل والمرسلين معا على تغليب المخاطبين على الغائب، فيكون نفي الرسالة عنهم تغليبا له عليهم كأنهم أحضروا عيسى وخاطبوه بنفي الرسالة مِن الله تعالى مبالغة في إنكارها ونظيرة في الاشتمال على التغليبين أنْ يقول لرسول سلطان من بلّغ إليهم حكم أنّه لا حكم لكم علينا.

وقد يقال أيضا: الأظهر أنّ المراد بقولهم ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾[٣٤٥] إنا إليكم مرسل أحكامنا ويؤيد هذا قولهم ﴿**وَمَا أَنْزَلَ الرَّحمَنُ مِنْ شيءٍ**﴾[٣٤٦] فإنّه ظاهر في نفي كون الأحكام مرسلة. وإنّما ذكروا الرحمان ولم يقولوا ما أنزل الله مِن شيء لاشتهار ذلك الاسم عندهم، حتى قيل إنّ اسم الرحمان عبري ويؤيد هذا عدم اطلاع بعض العرب عليه.

"كما قال سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حُدَيْبِيَة، إذا كتب عليه السلام: « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: لا نعرف الرحمان اكْتُبْ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ: "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ"[٣٤٧]

---

[٣٤٤] و: فيما.

[٣٤٥] سورة يس ١٤/٣٦.

[٣٤٦] سورة يس ١٥/٣٦.

[٣٤٧] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، باب صلح حديبية، ج: ٣، ص: ١٤١١، رقم الحديث: ١٧٨٤، بلفظ؛ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَفَّانُ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: «اكْتُبْ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا بِاسْمِ اللهِ، فَمَا نَدْرِي مَا بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنِ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ بِاسْمِكَ اللهُمَّ، فَقَالَ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ»، قَالُوا: لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ

هذا فانظر كيف بالغوا في تكذيبهم ونفي رسالتهم حيث نفوا الرسالة عنهم، أولا بطريق الكناية[٣٤٨] الّتي هي أبلغ. ثُمّ أنكروا الرسالة مطلقا ونزول الوحي رأسا ثانيا واجهوهم بحصر حالهم في الكذب بقوله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾[٣٤٩] شيئا مِن الأشياء ﴿إِلاَّ﴾[٣٥٠] جمع ﴿تَكْذِبُونَ﴾[٣٥١] أي: عادتكم الكذب على ما يفيد صيغة المضارع الدال على الاستمرار التجردي، فمن أين لكم الصّدق في دعوى الرّسالة وأعلم أنّ التأكيد يدور على إنكار المخاطب وتردوه وجود، أو عدما ووجوبا وحسنا ووحدة وكثرة، فالخالي ذهنه مِن الحكم يجب معه إخلاء الكلام مِن التأكيد والمتردد يحسن معه تأكيد واحد والمنكر يجب معه تأكيدان ولزيادة مخالفتهم في النفي لقولهم ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾[٣٥٢] يجب تأكيدان آخران، فيجب أربع تأكيدات.

اللهِ لَاتَّبَعْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبِ اسْمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكْتُبْ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ»؛ أنظر: السيوطي، الدر المنثور: ٧/ ٥٣؛ النيسابوري، نظام الدين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ٦/ ١٤٣؛ الجامع الصحيح، البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ج: ٣، ص: ١٩٣، رقم الحديث: ٢٧٣١

٣٤٨ و: الكتابة.

٣٤٩ سورة يس ٣٦/١٥.

٣٥٠ سورة يس ٣٦/١٥.

٣٥١ سورة يس ٣٦/١٥.

٣٥٢ سورة يس ٣٦/١٥.

ولذا ﴿قَالُوا﴾[٣٥٣] في الجواب على إنكارهم [١٩/ب] ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ اِنَّا إليكُمْ لَمُرسَلُونَ﴾[٣٥٤] مؤكدا بالقسم الّذِي هو ربّنا يعلم و"إن" و"اللام" واسمية الجملة، فإنْ قلت واسمية الجملة من ضروريات إنّ فلا يكون مِن المؤكدات. قلت: العدول من ﴿إِنَّا إليكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[٣٥٥] إلى الاسميّة المذكورة يفيد استمرار المشعر بالمبالغة في تحقيق مضمون الجملة. ويجوز أنْ يوقف على قوله ربّنا[٣٥٦] وقفا تاما، فيكون ذلك ردا لقولهم "مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا"، لأنّهم أرادوا أنّ ليس لكم مزيّة علينا يقتضي منكم الرسالة مِن دوننا، "فقالوا ربّنا يعلم" ما لأجله خصّصنا بالرسالة دونكم، فعلى هذا لا يكون قوله ﴿إِنَّا إليكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[٣٥٧] في موضع مفعولي[٣٥٨] يعلم، بلْ ابتداء كلام.

ولما كان ههنا مظنة أنْ يتوهم إنّ تحقيقهم كونهم رسلا وتقريرهم إياه إنّما هو لغرض يعود إليهم دفعوه بأنا لا نسأل عليه أجرا.

---

٣٥٣ سورة يس ١٦/٣٦.

٣٥٤ سورة يس ١٦/٣٦.

٣٥٥ سورة يس ١٦/٣٦.

٣٥٦ و – يعلم.

٣٥٧ سورة يس ١٦/٣٦.

٣٥٨ و: مفعول.

﴿وَمَا عَلَيْنَا﴾[٣٥٩] مِن حيث كوننا رسلا ﴿إِلاّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ﴾[٣٦٠] أي: إلا بلاغ ما أرسلنا به بلاغا مبينا مظهرا له بمعجزات باهرة وآيات ظاهرة لئلاّ يكون لكم على الله حجة بعد الرّسل.

قال صاحب الكشاف:[٣٦١] إنّ هذا بينة لاستشهادهم بعلم الله، "فإنّه لو قال المدعي: والله إني لصادق فيما أدعي ولم يحضر البينة كان قبيحا"[٣٦٢] منه ورد ذلك بوقوعه كذلك كثيرا في كلام الصحابة وغيرهم، ثُمّ إنّهم لما كذبوا الرسل أخذهم الله بالسنين ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾[٣٦٣] فتشأموا بالرسل حيث؛

﴿قَالُوا إِنّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾[٣٦٤]فإنّ الطيرة بفتح الطاء وكسر الياء والطيرة بعكس الأوّل والطورة ما يتشاءم به مِن المقال الرّدي أي: تشاءمنا بكم ورأينا أن مالحقنا مِن التبعة بعد مجيئكم ليس إلاّ من شؤوم مقالتكم ودعواكم الرّسالة مِن الله إذ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[٣٦٥]﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾[٣٦٦] أو المعنى أنكم لما تركتم دين آبائكم، فلكم سوء

---

٣٥٩ سورة يس ١٧٠/٣٦

٣٦٠ سورة يس ١٧/٣٦.

٣٦١ يشير المؤلف إلى الزَّمَخْشَرِيّ.

٣٦٢ الزمخشري، الكشاف: ٩/٤.

٣٦٣ سورة البقرة ١٥٥/٢.

٣٦٤ سورة يس ١٨/٣٦.

٣٦٥ سورة المؤمنون ٢٤/٢٣

٣٦٦ سورة ص ٢٠/٣٨.

العاقبة، فتشاءمنا بكم. والله ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾[٣٦٧] عمّا أنتم عليه من دعوى الرّسالة ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾[٣٦٨] أي: لنقتّلنّكم بالرجم، أو لنشتّمنكم[٣٦٩] ﴿ولَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٣٧٠] وهو القتل بأشدّ العذاب.

﴿قَالُوا﴾[٣٧١] أي: الرسل في ردّهم ﴿طَائِرُكُمْ﴾[٣٧٢] أي: شأمتكم ﴿مَعَكُمْ﴾[٣٧٣] لا ينفك عنكم، لأنّه إعتقاداتكم [٢٠/أ] الباطلة وأخلاقكم الرديّة وأعمالكم القبيحة ولكنّ لا تعلمون.[٣٧٤] ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾[٣٧٥] بما بلّغنا إليكم، وجوب الشرط محذوف أي: تطيرتم، أو قلتم هذا القول، أو[٣٧٦] توعدتم بالرجم والتعذيب. والاستفهام للإنكار، أي: سبب تطيركم، أو قولكم هذا إنّما هو عدم تضحكم واتعاظكم ولو اتعظتم وقبلتم النصح لما تطيرتم، أو قلتم

---

٣٦٧ سورة يس ٣٦/١٨.

٣٦٨ سورة يس ٣٦/١٨.

٣٦٩ و: لنشمنّكم.

٣٧٠ سورة يس ٣٦/١٨.

٣٧١ سورة يس ٣٦/١٩.

٣٧٢ سورة يس ٣٦/١٩.

٣٧٣ سورة يس ٣٦/١٦.

٣٧٤ و، ى + وقرئ طيركم بفتح الطائر [ى: الطاء] وسكون الياء على أن يكون جمع طائر أو يراد به الواحد فيكون بمعنى الطائر إلاّ أن إرادة معنى الجمع أبلغ كما لا يخفى.

٣٧٥ سورة يس ٣٦/١٩.

٣٧٦ و: و.

هذا القول، وقرئ[٣٧٧] طيركم بفتح الطاء وسكون الياء على أنْ يكون جمع طائر ويراد به الواحد، فيكون بمعنى الطائر إلاّ أن إرادة معنى الجمع أبلغ، كما لا يخفى﴿أئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾[٣٧٨] بألف بين الهمزتين، وقرئ بفتح "إنْ" بمعنى أتطيرتم، لأنّ "ذكرتم" على معنى "أجعلتم" ما هو سبب الاتعاظ والتنصح سببا للتطير بمعنى ما ينبغي أنْ يكون كذلك، وقرئ أين ذكرتم على أنْ يكون ظرفا لمقارنة الطّائر و الشآمة بهم، فيفيد المبالغة، لأنّه إذا كان طائرهم معهم في كل مكان جرى فيه ذكرهم، فبالطريق الأول يتحقق الشآمة في مكان حصلوا فيه بأنفسهم.

﴿بَلْ اَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾[٣٧٩] مستمرون على الإسراف في الغي والضلال، ولذلك توعدون وتتطيرون[٣٨٠] بمن يجيب أنْ يطاع أمره ويكرم مقامه. ثم إنّ حبيب النجّار، وكان يعبد الله في جبل، فلما سمع قصة الرسل وما أصيبوا مِن القوم استعجل إليهم، كما أخبر عنه[٣٨١] بقوله عز من قائل بقوله[٣٨٢] ﴿وَجَاءَ مِنْ اَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾[٣٨٣] أي: أبعد موضع منها، وتقديم الظرف على الفاعل للإيذان بأنّ الهداية مِن الله تعالى: ﴿يَهْدِي مَنْ

---

[٣٧٧] و، ى – طيركم بفتح الطاء وسكون الياء على أن يكون جمع طائر، أو يراد به الواحد فيكون بمعنى الطائر إلاّ أن إرادة معنى الجمع أبلغ كما لا يخفى.

[٣٧٨] و – ذكرتم ، سورة يس ١٩/٣٦

[٣٧٩] سورة يس ١٩/٣٦.

[٣٨٠] و: يتطيرون.

[٣٨١] و: عنهم.

[٣٨٢] و – بقوله.

[٣٨٣] سورة يس ٢٠/٣٦.

﴿يَشَاءُ﴾[٣٨٤] ﴿وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾[٣٨٥]، فلقد اهتدى من هو ببعد مكان منهم ولم يهتدوا مع قربهم، أو لاشتمال ما قبل هذه الآية على سوء[٣٨٦] معاملة أصحاب القرية الرّسل، فصار المقام مقام أنْ ينتظر السّامع لإلمام حديث بذكر[٣٨٧] القرينة[٣٨٨] هل فيها منبت خير أم كلها كذلك، فهذا العارض جعل المجرور نصب العين بخلاف ما في سورة القصص، فإنّه ليس فيه ذلك العارض والتعبير ههنا بالمدينة مع أنّه عبّر أوّلا بالقرية، لأنّ المدينة أدخل في[٣٨٩] المقصود ههنا بخلاف ثمه فإنّ الأدخل هناك القرية. تأمل، تعرف.

﴿رَجُلٌ﴾[٣٩٠] حبيب النجار [٢٠/ب] ﴿يَسْعَى﴾[٣٩١] سعى يسعى سعيا، كرعى يرعى رعيا، يجئ بمعنى "قصد" و"عمل" و"مشى" وغدا وتمّ، وللحمل[٣٩٢] على كل مِن القصد والمشي ههنا مساغ، فمن فسره بأنّه يقصد وجه الله بالذبّ عن رسله لا يرد عليه. إنّه عدل إلى المجاز مع صحة إرادة الحقيقة إذ مجازيته غير ظاهر، وبالجملة لما جاء حبيب

---

٣٨٤ سورة البقرة ٢٧٢/٢؛ سورة إبراهيم ٤/١٤؛ سورة النحل ٩٣/١٦؛ سورة القصص ٥٦/٢٨؛ سورة المدثر ٣١/٧٤.

٣٨٥ و – ﴿ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ سورة الرعد ٢٧/١٣ سورة النحل ٩٣/١٦؛ سورة فاطر ٨/٣٥.

٣٨٦ ى: و: – سوء.

٣٨٧ ى: تذكر.

٣٨٨ و، ى: القرية.

٣٨٩ و، ى + إفادة البعد.

٣٩٠ سورة يس ٢٠/٣٦.

٣٩١ سورة يس ٢٠/٣٦.

٣٩٢ و: المحمل.

النجار أظهر دينه لقومه، فأقبل على القوم و﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[٣٩٣] مِن الله إليكم، ولا تخالفوهم ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لاَ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾[٣٩٤] على أداء النصح وتبليغ الرسالة. وإنّما كرّر "اتبعوا" ولم يقل اتبعوا[٣٩٥] المرسلين الّذين لا يسألون أجرا، تنبيها على وجوب اتباعهم من جهتين مستقلّتين، مِن جهة كونهم رسلا مِن عند الله، ومِن جهة أنّهم لا يسألون أجرا على التبليغ. وقوله ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٣٩٦] إيغال لتمام[٣٩٧] المعنى بدونه، لأنّ إذ[٣٩٨] الرسول[٣٩٩] مهتد البتة، لكن فيه زيادة مبالغة في الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه مِن حيث أنّ فيه إشارة إلى اتباعهم لا يضر في الدنيا لعدم سؤالهم أجرا وينفع في الدين لكونهم ثابتين على الإهتداء[٤٠٠] هذا.

ولما أراد إرشاد قومه بالطف وجه وأرفقه[٤٠١]. قال تعريضا عليهم بتقريعهم على تركهم عبادة خالقهم وتكذيبهم رسله ﴿وَمَا لِيَ لاَ اَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِى﴾[٤٠٢] أي: خلقني

---

[٣٩٣] سورة يس ٣٦/٢٠.

[٣٩٤] سورة يس ٣٦/٢١.

[٣٩٥] و – ولم يقل اتبعوا.

[٣٩٦] سورة يس ٣٦/٢١.

[٣٩٧] و: لإتمام.

[٣٩٨] و – إذ.

[٣٩٩] ى: الرسل.

[٤٠٠] و: الاهتدا.

[٤٠١] ى: ارفعة؛ ى + لنفسه.

[٤٠٢] سورة يس ٣٦/٢٢.

﴿وَإليهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤٠٣] إذ لولا التعريض لكان المناسب بسياق الآية أنْ يقول "وإليه أرجع".
ثُمّ إنّ وجه حسن هذا التعريض أسماع المتكلم المخاطبين الّذين هم أعداؤه الحق على وجه لا يزيد ذلك الوجه غيظهم ويعين على قبول الحق لتركه التصريح بنسبتهم إلى الباطل ولكون[٤٠٤] ذلك الوجه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد المتكلم لهم إلاّ ما يريد لنفسه ويسمى هذا النوع مِن الكلام المنصف، لأنّ كل من سمعه، قال المخاطب. قد أنصفك المتكلم، أو لأنّ المتكلم قد أنصف مِن نفسه حيث حطّ مرتبة عن مرتبة المخاطب ويسمى أيضا الإستدراج لاستدراجه الخصم إلى الإذعان والتسليم وهو مِن لطائف الأساليب، وقد كثر [٢١/أ] في التنزيل والأشعار والمحاورات، لكن بقي أنّه لم ترك التعريض في آخر الكلام إلى التصريح وكان الظاهر الموافق لصدر الآية "وإليه أرجع" مكان "وَإليهِ تُرْجَعُونَ".

فقيل: وجه العدول المبالغة في التهديد مِن حيث أنّ صدر الكلام تهديدا لهم بطريق التعريض، فعدل عن التهديد التعريض إلى تهديدهم مواجهة ليشعر بفرط الغيظ وشدة الغضب عليهم، وذهب أئمّة المعاني إلى أنّ في الآية التفاتًا مِن التكلم إلى الخطاب، فورد عليهم أنه إنما يكون منه لو قصد من كلتا الجملتين الإخبار عن نفسه لوجوب اتحاد المعبر عنه في الالتفات، وههنا ليس كذلك، لأنّ الظاهر أنّ المخاطب بترجعون هم المخاطبون

---

[٤٠٣] سورة يس ٢٢/٣٦.
[٤٠٤] و: ليكون.

فقط. وأجاب عنه بعض المحققين بأنّ صدور الكلام لما كان تعريضا، فالمراد بقوله (وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ) المخاطبون، والمعنى: وما لكم لا تعبدون الّذِي فطركم، فالمعبر عنه في الجميع هو المخاطبون، فإنْ قلت فحينئذ يكون قوله: "ترجعون"[٤٠٥] واردا على مقتضى الظاهر والالتفات يجبب أنْ يكون مِن خلاف مقتضى الظاهر، قلت: لائم أنّ قوله "ترجعون" وارد على مقتضى الظاهر، لأنّ الظاهر يقتضي أنْ لا يغير أسلوب الكلام، بلْ يجري الملاحق على سنن السابق.

وهذا الخطاب مثل التكلم في شعر إمرئ[٤٠٦] "القيس[٤٠٧] مِنْ نَبَإ جَاءَنِي"[٤٠٨] وقد قطع صاحب الإيضاح بأنّه وأراد على مقتضى الظاهر وزعم أن الإلتفات عند السكاكي[٤٠٩] لا يحضر في خلاف مقتضى الظاهر وهذا مشعر بانحصاره فيه عند غير السكاكي. وفيه نظر، لأنّ مثل "ترجعون" "جَاءَنِي" في الآية والبيت التفات عند السكاكي وغيره، فلو كان

---

[٤٠٥] و: يرجعون.

[٤٠٦] و: امرء ؛ ى: امرأ.

[٤٠٧] هو: أَبُو الْحسن بن على بن نصر بن عقيل ابْن احْمَد بن على بن عبد القيس الْبَغْدَادِيّ، الشَّاعِر الْمَعْرُوف بالهمام العبدي قدم دمشق (المتوفى ٥٩٦)، (هدية العارفين، ج: ٢١١، ص: ٨٠٣).

[٤٠٨] الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ١٤، وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالإثْمِدِ ... ونَامَ الخَلِيُّ ولَمْ تَرْقُدِ

وبَاتَ وباتَتْ لهُ لَيْلَةٌ ... كلَيْلَةِ ذِي العائرِ الأرْمَدِ

وذلِكَ مِنْ نَبَإٍ جَاءَنِي ... وخبرته عن أبي الأسود

[٤٠٩] السكاكي (٥٥٥ – ٦٢٦ هـ)، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين، عالم بالعربية والأدب. من كتبه مفتاح العلوم ،رسالة في علم المناظرة. (الأعلام، ج: ٨، ص: ٢٢٢).

وأراد على مقتضى الظاهر، لما انحصر الالتفات في خلاف مقتضى الظاهر عند غير السكاكي أيضا، فلا يتحقق اختلاف بينه وبين غيره، ثُمّ الحق أنّه ينحصر في خلاف مقضى الظاهر. وإنّ مثل "ترجعون" و"جَاءَنِي" مِن خلاف المقضي ما حققناه إلى ههنا كلامه.

وفيه بحث، أما أوّلا، فلأن المخاطبين لم يعتبر عنهم بضمير المتكلم، بلْ وقعوا معرضين بالكلام من غير دخول في العبارة [٢١/ب] فلا يكون المعبر عنه واحدا.

وأما ثانيا فلأن صاحب الإيضاح ذكر فيه أن الزمحشري[٤١٠] قال في شعر امرؤ القيس ثلاث التفاتات.

وهذا ظاهر على تفسير السكاكي[٤١١] لا يقال الالتفات عنده مِن خلاف مقتضى الظاهر، فلا يكون في البيت الثالث التفات لوروده على مقتضاه، لأنّا نمنع انحصار الالتفات عنده في خلاف مقتضى الظاهر. انتهى.

فصاحب الإيضاح مانع لا مدع حتى ينسب إليه القطع والتصريح بما ذكر، فالأولى في الجواب أنْ يقول: ليس المراد بـ"ترجعون" هم المخاطبون فقط. وإنْ كان الظاهر ذلك وإلا لما صح الاستفهام الإنكارى، إذ رجوع الغير إلى ربه لا يستلزم أنْ يعبده غير ذلك الرّاجع،

---

٤١٠ الزَّمَخْشَرِيّ الْعَلامَة جَار الله أَبُو الْقَاسِم مَحْمُود بن عمر بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عمر الأديب النَّحْوِيّ اللغوى الْفَقِيه الحنفي الشهير بالزمخشري (المتوفى ٥٣٨). له الْكَشَّاف عَن حقائق التَّنْزِيل، أساس التَّقْدِيس، جَوَاهِر اللُّغَة، الْمُفْرد والمؤلف فِي النَّحْو الْمفصل فِي النَّحْو وغير ذلك.

٤١١ مفتاح العلوم، السكاكي، ج: ١، ص: ٢٠١.

فالمتكلم أيضا داخل في هذا الخطاب. والمعنى كيف لا أعبد مِن إليه رجوعىّ إلاّ أنه عدل إلى "ترجعون" للتنبيه على أنّه يساويهم في وجوب عبادة مِن إليه الرجوع.

وقد يقال: لا التفات في الآية ولا تعريض، بلْ مِن قبيل ما يذكر فيه مع كل مِن أحد المتقابلين مقابل ويحذف المقابل الآخر لدلالة المذكور على المحذوف أي: ﴿مَا لِىَ لاَ اَعْبُدُ الّذِي فَطَرَنِى﴾[٤١٢] وإليه أرجع وما لكم لا تعبدون الّذِي فطركم ﴿وَإليهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤١٣]

وقيل: إنّه لما قال لقومه ﴿اِتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[٤١٤] قالوا له، فأنت تتبعهم، فقال ﴿وَمَا لِىَ﴾[٤١٥] أي: أىّ شيء لي أن لم أعبد خالقي وإليه تردّون عند البعث، فيجازيكم بأعمالكم، فأضاف الفطرة إلى نفسه لكونها نعمة ظاهرة عليه وأضاف الرجوع إليهم، لأنّ فيه معنى الزّجر، فهو بهم أليق هذا. ثُمّ لما أشار بقوله ﴿وَإليهِ تُرْجَعُونَ﴾[٤١٦] إلى أنّ المراد نصحهم وتقريعهم، عاد إلى المساق الأوّل، فأورد الكلام في معرض المناصحة لنفسه، فقال على سبيل الاستفهام الإنكاري:

---

[٤١٢] سورة يس ٢٢/٣٦.

[٤١٣] سورة يس ٢٢/٣٦.

[٤١٤] سورة يس ٢٠/٣٦.

[٤١٥] سورة يس ٢٢/٣٦.

[٤١٦] سورة يس ٢٢/٣٦.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾[٤١٧] ومعنى "دون" في الأصل أدنى مكان مِن الشيء، يقال: هذا دون ذاك. إذا كان أنزل مكانا منه، فهو ظرف مكان مثل "عند"، إلاّ أنه ينبئ عن دنّو أكثر وانحطاط قليل. ثُمّ اتسع فيه واستعمل في انحطاط محسوس لا يكون في المكان، كقصر القامة مثلا، استعير منه للتفاوت في المراتب المعنوية تشبيها لها [٢٢/أ] بالمراتب المحسوسة وشاع استعماله فيها أكثر من استعماله في الأصل.

فقيل: زيد دون عمرو في الشرف. ثُمّ اتسع في هذا المستعار، فاستعمل في كل تجاوز حدّ إلى حدّ، وتخطى حكم إلى حكم، وإن لم يكن هناك تفاوت وانحطاط، فهو في هذا المعنى مجاز في المرتبة الثالثة،[٤١٨] وهو بهذا المعنى قريب مِن أنْ يكون بمعنى "غير" كأنه أداة الاستثناء، فمعنى قوله تعالى:﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٤١٩] *أي:* لا تجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين، وقد يستعمل بمعنى غير، نحو: "ولا تتخذوا مِن دونه أولياء" واختلفوا في منع صرفه قبل.

فقيل: ثُمّ إنّ المعنى: لا ينبغي لي أنْ أتخذ متجاوزا ممن فطرني ﴿آلِهَةً﴾[٤٢٠] مصنوعة لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عني شيئا. فإنْ قلت: المقصود أنّه لا أتخذ مِن دونه إلها[٤٢١] قطّ،

---

٤١٧ سورة يس ٢٣/٣٦.

٤١٨ و: الثانية.

٤١٩ سورة النساء ١٤٤/٤.

٤٢٠ سورة يس ٢٣/٣٦.

٤٢١ و: آلهة.

لا آلهة متعددة، فما وجه إيراد صيغة الجمع الموهم لرجوع النّفي إلى القيد، قلت: هو مِن قبيل إخراج الكلام مخرج العادة. لأنّ القوم كانوا اتخذوا مِن دون الله آلِهَةً مصنوعة. فإنْ قلت: الظاهر أنّ كلّ جماعة مِن الكفرة اتخذوا إلها[٤٢٢] لا إنّهم اتخذوا مِن دونه آلهة، قلت: بلْ الظاهر أنّ لهم آلهة متعدّدة متفاوتة، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[٤٢٣] ولو سلّم، فنقول:[٤٢٤] لما كان كل جماعة مقررا لما اتخذه جماعة أخرى، فكان كلاّ منهم اتخذوا آلهة، فاستنكره واستبعده. وشيّد بنيانه بقوله ﴿إِنْ يُرِدْنِ﴾[٤٢٥] بإسقاط ياء المتكلم بالجزم ﴿الرَّحْمَنُ﴾[٤٢٦] من وضع المظهر موضع المضمر للتنبيه على أنّ من أراده الله بضرّ، فلا كاشف له إلاّ من رحمه الله، فينكشف عنه السوء، وللإيذان بأنّه لا يريد ضرّا، ولو أراده بالغرض لاراد[٤٢٧] ضرّا شديدا فنعوذ بالله من غضب الحليم. ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[٤٢٨] ﴿بِضُرٍّ﴾[٤٢٩] أي: بمكروه وسوءٍ. يقال: أراد به نفعا وأراده بالنفع. والفرق أنّ الأوّل يراد به

٤٢٢ و: آلهة.
٤٢٣ سورة الأنبياء ٦٣/٢١.
٤٢٤ ى: فقول.
٤٢٥ سورة يس ٢٣/٣٦.
٤٢٦ سورة يس ٢٣/٣٦.
٤٢٧ و: لارادة.
٤٢٨ سورة البروج ١٢/٨٥.
٤٢٩ سورة يس ٢٣/٣٦.

اختصاص الوصف بالموصوف، وبالثاني يراد شموله له، والاستعمالان شائعان، وما نحن فيه مِن قبيل الثاني، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾[٤٣٠] مِن قبيل الأوّل.

﴿**لَا تُغْنِ**﴾[٤٣١] أي: لا تدفع ﴿**عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ**﴾[٤٣٢] لأنّ الشفاعة [٢٢/ب] ليست مِن شأنهم.

وقيل: معناه: لا ينفعني شفاعتهم، وفيه أنّ الاستعمال بـ"عن" لا يلايمه، وقوله ﴿**شَيْئًا**﴾[٤٣٣] مفعول. أي: لا تدفع عني شيئا مِن الأشياء، وعلى ما قيل يكون مصدرا. أي: لا ينفع شيئا مِن النفع. ﴿**وَلَا يُنْقِذُونَ**﴾[٤٣٤] مِن ذلك المكروه والضر بالنصرة والمظاهرة. فالحاصل أنّه ليس من شأنهم أنْ يكونوا وسيلة في دفع ضر، أو حصول نفع، ولا يقدرون عليه في نفسه أيضا.

فلو تركت عبادة الرحمان، وصرت إلى عبادة الأوثان، ﴿**إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[٤٣٥] بيّن لا يخفى على عاقل، فعلى هذا كلمة "إذا" حرف، والجملة جواب لـ"لو" المقدرة.

---

٤٣٠ سورة الفتح ٤٨/١١.
٤٣١ سورة يس ٣٦/٢٣.
٤٣٢ سورة يس ٣٦/٢٣.
٤٣٣ سورة يس ٣٦/٢٣.
٤٣٤ سورة يس ٣٦/٢٣.
٤٣٥ سورة يس ٣٦/٢٤.

قال الفَراء:[٤٣٦] حيث جاء بعدها اللام فقبلها "لو" مقدرة إنْ لم يكن ظاهرة. قيل: لا يساعده رسم الخط، فإنّها لو كانت حرفا لكان اللايق كتابتها والوقف عليها بالنون مع أنّهم أجمعوا على كتابتها بالألف والوقف عليها، فالظاهر أنّها شرطية، حذفت جملة التي يضاف إليها وعوض عنها التنوين، كما في يومئذ. وبه قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾[٤٣٧] ومما يؤيد أنّ المراد مِن قوله فيما سبق ﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾[٤٣٨] التعريض قوله: ﴿إِنِّي أَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٤٣٩] دون "بربي"، مع أنّه المناسب لولا قصد التعريض ولذلك قال بعده ﴿فَاسْمَعُونِ﴾[٤٤٠] حثّا لهم على الأصغاء ليقفوا على ما أراده مِن التعريض، فيمتنعوا عما لهم عليه. ثُمّ إنّ "اسمعون" اصله "اسمعوني" حذفت الياء تخفيفا واكتفاء بالكسرة والنون للوقاية. والمعنى: فاسمعوا قولي هذا أو: فاسمعوني قائلا هذا، وقد يقال معناه: فاسمعوا إيماني، وفيه أنّ الإيمان ليس مِن قبيل المسموعات، كما لا يخفى على من ألقى السمع وهو شهيد.

---

[٤٣٦] الفراء (١٤٤ - ٢٠٧ هـ)، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب.

[٤٣٧] سورة المؤمنون ٣٤/٢٣.

[٤٣٨] سورة يس ٢٢/٣٦.

[٤٣٩] سورة يس ٢٥/٣٦.

[٤٤٠] سورة يس ٢٥/٣٦.

وأما ما قيل من أنّ الخطاب ههنا للرسل حين أخذه قومه يرجمونه، فأسرع نحو الرسل قبل أنْ يقتلوه، فقال:﴿إِنِّي آمَنْتُ﴾[441] الآية، فيرد عليه حبيب النجار، وقد آمن قبل هذه الوقعة أوّل ما جاء الرسل إلاّ أن يقول كان مقصوده تجديد إيمانه عند الرسل ليشهدوا [٢٣/أ] له يوم القيامة بحسن خاتمته.

فلما قتله قومه ﴿قِيلَ﴾[442] له بشارة ﴿أُدْخُلِ الْجَنَّةَ﴾[443] أي: مقول أُدْخُلِ الْجَنَّةَ على معنى: أنك تستحق، لأنّ تؤمر بدخول الجنة لما قتلت في سبيل الله، أو قيل له ذلك القول إكراما له وإذنا في دخول الجنة كسائر الشهداء الذين هم أحياء عند ربهم، لاحيوة بالجسد، ولا مِن جنس ما يحس مِن الحيوانات، بلْ هي أمر لا يدرك إلاّ بالوحي يعرض أرزاقهم على أرواحهم، فيصل إليهم الرّوح والفرح، كما تعرض النار على أرواح آل فرعون غدوّا وعشيّا، فيصل إليهم الوجع وفيه دلالة على أنّ الجنة مخلوقة الآن. ويجيئ تحقيقه وبيان معنى الجنة إنْ شاء الله تعالى.

قال الحسن: إنّ القوم إستضعفوه وكادوا يقتلونه، قيل له: ﴿أُدْخُلِ الْجَنَّةَ﴾[444] أي: رفعه الله إلى الجنة[445] قبل قتلهم إياه، فلما دخل الجنة ﴿قَالَ﴾[446] متمنّيا لعلم قومه بحاله

---

[441] سورة يس ٢٥/٣٦.

[442] سورة يس ٢٦/٣٦.

[443] سورة يس ٢٦/٣٦.

[444] سورة يس ٢٦/٣٦.

[445] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٢٦٦.

ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطّاعة ﴿**يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ**﴾[٤٤٧] والمنادي محذوف أي: يا أهل الجنة أتمنى علم قومي، ﴿**بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾[٤٤٨] فيرغبوا في تصديق الرسل، فيؤمنوا، فيدخلوا الجنة، كما دخلت، فيكون عرضه من هذا التمني نصحهم على ما هو دأب الأنبياء والأولياء في كظم الغيظ والرحم على الأعداء إلاّ أنه يرد عليه إنّ علمهم بحاله مِن المغفرة والإكرام، إنّما يحملهم على ما ذكر لو اعتقدوا أنّه لإيمانه ومخالفة الكفار، والكفار يعتقدون أنّهم لو انتقلوا الآخرة لكان حالهم أحسن مِن المؤمنين إلاّ أنْ يعتبر العلم بحسب الظاهر مِن حاله، ويجوز أنْ يكون تمنّيه علم قومه ليعلموا أنّهم كانوا على خطإ عظيم في أمره، وأنّه كان على حق.

لا يقال: أي فائدة له في علمهم بخطإهم وحقيقته[٤٤٩] إلاّ أنْ يحملهم ذلك على ما ذكر، فلا فرق بين التوجيهين، لأنّا نقول له فوائد أخرى، مثل أنْ لا يتعرضوا للمؤمنين، وأن لا يصروا على ضلالهم مكابرة [٢٣/ب] وعنادا وتقليدا هذا. ثُمّ إنّ "ما" في (بِمَا غَفَرَ لِي) إما خبريّة، وهي الّتي يكون بمعنى الّذِي على ما صرّح به الجوهري، فالمعنى بالّذِي غفر لي

٤٤٦ سورة يس ٣٦/٢٦.

٤٤٧ سورة يس ٣٦/٢٦.

٤٤٨ سورة يس ٣٦/٢٧.

٤٤٩ و،ي : حقيته

ربّي بسببه (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ). وهو الإيمان والشهادة والمجادلة. وما قيل إنّ المعنى: بالّذِي غفر لي مِن الذنوب، فبعيد.

أما أوّلا، فلان الّذِي يحسن في التمني أنْ يتمنى علمهم بمغفرة ذنوبه.

وأما ثانيا، فلعدم صحة عطف "وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" عليه إلاّ بتكلّف، وإما مصدرية أي: بمغفرة ربى إيّاي، فعلى التقديرين الباء صلة "يعلمون" وإما استفهامية. والمعنى: بأي شيء غفر لي، وهو المصابرة على أذيتهم والمهاجرة عن دينهم إلاّ أن "ما" الاستفهامية إذا دخل عليه حرف الجر يطرح ألفها فرقا بينها وبين الموصولة، نحو: "عمّ" و"ممّ" و"بم"، فكان القياس "بِمَا غَفَرَ لِي"، لكنه جاءت على الأصل، فالباء حينئذ صلة "غفر" ضابطة، إنّ كلمة "ما" حيث وقعت بعدها "ليس"، أو "لم" أو "لا" أو وقعت هي بعد "إلاّ"، فهي موصولة وحيث وقعت بعد كاف التشبيه، فهي مصدرية وحيث وقعت بعد الباء، فهي يحتملها وحيث وقع بين[٤٥٠] فعلين سابقهما علم، أو دراية، أو نظر احتملت الموصولة والاستفهامية والمصدرية. ثُمّ إنّهم لما قتلوه، أو همّوا بقتله كفى الله تعالى أمرهم بصيحة ملك ولم يُنزل لإهلاكهم جندا مِن السماء، كما فعل يوم بدر وخندق.[٤٥١] وذلك قوله تعالى:

---

[٤٥٠] و: بعد.

[٤٥١] و: خدذق.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ﴾[٤٥٢] أي: مِن بعد قتله، أو رفعه إلى الجنة ﴿مِنْ جُنْدٍ﴾[٤٥٣] مِن الملائكة منزل ﴿مِن السَّمَاءِ[٤٥٤] وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾[٤٥٥] جندا لإهلاك قوم، أي: ليس ذلك مِن سنّتنا الّتي قد خلت مِن قبل حتى لن تجد لها تبديلا، لأنّها مِن عظائم الأمور الّتي لا يتساهل لها كل أحد، وإنّما ذلك مِن جملة ما اصطفيناك به. ففيه استحقار لإهلاكهم، حيث اكتفى فيه بصيحة ملك وإيماء بتعظيم الرسل حيث خصّ بإهلاك عدوّه بإنزال جند مِن السماء عليهم، لا يقال اختصاصه عليه السلام[٤٥٦] بإنزال جند مِن السماء لم يكن معلومات وقت نزول الآية. [٢٤/أ] لأنّا نقول: الآية مشتملة على ذلك الإيماء، ولو بعد ذلك تبصر. قيل: "ما" موصولة بمعنى "الّذي" عطف على "جند" والتقدير ما أنزلنا عليهم ﴿مِنْ جُنْدٍ﴾[٤٥٧] ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾[٤٥٨] على مِن قبلهم مِن حجارة وريح وأمطار شديدة. وردّ بأنّ كلمة "مِن" زائدة لا يدخل إلاّ على نكرة.

---

٤٥٢ سورة يس ٣٦/٢٨.
٤٥٣ سورة يس ٣٦/٢٨.
٤٥٤ ش: السّمَايِ.
٤٥٥ سورة يس ٣٦/٢٨.
٤٥٦ و: عم (عليه السلام).
٤٥٧ سورة يس ٣٦/٢٨.
٤٥٨ سورة يس ٣٦/٢٨.

أقول: قد يحتمل في المعطوف ما لا يحتمل في المعطوف عليه، كما في ربّ شاة وسخلتها[٤٥٩] على ما صرّ جوابه.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾[٤٦٠] أي: ما كانت عقوبتهم ﴿إلاّ﴾[٤٦١] بغتةً، فإنّهم حين ما كانوا ممتلئين غيظا ومشتعلين من فرط غضبهم، كالنار أخذ جبرئيل[٤٦٢] بعضادتي باب المدينة، فصاح عليهم ﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.[٤٦٣] وقرئ بالرفع على "إنْ" كانت تامة، والمعنى: ما وقعت عليهم عقوبة إلاّ صيحة واحدة. وأنكر أكثر النحويين هذه القراءة بناءً على ما تقرّر عندهم مِن أنّ الفعل المسند إلى مؤنث واقع بعد "إلاّ" لا يلحقه التأنيث إلاّ لضرورة وعلى قلّة. ﴿فَإِذَاهُمْ خَامِدُونَ﴾[٤٦٤] أي: هالكون مِن غير مهلّه وتراخ وخمد، مِن باب "نصر" و"سمع"، يقال: خمدت النار خمدا وخمودا إذا سكن لهبها ولم ينطفإ[٤٦٥] جُمْرتها، فشبّهوا[٤٦٦] حال

---

٤٥٩ الآلوسي، روح المعاني، ج: ١، ص: ٦.

٤٦٠ سورة يس ٢٩/٣٦.

٤٦١ سورة يس ٢٩/٣٦.

٤٦٢ و: جبرئل، و + ءم (عليه السلام).

٤٦٣ سورة يس ٢٩/٣٦.

٤٦٤ سورة يس ٢٩/٣٦.

٤٦٥ و: ينطفي.

٤٦٦ و: فشهوا.

كونهم ميتين بالنّار التي لا تلتهب استعارة مكنية وأثبت لهم الجنود الّتي هي مِن لوازم المشبه به وهذا التشبيه يتضمّن تشبيههم إحياء بالنار المشتعل اللهب[٤٦٧]

﴿يَا حَسْرَةً﴾[٤٦٨] هي مصدر "حسر" بالكسر، إذا تلهّف ونصبها، لأنّها منادي نكرة أي: يا[٤٦٩] تلهفا وتأسّفا ﴿عَلَى الْعِبادِ﴾،[٤٧٠] وجواب النداء محذوف أي تعال، فإنّ هذه حالة مِن حقها أي: تحضر فيها.

قال الزجاج:[٤٧١] الحسرة ممّا لا يجيب؟ فالفائدة فلا ندائها، كما أنك تقولُ لِمَنْ هُوَ مُقْبِل عَلَيْكَ بوجهه: يا زيد ما أحسن ما صنعت، فإنّه أوكد وأبلغ مِن قولك: ما أحسن ما صنعت، لتنبيه بالنداء على المطلوب، هكذا إذا قلت: أنا أعجب ممّا فعلت، فقد أفدت أنك ولو قلت: وأعجبا ما فعلت، كان أبلغ في الفائدة. فالمعنى يا عجبا، فإنه من أوقاتك، وإنما نَداءُ العَجَبِ تنبيه، لأن يتمكن علم المخاطب بالتعجب من فعله[٤٧٢] انتهى.

---

[٤٦٧] ى: الملتهب ؛ و: الملتهبة

[٤٦٨] سورة يس ٣٦/٣٠.

[٤٦٩] و – يا.

[٤٧٠] سورة يس ٣٦/٣٠.

[٤٧١] الزّجاج، هُوَ أَبُو اسحق ابراهيم بن مُحَمَّد بن السرى ابْن سهل الْبَغْدَادِيّ النَّحْوِيّ يعرف بالزجاج (المتوفى ٣١١). صنف من الْكتب، الأمالى فِي النَّحْو،جَامع الْمنطق، خلق الانسان، خلق الْفرس، شرح أبيات كتاب سِيبَوَيْهٍ، كتاب الِاشْتِقَاق، كتاب الايواء،كتاب الْعرُوض، مَعَاني الْقُرْآن فِي التَّفْسِير. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٥؛ الأعلام، ج: ١، ص: ٤٠)

[٤٧٢] الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج: ٢، ص: ٢٨٤.

وقوله: [٢٤/ب] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾[٤٧٣] بيان للحال الّتي مِن حقّ الحسرة إنْ تحضر فيها فإنّ مِن استهزاء[٤٧٤] بالله وآياته ورسوله حقيق بأنْ يتحسّر عليه كل ما مِن شأنه أنْ يتحسّر فهم أحقّاء[٤٧٥] بأنْ يتحسروا على أنفسهم، ويتحسّر عليهم.

قال القاضي[٤٧٦]: "ويجوز أنْ يكون هذا الكلام "تحسرا مِن الله عليهم" على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه"[٤٧٧] انتهى.

يعني أنّ حقيقة التحسر الّذي هو التحزن والتأسّف، لا يتصوّر منه تعالى، فيجب أنْ يجعل استعارة لتعظيم جنايتهم، يعني أنّ جنايتهم بلغت في الفخامة مبلغا، كأنّه تعالى يتحسر عليه.

وقيل في توجيه ما ذكره القاضي: أي يجعل التركيب مِن الاستعارة التخييلية[٤٧٨] بأنْ يخيل الحسرة، ويعرض كما في قولهم: لسان الحال ناطق بكذا، فيكون إثبات الحسرة لله سبحانه وتعالى، كتخييل اللسان للحال وقوله لتعظيم ما جنوه على أنفسهم علّة الجواز كون

---

٤٧٣ سورة يس ٣٦/٣٠.

٤٧٤ و: استهزا.

٤٧٥ و: احقّا.

٤٧٦ يشير المؤلف إلى البيضاوي.

٤٧٧ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٢٦٧.

٤٧٨ ى: التخيلية.

التحسر مِن الله. انتهى. أقول: فساد هذا التوجيه مما لا يخفى فإنّ الاستعارة التخييلية هو إثبات ما يلائم المشبه به للمشبه كإثبات الأظفار للمنية المشبهة بالسّبع، وعند السكاكي هو اللفظ المستعار ممّا يلائم المشبه به للأمر الموهوم الملائم للمشبه، كما في المثال المذكور، فتبصر.

وقرئ "يا حسرتا"، وهي يؤيد كونه تحسرا مِن الله، لأنّ المعنى "يا حسرتى". ثُمّ إنّ وجه كون حسرة منصوبا كونه شبه مضاف، لأنّ شبهة المضاف ما يأتي بعده معموله، أو معطوفه الّذِي لا يفيد بدونه مثل يا ثلثة وثلثين، أو الموصوف بالجملة، لأنّه يصير حينئذ مِن نداء الموصوف لا من وصف المنادى لئلاّ يلزم وصف المعرفة بالجملة.

وقيل: انتصابه بإضمار فعلها، فالمنادى محذوف أي: (يا أيها المؤمنون) تحسروا حسرة على العباد، أو يا مستهزئين الناصحين تحسّروا حسرة على أنفسكم.

وقرئ "يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبادِ" بالإضافة، فإما أنْ يجعل مِن الإضافة إلى الفاعل، كقولهم: يا قيام زيد، ويا جلوس عمرو، فكان العباد إذا شاهدوا ذلك تحسروا، أو يجعل مِن الإضافة إلى المفعول، كأنّه يتحسر عليهم من يعنيه أمرهم ويهمّه ما يهمّهم ويقوي [٢٥/أ] الوجه الأوّل ما قاله بعض المفسرين مِن أنّ ما يأتيهم مِن رسول، كالبيان لسبب حسرتهم، كأنّه قيل ما سبب حسرتهم.

فقيل: استهزائهم بالرسل والقراءة بالإضافة إلى الفاعل تدل[٤٧٩] على هذا المعنى.

وقرئ ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى[٤٨٠] العِبَادِ﴾[٤٨١] بهاء ساكنة بإجراء الأصل[٤٨٢] مجرى الوقف[٤٨٣] لتعظيم الأمر والمبالغة. إذ الوقف على الهاء يفيد المبالغة في التحسر لما في الهاء مِن التأهّه والتأوّه إلاّ أنّهم وصلوه على تلك الحال، لأنّ العرب إذا أخبرت عن الشيء غير متعدّ به أسرعت فيه تهاونه عنه غير مبال به على أنه يجوز أنْ يكون على العباد حينئذ غير متعلق به، بلْ بمضمر يدلّ عليه حسرة أي: تحسر على العباد.

﴿اَلَمْ يَرَوْا﴾[٤٨٤] مِن رؤية القلب أي: ألم يعلم أهل مكة. فهو معلق عن العمل في قوله: ﴿كَمْ اَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾[٤٨٥] لأنّ "كم" لا يعلم فيها ما قبلها إما إذا كانت استفهامية فلحفظ صدارتها إذ الاستفهام يقتضي صدر الكلام ليعلم من أوّل الأمر أنّه مِن أيّ نوع مِن أنواع الكلام وإما إذا كانت خبرية فلا هنا لا نشأ التكثير مثل رب. فلها أيضا

---

[٤٧٩] و: يدل.

[٤٨٠] و: ب (يَا حَسْرَةً بالعِبَاد).

[٤٨١] سورة يس ٣٦/٣٠.

[٤٨٢] ى: بأجرأ الوصل؛ و: بأجواء الأصل.

[٤٨٣] و: الوقت.

[٤٨٤] سورة يس ٣٦/٣١.

[٤٨٥] سورة يس ٣٦/٣١.

صدر الكلام[٤٨٦] فكم هذه معمول لما بعده أعنى أهلكنا، أو مبتدأ، خبره أهْلَكْنَا وعلى التقديرين الجملة في محل النّصب بـ"يروْا" وقوله ﴿أَنَّهُمْ إليهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾[٤٨٧] بدل من "كم أهلكنا"، والتقدير (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ إليهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ). فحاصل المعنى: أَلَمْ ير كفّار مكة ولم يعتبروا[٤٨٨] بكثرة إهلاكنا مِن قبلهم واستيصالنا وتدميرنا إياهم حتى لم يبق منهم أثر، فيقلعوا عما هم فيه، ولا يجوز أنْ يكون بدلا من "كم" وحده، لأنّ العامل في "كم" هو "أهلكنا"، ولا يعمل "أهلكنا" في "أنّ" إذ ليس المعنى (أَهْلَكْنَا أَنَّهُمْ إليهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ).

فإنْ قلت أقسام البدل ههنا متعذرة، إما بدل الكلّ، فالعدم الاتحاد وأما بدل البعض والإشتمال، فلأنّهما يصلحان، لأنّ يضافا إلى المبدل منه وههنا ليس كذلك، وأما بدل الغلط، فلعدم وقوعه في التنزيل قلت: هو بدل الإشتمال، لأنّ كونهم غير راجعين وكثرة إهلاكهم مما يتلازمان واحد المتلازمين بدل إجمالا على الآخر ويكون متقاضيا لذكره.

وهذا هو المعتبر في بدل الإشتمال على ما صرّحوا به، فهو يدل منه على المعنى [٢٥/ب] على اللفظ ويجوز أنْ يجعل من حيث المعنى بدل الكل بضرب مِن المسامح يجعل

---

٤٨٦ و – ليعلم من أول الأمر أنه من أيّ نوع من أنواع الكلام وإما إذا كانت خبرية فلا هنا لا نشأ التكثير مثل رب فلها أيضا صدر الكلام.

٤٨٧ سورة يس ٣٦/٣١.

٤٨٨ ى: يعتبر.

كل منهما، كأنّه عين الآخر ويتحد به لفرط تلازمهما. ثُمّ فائدة هذا الإبدال التعجّب مِن عدم اعتبارهم وإشارة إلى ردّ ما ذهب إليه أهل التناسخ مِن الرّجعة إلى الدنيا بعد الموت.

وجعل "أبو حيّان قوله: "أَنَّهُمْ إليهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ" مفعولا لمقدّر وَدَلَّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى "كقَضَيْنَا"[489]

قيل عليه أنّ دلالة المعنى غير ظاهر. أقول: حكمه تعالى عليهم بعدم الرجوع بعد إسناد إهلاكهم إليه تعالى يفيد ذلك المعنى، كما لا يخفى.

وقال ابن هشام: "يجوز أنْ يكون أنهم علّة للرّؤية أي: ألم يروا لأجل هذا، وأنْ يكون الرؤية معلقا عن أنّ وصلتها "وكم أهلكنا" معترضة."[490] وردّ عليه أنها لو كانت معترضة. لما كان للتعليق وجه.

أقول: كان وجه المحافظة على ظاهر صدارة "كم"، فإنّها لا يرضى بأنْ يكون شيء ممّا بعدها، وإنْ كان أجنبيّا منها مرتبطا بما قبلها، تبصّر. وقد يجعل علّة لـ"أهلكنا" بإرجاع ضمير "إليهم" إلى الرسل، ولا يخفى أنّه تكلف. أما أوّلا فلأنّه لا بدّ حينئذ من تقدير ما يكون فعلا لفاعل على الفعل المعلّل به أي: اعتبارا لأنّـهم. وأما ثانيا فلأنّه لا بد حينئذ مِن بيان نكتة في اختيار "لا يرجعون" على الماضي وكان النكتة فيه حكاية الحال الماضية

[489] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج: ٩، ص: ٦٣.

[490] الآلوسي، روح المعاني، ج: ١٢، ص: ٦.

استحضار الصّورة الغريبة. وقرئ "أنّهم" على الاستئناف كان قائلا قال: كيف كان الحال الهالكين؟ فقيل:أَنَّهُمْ إليهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ.

﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[491] ههنا قراءتان "لما" با[492]لتخفيف، و"لما" بالتشديد. فعلى الأوّل "إنْ" مخففة مِن المثقلة، واللام هي الفارقة بين أنْ يكون "إنْ" مخففة مِن المثقلة. وبين أنْ يكون نافية إلاّ أن هذه اللام هي لام الإبتداء عند الجمهور، ولام أخرى وضعت فارقة بين "إن" النافية والمكسورة المخففة عند أبي على الفارسي. وأيّا ما كان، فإنّ المخففة ملغاة عن العمل بهذه اللام في الأغلب لانتفاء المشابهة اللفظيّة حينئذ بالفعل، وقد يعمل على سبيل الندرة[493] نحو:﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾[494]

وأما كلمة "ما" فعلى قراءة التخفيف فزائدة، وعلى الثاني أعني قراءة [٢٦/أ] التشديد، فـ"إنْ" فيها نافية و"لما" كلمة[495] برأسها[496] بمعنى الاّ أي ما كان[497] الاّ جميع و"جميع" فعيل بمعنى مفعول و"لدينا" ظرف له، أو "لمحضرون" لا يقال: لا يمكن الخبر عن كل بـ"جميع"، لأنّ الكلّ لو كان إفراديّا لكان بمعنى "كل واحد" ولا يخبر عنه بالمجموع، ولو

---

[491] سورة يس ٣٦/٣٢.

[492] و: في.

[493] و: القدرة.

[494] سورة هود ١١/١١١.

[495] ى + يراد بها.

[496] ى – برأسها.

[497] ى: ما كل؛ و – ما كان.

كان مجموعيا فهو عين الجميع، لأنّا نقول: الكل هو مجموعيّ، لأنّه مضاف إلى المعرفة، وهو ضميرهم إذ التنوين عوض على المضاف إليه وليس عن الجميع، لأنّه يفيد إحاطة الآحاد وعدم شذوذ شيء من أحاد مدخوله والجميع يفيد الاجتماع وعدم التفرق[498]، فالمعنى على المخففة: إن كلهم مجموعون لدينا، وعلى النافية: ما كلهم إلاّ مجموعون لدينا، هذا على تقدير كون "لدينا" ظرفا لمجموعون، وأما على تقدير كونه ظرفا لمحضرون، فالمعنى أن كلهم مجموعون ومحضرون لدينا على هيئة الاجتماع، أو ما كلهم إلاّ مجموعون ومحضرون مجتمعة لدينا لايفوتنا أحد منهم.

﴿وَآيَةٌ﴾[499] آفاقية منصوبة ﴿لَهُمْ﴾[500] لينظروا فيها بنظر اعتبار، فيستدلوا على وجود الصانع المبدأ المعيد المحيي المميت، وتلك الآية هي ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾[501] اليابسة، فكأنها لعدم مائها وكلائها وعدم الانتفاع بها، كالميتة التي لانفع فيها والميتة قرئت بالتخفيف والتشديد. ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾[502] بإنزال المطر وتهييج قواها النّاميّة وإحداث نضارتها بأنواع النبات، والإحياء في الحقيقة إعطاء الحيوة هي صفة يقتضي الحسّ والحركة الإرادية، وتفتقر إلى البدن والروح بـ"أحيينا" مِن قبيل المجاز في النسبة الإيقاعية وهو خبر للأرض، والجملة

---

[498] و: التفريق.

[499] سورة يس ٣٦/٣٣.

[500] سورة يس ٣٦/٣٣.

[501] سورة يس ٣٦/٣٣.

[502] سورة يس ٣٦/٣٣.

الاسمية مع ملاحظة ما بعدها خبر آية، وهذا الخبر لكونه عين المبتدإ لايحتاج إلى عائد، كما صرّحوا في ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[503] فإنّه لا يختصّ بضمير الشأن، لأنّ الدليل عام ويجوز أنْ يجعل "أَحْيَيْنَاهَا" صفة للأرض بجعل اللام للعهد الذهني إذ لم يرد بها أرض معينة وهو ظاهر فيكون مِن قبيل. ولقد أمر على اللئيم يسبني ولابدّ حينئذ مِن بيان النكتة في إيراد أحد وصفي أرض مفردًا وآخر جملة وكان النكتة فيه التنبيه على أن الأرض في نفسها ميتة والحيوة [٢٦/ب] يطرأ عليها ويتجدد بإحياء الله تعالى. ثُمّ إنّ الأرض الموصوف بالوصفين إما خبر، أو مبتدأ، و"الآية" خبرها قدّم للإهتمام ونكّر للتفخيم.

وقد جوّز أنْ يكون "أحييناها" استئنافا لبيان كونها آية، فكان قائلا قال: كيف تكون الأرض الميتة آية. فقال"أحيينا"[504]

وقال أبو البقاء:[505] "«آية» مبتدأ و «لَهُمُ» خبره و «الأرضُ» مبتدأ، و «أَحْيَيْنَا» خبر. والجملة تفسير الآية."[506]

---

[503] سورة الإخلاص ١/١١٢.

[504] و،ى: أحييناها.

[505] أَبو البَقاء (٠٠٠ - ١٠٩٤ هـ) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، صاحب الكليّات. كان من قضاة الأحناف. عاش وولي القضاء في (كفه) بتركيا، وبالقدس، وببغداد. وعاد إلى إستانبول فتوفي بها، ودفن في تربة خالد. وله كتب أخرى بالتركية. (الأعلام، ج: ١، ص: ١٥٢؛ هدية العارفين، ج: ١، ص: ٢٢٩)

[506] الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج: ٩، ص: ٢٦٥.

أقول: إنه[٥٠٧] نكرة صرفة لا يصحّ وقوعه مبتدأ، فأما أنْ يصار إلى مذهب ابن الدهان[٥٠٨] مِن تجويز الأخبار عن النكرة الصّرفة إذا حصلت فائدة، كما في كوكب انقض الساعة[٥٠٩] وأما أنْ يجعل مِن قبيل «شَرٌّ أَهَرَّ ذَا نَابٍ» يجعل التنكير للتعظيم، فيكون في حكم المخصوص بالوصف هذا. ﴿وَأَخْرَجْنَا﴾[٥١٠] بقدرتنا الكاملة ﴿مِنْهَا حَبًّا﴾[٥١١] جنس الحب مِن الخطة والشعير والأرز وغيرها مِن أجناس الحبوبات التي يدور عليها معاشهم وحيوتهم، فهو الأصل في الأرزاق، والمعظم في المأكولات وسائرها تابعة له، إلاّ يرى أنه إذا قل الحب حدث القحط وإذا حبس عن شخص هلك بخلاف سائر الثمرات ولذا قدم ههنا الصّلة، فقال: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[٥١٢] وهناك أخّر وقال ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾[٥١٣] ﴿وَجَعَلْنَا﴾[٥١٤] جعلا إبداعيّا ﴿فِيهَا جَنَّاتٍ﴾[٥١٥] متعددة وبساتين متكثرة وبينها بقوله ﴿مِنْ نَخِيلٍ﴾[٥١٦] جمع نخل ﴿وَأَعْنَابٍ﴾[٥١٧] جمع عنب.

---

٥٠٧ و: آية.

٥٠٨ ابْن الدهان، سعيد بن الْمُبَارك بن على بن عبد الله ابْن سعيد الْبَغْدَادِيّ الْمَعْرُوف بِابْن الدهان الأديب النَّحْوِيّ، (المتوفى ٥٦٩). من تصانيفه: إزالة المراء فِي الْغَيْن وَالرَّاء، الأضداد والضد فِي اللُّغَة،تَفْسِير سُورَة الاخلاص، تَفْسِير الْفَاتِحَة، تَفْسِير الْقُرْآن أَرْبَع مجلدات. (هدية العارفين، ج: ١، ص: ٣٩١).

٥٠٩ أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ج: ١، ص: ٨٠٧.

٥١٠ سورة يس ٣٦/٣٣.

٥١١ سورة يس ٣٦/٣٣.

٥١٢ سورة يس ٣٦/٣٣.

٥١٣ سورة يس ٣٦/٣٥.

٥١٤ سورة يس ٣٦/٣٤.

وقال القاضي[٥١٨]: "جمعها دون الحبّ، لأنّ[٥١٩] الدال على الجنس مشعر بالإختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع."[٥٢٠] انتهى.

وتوضيحه أنّ الحبّ جنس تحته أنواع، كالحنطة والشعير وغيرهما ولفظ الجنس مفردا يصلح للأنواع المختلفة بخلاف العنب والنخل، فإنّ كلاّ منهما نوع، والدال على النوع مفردا لا يصلح للأمور المختلفة ولا يشعر بالإختلاف مع أنّ الإختلاف ههنا مقصود أيضا. وإنْ كان صنفيّا.

وقيل في بيانه إن المراد بهما أنواع النخيل والعنب دون نوع، لأنّ الانتفاع بهما مِن جهة التلذذ ولكل جديد لذّة، ولذا لم يكره الشرع أخذ الفواكه مِن أطراف المائدة وهذا هو الباعث لاختيار النخيل والأعناب [٢٧/أ] على الفواكه والثمرات لما في كل مِن النوعين لذّة مبانية بالنوع اللذّة الأخرى بخلاف الحب، فإنّ الانتفاع به مِن جهة المعاش وإبقاء الحيوة وهو حاصل بأيّ حبّ كان، فلو لم يجمعا لما أفاد المراد بهما، لأنّ كلاّ منهما دال على النوع، والدال على النوع لا يفيد الأنواع المختلفة ما لم يجمع وهو ظاهر بخلاف الحب، فإنّ المراد

٥١٥ سورة يس ٣٦/٣٤.

٥١٦ سورة يس ٣٦/٣٤.

٥١٧ سورة يس ٣٦/٣٤.

٥١٨ يشير المؤلف إلى البيضاوي.

٥١٩ ى – لان.

٥٢٠ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٢٦٧.

منه الجنس الحب ما وهو وإنْ كان تحته المختلفات، كالحنطة والشعير والأرز وغيرها إلاّ أنه لدلالته على الجنس يفيد الاختلاف، إذا الجنس يلومه الإختلاف بالضرورة، فلا حاجة في ذلك إلى صيغة الجمع. انتهى.

أقول: فساد هذا الكلام أظهر من أنْ يخفى، أما أوّلا فلان ههنا أمرين، أحدهما: أن الإنتفاع بالحبّ مِن جهة المعاش وبقاء الحيوة والانتفاع بالنخيل[٥٢١] والعنب مِن جهة التلذّذ والتفكه[٥٢٢] وإلى هذا الأمر أشير بتقديم الصّلة في الأوّل حيث قيل﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[٥٢٣] وبتأخيره في الثاني حيث قيل﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾[٥٢٤]، كما بيّناه. وأشار إليه القاضي أيضا، كما لا يخفى على الناظر في كلامه ولا مدخل للإفراد والجمع في هذا. وثانيهما إخراجه تعالى مِن الأرض للأنواع المختلفة من الحبوب وأصناف النخل والعنب، لأنّ كون الأرض الميتة آية إنما هي بهذا الإعتبار.

ولما كان لفظ الحب إلاّ على الجنس المشعر بالأنواع المختلفة لم يحتج إلى جمعه لهذا الغرض بخلاف لفظ النخل والعنب، لأنّه دال على النوع، فلا يشعر بالإختلاف. وإنْ كان تحت كلّ[٥٢٥] منهما أصنافا مختلفة، فجمع ليدلّ عليها.

---

٥٢١ و،ى: بالنخل.

٥٢٢ ى – والتفكه.

٥٢٣ سورة يس ٣٦/٣٣.

٥٢٤ سورة يس ٣٦/٣٥.

٥٢٥ و + : واحد.

وأما ثانيا فلأنّ قوله: المراد بهما أنواع النخيل والعنب دون نوع[٥٢٦] غلط، لأنّ كل واحد منهما نوع ولا يصح أنْ يراد بالنوع الأنواع.

وأما ثالثا فلأن قوله: الدّل على النوع لا يفيد الأنواع المختلفة ما لم يجمع غلط على غلط، لأنّ الدّالّ على النّوع لا يفيد الأنواع المختلفة أصلا سواء جمع، أولم يجمع هذا.

ثُمّ إنّه كان المناسب للحب والأعناب الثمور دون النخيل لأن المأكول، كالحب والعنب إنما هو ثمر النخل، لأنّ النخيل الّذِي هو شجر إلاّ أنه ذكر النخيل لاختصاصه بمزيد النفع، لأنّها شجر له لِيف وغصن وكعزى. وهو الغلاف الأوّل للثمر ما لم ينشق [٢٧/ب] وشحم وجزع، وكل ذلك منتفع به مع أنّ آثار الصنع أزيد فيه. إذ يميل أنثاه إلى ذكره ولا يثمر مِن غير تلقيح وييبس عند غرقه في الماء وعند قطع رأسه، كالحيوان.

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾[٥٢٧] قرئ مخففا ومشدّدا، فهو أما مِن الفجر والتفجير، كالفتح والتفتيح. وأيا ما كان لابدّ هناك مِن منفجر وهو العين الجارية، كما قال تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾[٥٢٨] فلا يصحّ أنْ يكون كلمة من في قوله: ﴿مِنَ الْعُيُونِ﴾[٥٢٩] ابتدائية، لأنّها منفجرة لا مبدأ التفجير، فهي إما بيانية و"الْمَفْعُولُ مَحْذُوفٌ؛ أي: شيئا مِنَ الْعُيُونِ، أو مَا

---

[٥٢٦] ى – ما.

[٥٢٧] سورة يس ٣٤/٣٦.

[٥٢٨] سورة القمر ١٢/٥٤.

[٥٢٩] سورة يس ٣٤/٣٦.

يَنْتَفِعُونَ بِهِ مِن العيون وأما زَائِدَةٌ، كما هو مذهب الْأَخْفَشِ". [530] والعيون مفعول وجوّز بعض الفضلاء كونها تبعيضية أي: بعضا مِن العيون، وفيه أنه فجّر الله في الأرض جميع العيون لا بعضها إلاّ أنْ يجعل جميع عيون الأرض بعضا مِن مطلق العيون لمكان عيون الجنة. وإنّما جعلنا فيها جنّات مشتملة على الأشجار والأثمار ﴿**لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ**﴾ [531] أي: ثمر ذلك المجعول وهو الجنات، فتأخيره عن تفجير العيون، لأنّه مبادئ الأثمار، فحاصل المعنى: وجعلنا فيها جنات ورتبنا مبادئ أثمارها ليأكلوا مِن ثمر ما ذكر مِن الجنات والنخيل، أو مِن ثمر الله تعالى. وعلى هذا كان مقتضى الظاهر مِن ثمرنا بالإضافة إلى ضمير المتكلّم، فعدل إلى الغيبة للإلتفات.

ثُمّ إنّ معنى "ثمر الله" الثمر المخلوق لله، فالإضافة لملابسة كونه مخلوقا له، فيكفي للإضافة، أو مِن ثمر الّذِي فجّر وهو الماء، لأنّه أصل كل شيء، فعلى هذا يتعلق "ليأكلوا" بقوله و"فجرنا" وقرئ الثمر بضمتين وهو إما لغة فيه، أو جمع ثمار بفتح الثاء، كسحاب وسحب.

---

[530] العكبري، أبو البقاء، التبيان في إعراب القرآن، ج: ٢، ص: ١٠٨٢.

[531] سورة يس ٣٦/٣٥.

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾[٥٣٢] أي: والحال إن ما ذكر مِن النعم ليس بحاصل لهم بتجسم الكسب وإذ آب الجوارح ومزاولة الأعمال، بلْ مِن مبدعاتنا ومحض فضلنا لنبلوَا يشكرون أم يكفرون، فعلى هذا "ما" نافية.

وقد يجعل "ما" موصولة معطوفة على الثمر أو على الأرض فعلى الأوّل معناه؛ ليأكلوا مما يتّخذون ﴿مِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[٥٣٣] وعلى الثاني معناه؛ وآية لهم مما عملت أيديهم. ويؤيد الموصولة حذف الهاء في قراءة الكوفيين، لأنّهم ذكروا أنّ العائد إذا كان مفعولا يحذف كثيرا. وهو المراد مِن قول القاضي.[٥٣٤] [٢٨/أ]

إن حذفه مِن الصلة أحسن مِن غيرها، فلا يرد أنّ الحذف مِن غير قرينة لا يجوز أصلا ومع القرينة يجوز في غير العائد، كما في العائد، فلا وجه لأحسنيّته هذا الحذف، وقد يجوز كون "ما" مصدرية يجعل العمل بمعنى المعمول معطوفا على الثمر، والنافية أرجح، أما أوّلا فلأن الموصولة والمصدرية ينبئان عن استقلال العباد في ذلك العمل، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[٥٣٥] لأنّ التركيب مِن قبيل: أخذته بيديّ ورأيته

---

[٥٣٢] سورة يس ٣٦/٣٥.

[٥٣٣] سورة نحل ١٦/٦٧.

[٥٣٤] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٢٦٨.

[٥٣٥] سورة يس ٣٦/٧١.

بعينيّ، فلا يلائم هذا أنْ يكون قوله: أحييناها الآية، بيانا لكون الأرض الميتة آية. وأما ثانيا، فلتوبيخهم وتقريعهم على عدم شكر نعمه تعالى عليهم بقوله.

﴿أَفَلاَ يَشْكُرُونَ﴾[٥٣٦] أي: على ما أنعمنا عليهم، ثُمّ إنّ الفاء للعطف على مقدر مناسب المقام مثل أيرون هذه النعم أو يتنعمون بها، فلا يشكرونها.

وقد يقال: هذا أمر بالشكر مِن حيث أنّه إنكار لتركه ولا يخفى أن هذا إنما يناسب لو كان النهي عن الشيء أمرا بضدّه وهو مما اختلف فيه أئمة الأصول. والتوبيخ على عدم الشكر إنما يلائم النافية، كما لا يخفى ويمكن تأويل الآية ببعض بطونها بحمل الآية في قوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ﴾[٥٣٧] على الآية الأنفسيّة وحمل الأرض على القلب، أي: وآية لهم أريناهم في أنفسهم أرض قبلهم الّتي كانت ميتة لحلوّها في مبدإ الفطرة عن المعارف والملكات أحييناها بإفاضة العلوم المعارف وقبول الملكات، فإنّ حيوة القلب إنما هي بها وأخرجنا منها حب الطاعات والحسنات، فمنه يأكلون في الجنة، لأنّ كل ما يطعمون فيها إنما هو صور أعمالهم وطاعاتهم، ولهذا يقال لهم: إنما هي أعمالكم تردّ إليكم وجعلنا أيضا في أرض قلبهم جنات مِن نخيل الأذكار وشجرة الإيمان، أرضها ثابت في أرض القلب وفرعها في سماء الأرواح وعنب الأشواق وعيون الحكم ينبع منها المعارف ليأكلوا ويتمتعوا من

---

[٥٣٦] سورة يس ٣٦/٣٥.

[٥٣٧] سورة يس ٣٦/٣٣.

أثار مكاشفاتهم وينتفعوا مِن ثمرات مشاهداتهم ونتائج أعمالهم أفلا يشكرون على هذه النعم لنزيدها.

﴿سُبْحَانَ﴾[٥٣٨] مصدر، [٢٨/ب] كغفران، ولا يكاد يستعمل إلاّ مضافا وقد ينقطع على الإضافة ويمتنع عن الصرف، وحينئذ يحكم عليه بأنّه علم للتسبيح وإذا صدر به كلام فكثيرا ما يقصد به تنزيه الحق سباحانه عن منقصة ينبئ الكلام عنها بالنسبة إلى غيره، كنفي العلم في قول الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[٥٣٩] وكالتوبة المنبئة عن الذنب في قول موسى ءم[٥٤٠] ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾[٥٤١] وكنسبة الظلم في فقول يونس عليه السلام ﴿سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٥٤٢] وكالمخلوقية في هذه الآية. وهو إما مصدر مضاف إلى المفعول إنْ كان قائما مقام فعل متعد مثل نسبحك ونقدّسك، أو إلى الفاعل إنْ كان قائما مقام فعل لازم مثل تنزّه ونقدّس.

﴿الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾[٥٤٣] قال القاضي: "أي الأنواع والأصناف."[٥٤٤]

---

٥٣٨ سورة يس ٣٦/٣٦.

٥٣٩ سورة البقرة ٢/٣٢.

٥٤٠ ى: عليه السلام.

٥٤١ سورة الأعراف ٧/١٤٣.

٥٤٢ سورة الأنبياء ٢١/٨٧.

٥٤٣ سورة يس ٣٦/٣٦.

٥٤٤ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٢٦٨ ؛ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج: ٣، ص: ٢٩٣.

قيل: هذا أولى مما في الكاشف مِن قوله: الأجناس والأصناف، والمنبت مِن الأرض النبات والأشجار، وهما نوعان لا جنسان، والمخلوق مِن أنفسهم هو الذكر والأنثى، وهما صنفان والأزواج المخلوقة مما لانعلم[٥٤٥] كونها نوعا وصنفا متيقن دون كونها جنسا، فالأولى الأخذ بالمتيّقن. انتهى.

أقول: فيه بحث، لأنّا فلانا[٥٤٦] لانسلم أن النبات والأشجار مندرج تحت النبات. وأنّ النبات جنس تحته أنواع مختلفة، فإنّ الحب تحت النبات. ولا شك أنّه جنس تحته أنواع مختلفة، كالحنطة والشعير، وقد صرّح به هذا القائل أيضا فيما سبق. وكذا الشجر تحت النبات وتحت الشجر أنواع مختلفة، وبالجملة المندرج تحت النبات إما جنس، أو نوع. وعلى أيّ تقدير، النبات جنس لا شك فيه عاقل، فالصّواب أنْ يقال: لم يذكر الأجناس، لأنّ المراد بخلق الأجناس خلق الأنواع المندرجة تحته، لأنّها إنما يوجد في الخارج ويتحصّل بوجود أنواعها، فلا حاجة إلى ذكره. وأما خلق الأنواع، فلا يستلزم خلق الأصناف، لأنّ النوع لا يلزم أنْ يكون تحته صنف. ثُمّ إنّه تعالى بيّن الأزواج المخلوقة بقوله.

﴿مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾[٥٤٧] [٢٩/أ] مِن أنواع النبات، بلْ مِن أنواع المعادن أيضا على ما يقال: إنّ المرجان ينبت، كما يدلّ عليه ما يشاهد مِن هيئة النماء وذكر في مسالك

---

[٥٤٥] و: يعلم.

[٥٤٦] و – فلانا.

[٥٤٧] سورة يس ٣٦/٣٦.

المسالك[548] أن الذهب ينبت في جزيرة عانة [549]﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[550] الذكر والأنثى ﴿وَ﴾[551] أزواجا ﴿مِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾[552] مما لا يجعل الله لهم طريقا إلى معرفته على ما يفيده الاستمرار المفهوم مِن قوله: ممّا لا يعلمون، فإنّه نفي مستمر بالوصف، لا نفي مستمرّ بالإضافة، والكلام في إعراب قوله:

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ الَّلَيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النّهَارَ﴾[553] كهو مما[554] سبق. والسلخ يستعمل تارة بمعنى النّزع والكشط، كقولك: سلخت الإهاب عن الشاة أي: نزعته عنها، وقد يكون بمعنى الإخراج، نحو: سلخت الشاة مِن الإهِاب أي: أخرجتها عنه، والكلام مِن قبيل الاستعارة الّتي طرفها حسيّان والجامع أمر عقليّ. أما على المعنى الأوّل، فالمستعار منه كشط الجلد عن نحو الشاة والمستعار له إزالة الضوء مِن مكان الليل وملقى ظلة، فإنّ الظلمة هي الأصل والنور طارٍ عليها يسرّها بضوئه، فإذا غربت الشمس، فقد كشط النّهار عن ظلمة الليل، فظهرت ظهور المسلوخ بعد سلخ إهابه وهما حسيّان والجامع عقليّ وهو ترتب أمر على آخر، كترتب ظهور اللحم على كشط الجلد وترتب زهور الظلمة على كشف الضوء عن

---

548 المسالك والممالك، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (المتوفى: نحو ٢٨٠هـ).

549 في الهامش: "(في جزيرة عانة) : في بلاد اندلس."

550 سورة يس ٣٦/٣٦.

551 سورة يس ٣٦/٣٦.

552 سورة يس ٣٦/٣٦.

553 سورة يس ٣٦/٣٧.

554 ي، و : فيما.

مكان الليل، فعلى هذا المعنى، لاإشكال في استعمال الفاء في قوله: ﴿فَإذاهُمْ مُظْلِمُونَ﴾[555] لأنّ الواقع عقيب نزع النهار عن الليل هو الدخول في الظلام.

وأما على المعنى الثاني، فالمستعار منه إظهار المسلوخ عن جلدته، والمستعار له إظهار النهار عن ظلمة الليل وهما حسيّان أيضا والجامع ما يعقل من ترتب أحد الأمرين على الآخر، فإنّ ظهور النهار مترتب[556] على إزالة ظلمة الليل، كما أنّ ظهور المسلوخ مترتب[557] على إزالة الجلد إلاّ أن الظاهر حينئذ أنْ يقال﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾[558] لأنّ مرتب على ظهور النهار هو الإبصار لا إلاّ ظلام، أعنى الدخول في الظلام، فيجب حمل الفاء على التعقيب العرفي وذلك مما يختلف بحسب الأمور والعادات.

فربما [٢٩/ب] يطول الزّمان المتوسط بين شيئين ولا يعد ذلك في العادة مهلة، كما في هذه الآية، فإنّ مقدار النهار، وإنّ توسط بين إخراجه مِن الليل وبين دخول الظلمة، لكن لما كان دخول الظلام الشامل مِن بعد زواله بالكلّيّة بالضوء العام أمرا غريبا عظيما ينبغي أنْ لا يحصل إلاّ بعد أضعاف ذلك الزمان يعتد به ولم يعد مهلة، بلْ جعل دخول الليل مفاجأً لإخراج النهار بلا تراخ على أنّ إذا[559] المفاجأة إنما يحسن موقعها على المعنى

---

[555] سورة يس ٣٦/٣٧.

[556] و،ى: مرتب.

[557] و،ى: مرتب.

[558] سورة الأعراف ٧/٢٠١.

[559] ى – إذ؛ و: إذ

الثاني دون الأوّل إذ يحسن أنْ يقال أخرج لنا النهار، ففاجأنا دخول الليل ولا يحسن أنْ يقال نزع عنا ضوء النهار، ففاجأنا دخول الظلام، لأنّه بمنزلة أنْ يقال: كسرت الكوز، ففاجأه الانكسار فإن دخولهم في الظلام على المعنى الأوّل عين حصول الظلام، فنسبة ذلك الدخول إلى نزع ضوئه، كنسبة الانكسار إلى الكسر والسّرقية، أن الظلام الّذِي هم داخلون فيه عقيب نزع النهار عن ظلمة الليل هو بعينه ظلام الليل الّذِي نزع منه النهار، فلا يتأتى فيه المفاجأة بخلاف المعنى الثاني، فإنّ ذلك الظلام فيه هو ظلام الليل التالي النهار الّذِي أخرج مِن الليل السّابق، فيستقيم المفاجأة هذا، وقد يؤيّد أيضا المعنى الثاني بأنّ مفاجأة الظلام بعد ظهور النهار وإضأته للعالم يشتمل على نوع غرابة ويفتقر إلى مزيد اقتدار[٥٦٠]، فيكون داخل كونها آية مِن مفاجاة ظهور الليل بعد انقضاء النهار وبأنّ ظهور النهار المشرق مِن الليل الظلم أشبه بظهور المسلوخ الأبيض مِن الجلد السّاتر مِن ظهور الليل منه، كما لا يخفي.

﴿**وَالشَّمسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا**﴾[٥٦١] ومستقرها تحت العرش على "ما ورد في الحديث الصّحيح أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم قال لِأبِي ذَرٍّ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ

---

٥٦٠ و: اقتداءٍ.

٥٦١ سورة يس ٣٦/٣٨.

الشَّمْسُ؟» فقال: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تنهى تَحْتَ العَرْشِ»[٥٦٢] وفي رواية «حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، ثُمَّ تَسْتَأْذِن فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أن تسجد فلا يقبل وتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا، فيقال لها: ارجعي مِن حيث جئت، فتَطلُعُ من مغربها» فلذلك قَوْلُهُ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾"[٥٦٣] صدق رسول الله.

وظاهر [٣٠/أ] الحديث الشريف أن المراد بالاستقرار وقوفه كلّ يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الإستقرار السّير الدائم المعبر عنه بالجري. وإنّ "المستقر" اسم مكان، واللام بمعنى "إلى" ويجوز[٥٦٤] أنْ يكون المراد بمستقرها حدّا معيّنا كآخر درجة مِن الحوت ينتهي إليه دورها في السنة الشمسية، لا يقال: السنة تختلف باختلاف الاعتبار، فقد يعتبر قمرية، وقد يعتبر الشمسية وكل منهما حقيقية وحكمية، فلا حدّ لها معيّن يشار إليه، لأنّا نقول: الاختلاف المذكور لاينافي ما قصد إذ جريانها إلى مستقر لها بحسب ما يعتبره كلّ طائفة واقع وهو مِن آياته، فالمستقر على هذا اسم مكان أيضا إلاّ أن الشمس لا استقرار

---

[٥٦٢] صحيح البخاري، باب الشمس والقمر، ج: ٤، ص: ١٠٧، رقم الحديث: ٣١٩٩؛ "حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟» ، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [سورة يس ٣٦/٣٨]."

[٥٦٣] أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، ج: ٣، ص: ١٢٣.

[٥٦٤] ى: وجوّز.

لها ولا سكون في شيء من حدود الفلك، فيكون ذلك الحدّ المعين مستقرا لها. إنما هو على سبيل التشبيه بمستقرّ المسافر في كون كلّ منهما منتهى السّير، أو المراد مِن مستقرّها، كبدأ السماء أي: وسطها، لأنّ حركتها فيه توجد إبطاء بحيث تظن أن لها هناك وقفة لما تقرّر في موضعه أن زيادة الارتفاع على سبيل التناقص، فإنّ ارتفاع ساعتين بعد الطلوع أقل مِن ضعف ارتفاع ساعة بعده، فعند غاية الارتفاع يرى بطؤ تام بالنسبة إلى ما قبلها، ويجوز أنْ يكون المستقر مصدرا ميميّا بمعنى الاستقرار أي: تجري لاستقرار لها على نهج مخصوص لما تقرر في موضعه من أنّ حركة فلك واحد لبساطته لا يختلف بالسرعة والبطيء، بلْ يكون متشابهة وعلى نهج واحد ويجوز أنْ يكون المراد تجري المنتهى مقدر لكل يوم وهو مشرق ذلك اليوم ومغربه، فإنّ للشمس في دورها ثلاث مائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب.

ثُمّ لا تعود إليهما إلى العام القابل، وبيانه إجمالا أن الدائرة التي هي مدار حركة الشمس وهي منطقة فلكها قسمت بثلاثمائة وستين جزءً ، يسمى كل قسم جزءً ودرجة، لأنّ هذا العدد أقلّ عدد يوجد فيه الكسور التسعة سوى السبع إذ لا سبع صحيحا له وهم يحتاجون في الحساب وضبط قدر الحركات إلى تلك الكسور. [٣٠/ب] وحركة الشمس في فلكها، وهي حركتها الخاصة بها في كلّ يوم بليلته درجة واحدة تقريبا، فهي كلّ يوم بليلته في درجة واحدة مِن الدّرجات المذكورة. ولما كان منطقة فلكها مقاطعة لدائرة الأفق، وهي

الدّائرة الفاصلة بين النصف المرئيّ مِن الفلك والنصف الغير المرئي منه تقاطعا حمايليّا[٥٦٥] كان كل درجة مِن تلك المنطقة طالعا بالحركة اليوميّة الّتي يتحرك بها جميع الكواكب والأفلاك مِن جزء مِن دائرة الأفق في جانب المشرق غير الجزء الّذِي يطلع منه الدرجة الأخرى، فيكون المشارق، أعنى أجزاء دائرة الأفق الّتي يطلع منها الدرجات المذكورة أيضا ثلاثمائة وستين جزءًا، كلّ مِن تلك الأجزاء مطلع الدرجة مِن درجات منطقة ذلك الشمس. وكذا في جانب المغرب.

ثُمّ إنّ مطلع كل درجة ومغربها مغائرة المطلع درجة أخرى. ومغربها، فلا يعود إليها إلى تمام أيام السنة، واعلم أن هذا بحسب النظر الجليل.

وأما النظر الحكمى، فيقتضي أن المشارق والمغارب ليست إلاّ مائة وثمانين، فإنّ مشارق ما بين أوّل السّرطان وأوّل الميزان.

وكذا مغاربها هي بعينها مطالع ما بين أوّل الحمل وأوّل السرطان ومغربها وكذا في البروج الجنوبيه كل مطلع إنما هو مطلع الجزئين.

وكذا كل مغرب الجزئين، فعدد الطوالع والغوارب ضعف عدد المطالع والمغارب، فلذلك تسامحوا، فقالوا: عدد كل مِن المشارق والمغارب ثلاثمائة وستين إلاّ أن هذا ايضا بناء على عادة العرب مِن حزف الزائد على العقد، فإنّ الشمس يقطع كل يوم أقل مِن درجة،

---

[٥٦٥] و + في معظم المعمورة

فيزيد عدد المشارق على عدد الأجزاء، ومِن غرائب الأمور ما يقال: إن المراد بالمشارق والمغارب الأجزاء مِن منطقة البروج التي يطلع كل يوم الشمس مِن أحدهما؛ وهي مشرقة ويغرب في أحدهما، فهي مغربة، لأنّ المشارق والمغارب لم يطلق على هذا لا في متفاهم العرف ولا في مصطلح أهل الهيئة، كما لا يخفى.

وقيل: يجوز أنْ يكون المستقر عبارة عن الوقت الّذي ينقطع جريها فيه ويستقر وهو يوم القيامة الّذي يكون عند خراب الدنيا، فالمعنى تجري لمنقطع جريها عند خراب العالم. وقرئ :(لا مستقرّ لها) [٣١/أ] أي: لا سكون لها، بلْ يتحرك ما دامت السموات على وضعها وأشكالها ولم تنشق ولم تطو ﴿*كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ*﴾،[٥٦٦] لا أنها متحركة أبدا ليخالف النّصوص الناطقة بخلافه.

﴿**ذَلِكَ**﴾[٥٦٧] الجري المشتمل على الحكم الّتي يعجز العقول عن إحصائها ﴿**تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ**﴾[٥٦٨] الّذِي هو غالب بقوته القاهرة وقدرته الباهرة على كل ما يدخل تحت القدرة ولا يمتنع لذاته ﴿**الْعَلِيمِ**﴾[٥٦٩] الّذِي يحيط بكل شيء علما، فلا يغرب عن علمه مثقال ذرّة:

واعلم أنه لا بد مِن تأويل قوله:

---

[٥٦٦] سورة الأنبياء ١٠٤/٢١.

[٥٦٧] سورة يس ٣٨/٣٦.

[٥٦٨] سورة يس ٣٨/٣٦.

[٥٦٩] سورة يس ٣٨/٣٦.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[570] إذ لا معنى لتقدير نفس القمر منازل، لأنّ المنازل مفعول ثان لـ"قدرنا"، فلا بد أنْ يحمل على[571] الأوّل، فأما أنْ يقدر مضاف على المفعول الثاني أي: ذا منازل، أو على المفعول الأوّل فحينئذ إما أنْ يقدر اسم مكان أي: قدرنا مسيرة[572] والمنازل يحمل على المسير، أو يقدر مصدرا أي: قدرنا سيره في منازل، فيكون "منازل" منصوبا على الظرفية. ثُمّ مجموع في مع مدخوله بمنزلة المفعول الثاني لـ"قدرنا"، فإنْ قلت الظرف المكان لا يقبل تقدير في، قلت إذا كان فيه معنى الاستقرار يقبله، نحو: قعدت مجلس فلان و[573] ضربت مضربه.

ثُمّ إنّ أهل اللغة اختلفوا، فقال بعضهم: القمر في الغرة، أو لِلَيْلتين، أو إلى من آخر الشهر يطلق عليه الهلال، أو في ما عدا ذلك القمر. وقال بعضهم: القمر عام والنظم الجليل يؤيد هذا القول، لأنّه أطلق القمر في جميع المنازل. واعلم أن منازل القمر ثمانية وعشرون، لأنّ العرب لما كانت سنتهم قمرية اختلف أوائلها فتارة مثلا كانت في الشتاء وتارة في الصيف وكانوا محتاجين إلى ضبط السِنة بالشمس، فرأوا أن القمر يتم دوريته في ثلثين يوما تقريبا، فنقصوا مِن تلك المدّة يومين لخفائه فيهما وقسموا دور الفلك ثمانية وعشرين

---

[570] سورة يس ٣٦/٣٩.

[571] و + المفعول.

[572] ى: قدر مسيرة.

[573] ي، و: دون

قسما وسموا كلّ قسم منزلا ينزله القمر كل ليلة واعلموا كل منزل بعلامة مِن الثوابت[٥٧٤] بأنّ توهموا للمنازل منهما صورا، كما توهموا للبروج منها صورا ليعرفوا كل منزل بها ونظروا أن الشمس دائما يسرّ ثلثة منازل بشعائها أحدها الّذِي هي فيه وآخر مِن قبله بضوء الفجر وآخر [٣١/ب] مِن بعده بضوء الشفق مما[٥٧٥] يخرج مِن ضوء الفجر مِن المنازل سموه بالطالع وعرفوا ابتداءه وعرفوا مدة ما بين ظهور منزلين، فوجدوه ثلثة عشر يوما. فجميع المنازل ظهورها في ثلاثمائة وأربعة وستين يوما، فزادوا يوما على منزل الجهة، فصار خمسة وستين، فصار هوائل سنتهم مضبوطة معينة وقتها. ثُمّ إنّه، كما كان الواقع عقيب نقطة الاعتدال الرّبيعيّ مِن البروج الإثنى عشر الّتي هي منازل الشمس الحمل كذلك الواقع عقيبها مِن منازل القمر هو:

"**الشرطان**"[٥٧٦] بفتحات وهما كوكبان نيّران وقعا قرنيّ العمل وفي جنب أحدهما مِن جانب الشمال كوكب[٥٧٧] صغير يعدّه[٥٧٨] بعضهم معهما، فيقول: هذا المنزل ثلاثة كواكب ويسميها الأشراط والشرط العلامة. ولما كان سقوطهما علامة ابتداء المطر سميّا به وهذه صورتها.

---

[٥٧٤] و: الثواب.

[٥٧٥] و، ى: فما.

[٥٧٦] و: السرطان.

[٥٧٧] و: كواكب.

[٥٧٨] و: بعده.

والمنزل الثاني "**البطين**" بالتصغير ثلاثة كواكب صغار متقاربة وقعت على هيئة الأثفية وهو بطن الحمل ولذا سمى به وبينه وبين الشرطين قيد رمح وهذه صورته.

والمنزل الثالث "**الثريّا**" تصغير ثروى، يقال: امرأة ثروى أي: متموّلة سمّي به النجم لكثرة كواكبه وهي ستة كواكب، كعنقود العنب موقعها الية الحمل وهذه صورتها.

والرابع "**الدبران**" نجم أحمر منير على عين الثور وهو مع بعض بنجوم الثور، كهيئة دال وهو طرفه سمي به، لأنّه دبر الثريا أي: صار خلفها وهذه صورتها.

والخامس "**الهقعة**" بفتح الهاء الدائرة وهي ثلثة كواكب صغار متقاربة على هيئة أثفية، كالبطين موقعها رأس الجوز سميت بها لسببها بهقعة الدابة وهي دائرة يكون عند رجل الفارس في جنب الدّابة، وهي صورتها.

والسادس "**الهنعة**" بفتح الهاء أيضا سمّيت في منخفض العنق سمّيت بها وهي خمسة أنجم مصطفة ينزلها القمر، وقد يقال: هو مِن هنعة الشيء عطفته وثنيت بعضه على بعض سميت به، لأنّ كلاّ منها منعطف على صاحبه وهذه صورتها.

والسابع "**الزارع**" وهو كوكبان نيران منصوبان في المجرة موقعها ذراع الأسد ولذا سمي به وهذه صورتها. [٣٢/أ] ويسمى هذا ذراع الأسد لمبسوط أيضا إذ للأسد ذراعان مبسوط يلي اليمن ومقبوضة يلي الشام، وهي الشعري الشامية والقمر ينزلها أيضا.

والثامن مِن "**النثرة**" وهي كوكبان بينهم قدر شبر وبينهما لطخ بياض، كأنّه قطعة سحاب وهي أنف الأسد. والثامن مِن النثرة لغة هي الخيشوم وصورتها هذه. وفي بعض الكتب هي كقطعة سحابة، وهي أربعة كواكب على شكل أربعة أضلاع منحرف، وقد يسرها القمر وهذه صورتها.

والتاسع "**الطرف**" بفتح الطاء والعين وهو كوكبان صغيران يتقدمان الجبهة، لأنّهما عينا الأسد، ولذا سمي به وهذه صورته.

والعاشر "**الجبهة**" وهي خمسة كواكب على خط معوّج أكثرها على طرف ذلك يقال إنّها جبهة الأسد وصورتها هذه.

والحادي عشرة "**الزبرة**" بضم الزاء هي الكاهل والشعر المجتمع يكاهل الأسد وهي نجمان مضيئان بينهما نجوم صغار وما بينهما أكثر مِن ذراع بطلوعه يغرب الأجبية وهما بكاهل الأسد[٥٧٩] وهذه صورتها.

والثاني عشر "**الصّرفة**" هي نجم واحد نيّر ليس حوله كوكب يتلو الزبرة سمّى بها لانصراف البرد بطلوعها وإقبال الحرّ عند نزول الشمس فيه.

والثالث عشر "**العوّاء**" بالمد والقصر، ذكر في القاموس[٥٨٠] "أنها خَمْسَةُ كواكِبَ، أو أربعةٌ، كأنَّها كِتابَةُ أَلِفٍ"[٥٨١] والصحيح أنه ليس كذلك[٥٨٢]، بلْ هي خمسة كواكب، ثلاثة

---

[٥٧٩] و – وهي نجمان مضيئان بينهما نجوم صغار وما بينهما أكثر من ذراع بطاوعه الأجبية وهما بكاهل الأسد.

منها على خطٍّ مِن جنوب الصرفة واثنان على سطر والجملة على شكل الدال المكتوبة باليسار سميت بالعوّاء للانعطاف والالتوآء فيها تقول العرب عويت الشيء أي: عطفته صورتها.

والرابع عشر "**السّماك**" بكسر السين في اللغة ما سمك به الشيء ولهم سماكان االعزل والرامح، وهما رجلا الأسد، وكل منهما كوكب منفرد. سمي به لسمكه. أي: رفعته.

والخامس عشر "**الغفر**" ثلثة أنجم صغار خفية موقعها الميزان سميت به لنقصان ضوئها من قولهم غفرت الشيء، إذا عطيته وهذه صورته.

والسادس عشر "**الزبانا**" بضم الزاء، كوكبان نيّران على ذبني الميزان وزعم العرب أنهما زبانا العقرب أي: قرناها، وهذه صورته. [٣٢/ب]

والسابع عشر "**الإكليل**" هو لغة عصابة التاج تزين بالجواهر يقال لأربعة انجم مصطفّة تشبها بها وفي بعض الرسائل النجوميّة أنها ثلثة كواكب على خط مقوس موقعها جهة العقرب سمي به لتكلله أي: إحاطته، وهذه صورته.

٥٨٠ القاموس: القاموس المحيط، الفيروزآبادي.

٥٨١ القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، ج: ١، ص: ١٣١٦.

٥٨٢ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج: ٢، ص: ٦٥٣.

والثامن عشر "**القلب**" وهو كوكب نيّر أحمر، معه كوكبان صغيران أحدهما فوقه والآخر تحته، يقال:[٥٨٣] إنه قلب العقرب وهذه صورته.[٥٨٤]

والتاسع عشر "**الشولة**" وهي في اللغة ما يشال أي: يرفع العقرب مِن ذنبها وهي كوكبان نيّران متقاربان يقال إنّهما ابرتا[٥٨٥] العقرب سميت بذلك، لأنّها ذنب العقرب وذنبها شائل أبدا، وهذه صورتها.

والعشرون "**النعائم**" ثمانية كواكب متفرقة، أربعة منها في المجرة وتسمى الواردة، لأنّها شرعت في المجرة، كأنّها تشرب منها، وهي كالنهر وأربعة خارجة تسمى الصادرة وكل واحد مِن هذه الكواكب نعامه ورد بعضها في المجرة وصدر بعضها و هذه صورتها.

والحادي والعشرون "**البلده**" وهي قطعة مِن السماء، لا كوكب فيها وهي "**بين الناعيم وبين سعد الذابح**" ينزلها القمر، وربما عدل، فنزل بالقلادة وهي ستة كواكب مستديرة يشبه القوس. وإنّما سميت بلدة تشبيها لها بالفرجة التي بين الحاجبين غير مقرنين يقال: رجل أبلد إذا افترق حاجباه، وصورة القلادة على هذه.

والثاني والعشرون "**سعد الذابح**" كوكبان نيّران بينهما قيد ذراع وفي نحر أحدهما نجم صغير، كأنّه شاة يذبحها السّعد والجملة على رأس الجدي على هذه الصورة.

---

[٥٨٣] و: ويقال.

[٥٨٤] و – إنه قلب العقرب وهذه صورته؛ و + لهما النيطان والكوكب النير قلب العقرب وصورته هذه.

[٥٨٥] و: ابرة.

والثالث والعشرون "**سعد بلع**" كزفر كوكبان صغيران متفرقان أي: افتراق سعد الذابح سمي بذلك، لأنّه لا شاة معه، كما كان مع الذّابح، فكأنه بلغ شاته أو لأن أحدهما مضيئ والآخر[٥٨٦]، فكأنه بلغ الآخر.

والرابع والعشرون "**سعد السّعود**" ثلاثة كواكب على خط مقوس بين الشمال والجنوب أحدهما نيّر مِن كواكب الجدي واثنان خفيّان مِن القوس القمر يقرب مِن جنوبهما سمّى بذلك، لأنّهم يتدؤن [٣٣/أ] عند طلوعه ما به يعيشون وتعيش مواشيهم، وهذه صورته.

والخامس والعشرون "**سعد الأخبية**" أربعة كواكب مِن القوس ثلثة منها، كثلث وأربعها في وسط المثلث، كأنّه خباؤه أي: أخفاه وهذه صورته.

واعلم ان السّعودات مِن النجم عشرة أربعة منها هي منازل القمر وهي المذكورة آنفا وستة أخرى. وهي سعدنا شزة، وسعد الملك، وسعد الهام، وسعد الهمام، وسعد البارع، وسعد العطر. وكل منها كوكبان بينهما في المنظر، نحو ذراع.

والسادس والعشرون[٥٨٧] "**فرغ الدلو المقدّم وفرغ الدلو المؤخر**" كلّ واحد منهما كوكبان نيّران بينهما في المرئى قدر رمح. والفرغ في اللغة مخرج الماء مِن الدّلو سمّيا به،

---

٥٨٦ و، ى + غير مضيئ.

٥٨٧ و، ى + والسابع والعشرون.

لأنّ في وقت طلوعها يأتي الأمطار كثيرا، فكان كلّ منهما دلو يصيب الماء عنه، وهذه صورته.

الثامن والعشرون "**الرّشا**" بكسر الرّاء، في الأصل الجبل، ويسمى ببطن الحوت أيضا، لأنّه كوكب نيّر في بطن برج الحوت وتسميته بالرشا مِن جهة أن الكواكب الصّغار الّتي توهمت منها صورة الحوت شبهت برش الدلو، وهذه صورتها.

فهذه منازل القمر وهي ينزل كل ليلة في واحد منها، أو يقربها، أو يحاذاتها ولا يبعدان. يقال: المنزل اسم لبعض مِن المسافة التي يقطعها القمر والكواكب علامات لها لأنّها منازل، كالبروج وصورها وحينئذ تصح القول بنزول القمر كل ليلة في واحدة منها. ثُمّ إذا كان القمر في آخر منازله وهو الّذِي يكون فيه قبيل الاجتماع دقّ واستقوس.

﴿**حَتّى عَادَ**﴾[٥٨٨]صار ﴿**كَالْعُرْجُونِ**﴾[٥٨٩] فعلول، أو فعلان مِن الانعراج بمعنى[٥٩٠] الاعوجاج، والمراد العكال الّذِي عليه بسر، أو عنب ووجه التشبيه، أنه بعد اليبس يستدق ويصير معوجا أصفر، فالتشبيه تمثيلي ووجه الشبه هيئة منتزعة مِن عدة أوصاف للمشبه به، كما في تشبيه الثريا بعنقود ملاحية حين نوّرا على ما حقق في محله، فلا يرد أنه لا يكفي في

---

[٥٨٨] سورة يس ٣٦/٣٩.

[٥٨٩] سورة يس ٣٦/٣٩.

[٥٩٠] و: يعني.

وجه الشبه[٥٩١] كون الصفة مشتركة، بلْ يلزم اشتهار المشبه به والاصفرار [٣٣/ب] ليس مما يفهم مِن العرجون. انتهى.

وكأنه مبني على توهّم كون وجه الشبه متعددا وبينهما فرقان ويجوز أنْ يكون المعنى حتى[٥٩٢] عاد إلى وضعه السابق وهو كونه ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[٥٩٣] العتيق. وقد يقال هو ما مرّ عليه حول، ولذا قالوا: "من قال: كل عبد قديم لى فهو حرّ"، يحمل على ما مضى عليه سنة عنده.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾[٥٩٤] أي: لا يصحّ للشمس ولا يوافق الحكمة ولما كان مِن القاعدة المقررة واعلم[٥٩٥] أن إيلاء المسند إليه حرف النّفْي ليس لأجل[٥٩٦] أن يفيد التخصيص، بلْ إنما أدخل النفي على الشمس، ليفيد أنها[٥٩٧] مسخّرة لا يصحّ لها لذاتها[٥٩٨] إلاّ ما أريد بها، أو[٥٩٩] دخولها يشعر بكونها ها لكنه في نفسها غير بذاتها على شيء.

---

٥٩١ و: التشبه.

٥٩٢ و - حتى.

٥٩٣ سورة يس ٣٦/٣٩.

٥٩٤ سورة يس ٣٦/٤٠.

٥٩٥ و - واعلم.

٥٩٦ و - ليس الأجل أن.

٥٩٧ و: فيفيد أنّ الشمس لكونها ، ى: فيفيد أنّ الشمس.

٥٩٨ و + بل بإرادة ربها؛ و - إلاّ ما أريد بها أو دخولها يشعر بكونها ها لكنه في نفسها غير بذاتها على شيء.

٥٩٩ ى: أذ.

﴿اَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾[600] أي: تلحقه في سرعته سيرها بأنْ يكون سيرها أيضا سريعا، كسير القمر بأنْ يقطع[601] في يوم بليلته اثنان[602] عشرة درجة مِن منطقة فلكه، فيكون[603] قاطعة دور فلكها في شهر، كالقمر بالأفق بالحكمة أن تقطع الشمس في يوم بليلته قريبا مِن درجة واحدة لتتم دورتها في سنة لينتظم الفصول الأربعة على هذا الوضع المشاهد ولا يختل تكون النبات وتعيش الحيوان البري، بلْ البحري أيضا بناء على إنشاء السحب لنزول المطر مما يتوقف عليه تعيش الحيوان البحري على ما قيل وذلك بتوقف على الحركة المعهودة للشمس. والمعنى أنه لا يصح للشمس ﴿اَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ ويلحقه في آثاره ومنافعه، فلا يكون للقمر آثارا ومنافع مخصوصة، كصبغ الفواكه وتربية النبات وغيرها، أو تدركه في مكانه بأنّ تنزّل مِن محلها الّذِي هو الفلك الرابع إلى محل القمر الّذِي هو السّماء الدّنيا، أو في سلطانه الّذِي هو في الليل المظلم لضعف نوره بأن تطلع الشمس في الليل، فتداخل القمر في سلطانه، فتطمس نوره وتصرفه عن مطارح ضيائه وصبغه للفواكه.

﴿وَ﴾[604] كذا ﴿لاَ اَلَّيْلُ﴾[605] ينبغي له ويوافق الحكمة أنْ يكون بحيث هو ﴿سَابِقُ النَّهَارِ﴾[606] فيسبق النهار ويفوته ويذهب عنه ويختص بزمانه، بلْ كل منهما مختص

---

[600] سورة يس ٣٦/٤٠.

[601] و: تقع.

[602] ى: اثنتا؛ و: اثنتي.

[603] و: فلكها فتكون.

[604] سورة يس ٣٦/٤٠.

بزمان. ويجوز أنْ يكون المراد بالليل والنهار آيتان هما وهو النيران، كما قال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[٦٠٧] ويكون [٣٤/أ] المراد بالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس على عكس الأوّل بأنْ يكون المراد به سبق الشمس على سلطان القمر، فحاصل المعنى أن الشمس لا ينسهل لها أنْ يتصرّف في سلطان القمر في الليل بأنّ تطلع فيه فتنزيل سلطانه وتصرفه مِن مطارح ضيائه لما أن تدبير نظام الكل منوط بالمعاقبة بين الليل والنهار.[٦٠٨]

وكذا لا يتسهّل للقمر أنْ يكون ذا سلطان في النهار، لأنّه جرم مطلم فلا ذاته إنما يستفيد النور مِن الشمس، فكيف يزيل سلطان الشمس، فكل منهما مدبر بأمر معلوم ومقام مختص به وتسخير معين في السير ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾[٦٠٩] ويؤيد هذا المعنى سياق الكلام وسباقه أما الأوّل، فقوله: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾[٦١٠] ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[٦١١] وأما الثاني، فقوله: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٦١٢] إلاّ أنه لا بدّ مِن بيان النكتة

[٦٠٥] سورة يس ٣٦/٤٠.
[٦٠٦] سورة يس ٣٦/٤٠.
[٦٠٧] سورة الإسراء ١٧/١٢
[٦٠٨] ى: بين النهار والليل
[٦٠٩] سورة الصافات ٣٧/١٦٤
[٦١٠] سورة يس ٣٦/٣٨.
[٦١١] سورة يس ٣٦/٣٩.
[٦١٢] سورة يس ٣٦/٤٠.

في أنّه لم خولف في العبارتين والمراد واحد، فنقول: لما كان سير القمر سريعا كان إثبات السّبق ونفيه إليه مناسبا ولما كان سير الشمس بطيئا كان إثبات الإدراك واللحوق، أو نفيه إليه ملائما. وأما تبديل القمر بالليل والشمس بالنهار مع أنّ الظاهر على هذا المعنى أنْ يقال: ولا القمر سابق الشمس، فللإيذان بالتعاقب بين الليل والنهار ليكون كالتنصيص على أن التدبير منوط بذلك التعاقب.

﴿وَكُلٌّ﴾[٦١٣] أي: كل واحد مِن الشمس، أو كلهم على أنْ يكون الضمير راجعا إلى الشموس والأقمار فإنّهما وإن لم يتعددا ذاتا إلاّ أنهما يتعددان ويتكاثران باعتبار تعدد المطالع وتكاثرها أولى الكواكب المشعر بها ذكر الشمس والقمر. فبالجملة التنوين عوض عن المضاف إليه، فالمعنى واحد منهما، أو كلهم ﴿فِي فَلَكٍ﴾[٦١٤] أي: في جنسه، كقولهم، كساهم الأمير حلة. فإنْ قلت إضافة الكل إلى الضمير يوجب كون المراد به المجموع، كما هو المشهور[٦١٥] ليس كلية، بلْ في كثير مِن المواضع يراد الجزئيات، نحو: قوله تعالى: ﴿كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[٦١٦] وقوله عليه السلام: "كل الطلاق واقع إلا طلاق المعتق."[٦١٧]

---

[٦١٣] سورة يس ٣٦/٤٠.

[٦١٤] سورة يس ٣٦/٤٠.

[٦١٥] ي، و + فيفيد الكلام على تقدير كون المراد: وكلهم في فلك ان المجموع في فلك قلت ذلك المشهور

[٦١٦] سورة آل عمران ٣/٩٣.

[٦١٧] السبكي، تقي الدين، الإبهاج في شرح المنهاج، ج: ٢، ص: ٩٩؛ ابن عبد الهادي، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، ج: ٤، ص: ٤١٢. ولفظ الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كل الطلاق جائز إلا طلاق المعتوه المغلوب على عقله".

فإنْ قلت على تقدير أنْ يراد بكلهم الشموس والأقمار يصحّ أن كلاًّ مِن الشمس والقمر في فلك. وأما على تقدير أراده سائر الكواكب [٣٤/ب] يصحّ أن كلّ كوكب في فلك مع أنّ جميع الثوابت في فلك، قلت: الحكم بكون كل واحد في فلك لا يقتضي تحقق فلك لكل واحد. تبصر.

وقدّم في فلك مع كونه مِن تَتِمّة ما بعده لتوافق رؤس الآيِ ، وخبر "كل" قوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾[618] أي: يسرعون على سطح الفلك إسراع السّابح على سطح الماء ويسيرون فيه بانبساط بأنّ من انبسط في شيء، فقد سبح فيه، ومِن ذلك السباحة في الماء. وإنّما جمع والقياس "يسبح" باعتبار المطالع. وأما الجمع بالواو والنون، فلكون الوصف مما يختص بذوى العقول أعنى السّبح.

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ اَنَّا حَمَلْنَا﴾[619] أي: رفعنا، فإنّ الحمل منع الشيء عن أنْ يصير إلى جهة السفل. ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[620] وقرئ ذرّيّاتهم بالجمع، والذرية إما فعليّة مِن الذر، أو فعولة مِن الذرء أبدلت همزتها ياء. ثمّ قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء ومعناها لغة، قيل: نسل الثقلين.

---

[618] سورة يس ٣٦/٤٠.
[619] سورة يس ٣٦/٤١.
[620] سورة يس ٣٦/٤١.

وقيل: ولد الرجل، والمراد بها هما أبنائهم الّذين كانوا يترفّهون ببعثهم إلى التجارات بحرا وبرّا. وأما صبيانهم الذين يستصحبونهم وتخصيص الذّرية بالذكر مع أنّهم محمولون أيضا، لأنّ تماسك الأولاد، فلا السفن أعجب واستقرارهم فيها أغرب سيّما إذا كان التماسك والحمل ﴿**في الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**﴾[٦٢١] أي: المملوء والمراد في الفلك جنسه، ويستعمل تارة مفردا إن اعتبر ضمّته قفل وتارة جمعا إن اعتبر ضمته مثل ضمة أُسْد، كما في قوله تعالى: ﴿*حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ*﴾[٦٢٢] الآية، وههنا اعتبر مفردا بقرينة المشحون.

وقيل: اللام في الفلك للعهد الخارجي إشارة إلى فلك نوح المذكور في قصة نوح، أو العهد تقديريه لاشتهار قصّة نوح فالمراد بالذرية إما الآباء على ما قيل: إن الذرية مِن الأضداد يجيئ تارة مِن الأبناء وتارة بمعنى الآباء، أو المراد بحمل ذرياتهم في الفلك حمل آبائهم الأقدمين فيه، وفي أصلابهم ذرّيّاتهم إلاّ أن تخصيص الذرية المحمولة بالتبع مع أنّهم هم المحمولون أصالة، لأنّه أبلغ في الامتنان وأدخل في التعجيب والإيجاز، أما الأوّل، فلدلالته على [٣٥/أ] قدرته على حمل أبلغ[٦٢٣] أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة واحدة.

وأما الإيجاز، ففي الاكتفاء بذكر الذّرّيّة، فإنّه مستلزم لحملهم دون العكس.

---

[٦٢١] سورة يس ٤١/٣٦.

[٦٢٢] سورة يونس ٢٢/١٠.

[٦٢٣] و، ى – ابلغ.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ﴾[٦٢٤] لأجل انتفاعهم وتمتعهم، وقوله: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾[٦٢٥] أي: مثل الفلك بيان لقوله ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾[٦٢٦] قدم على المبيّن لضرورة توافق الفواصل، والمراد بـ"ما يركبون" إما الإبل إنْ كان لام الفلك للجنس وإما السفن والزوارق التي هي السّفن الصّغار إنْ كان للعهد الخارجي. وفي الآية حجّة على المعتزلة في خلق أفعال العباد، فإنّه يفهم منها أنّ الله تعالى خلق السّفن وحملهم عليها. وإنّما يسمّى سفنا بعد اتخاذها.

﴿وَإِنْ نَشَأْ﴾[٦٢٧] أيْ إغراقهم، فحذف المفعول لدلالة الجواب، وهو قوله: ﴿نُغْرِقْهُمْ﴾[٦٢٨] عليه. ولقد تكاثر حذف المفعول في "شاء"، وأراد ومتصرفاتهما إذا وقعت في حيز الشّرط لدلالة الجواب على ذلك المحذوف معنى، مع وقوعه في محلّه لفظا، ولأنّ في ذلك نوعا مِن التفسير بعد الإبهام إلاّ في الشيء المستغرب، فإنّه لا يكتفي فيه بدلالة الجواب عليه، بلْ يصرح به اعتناء بتعيينه ودفع الذهاب الوهم إلى غيره بناء على استبعاد تعلّق الفعل به واستغفر به، كقوله:

نظم :

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته

---

[٦٢٤] سورة يس ٣٦/٤٢.

[٦٢٥] سورة يس ٣٦/٤٢.

[٦٢٦] سورة يس ٣٦/٤٢.

[٦٢٧] سورة يس ٣٦/٤٣.

[٦٢٨] سورة يس ٣٦/٤٣.

عليه ولكن ساحة الصبر أوسع[٦٢٩]

ثُمّ إنّ الأصل في كلمة "إن" الاستعمال في المعنى المحتملة المشكوكة، فلا يقع في كلام الله تعالى إلاّ على طريق الحكاية، أو على ضرب مِن التأويل، وقد فصّل ذلك في محله، ومِن جملة مواضع التأويل كون الحكم نادر الوقوع، فإنّ النادر غير مقطوع به في الغالب. وما نحن فيه من هذا القبيل. إذ قد يشاء الله إغراقهم، فيغرقهم.

﴿**فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ**﴾[٦٣٠] فلا مغيث لهم ينجيهم من إغراقنا إيّاهم، أو فلا إعانة لهم، فالصّريخ كالنذير فعيل جاء مصدرا وبمعنى الفاعل. ﴿**ولاَهُمْ يُنْقَذُونَ**﴾[٦٣١] أي: ينجون مِن الموت بالغرق. وتقديم الضمير وبناء الفعل على المعرف للتخصيص.

﴿**إلاّ رَحْمَةً مِنَّا**﴾[٦٣٢] والإستثناء أما متصل والمستثنى منه أعم عام المفعول له أي: لا ينقذون لأجل شيءٍ الاّ لرحمته مِن قبلنا، أو المستثنى منه مصدر مِن غير لفظ فعله أي: [٣٥/ب] لا ينقذون رحمة مِن قبل أحد إلاّ مِن قبلنا. وأما منقطع أي: لا ينجون مِن الغرق البته. ولكنّ رحمة منّا هي التي تنجيهم.

---

٦٢٩ الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج: ١، ص: ١٨٣.

٦٣٠ سورة يس ٤٣/٣٦.

٦٣١ سورة يس ٤٣/٣٦.

٦٣٢ سورة يس ٤٤/٣٦.

ثُمّ في الآية إبطال مذهب المعتزلة في وجوب الأصلح على الله تعالى، لأنّه إما أنْ يكون إغراقه تعالى إياهم أصلح لهم، أو[٦٣٣] إبقاؤهم[٦٣٤] فعلى الأوّل، فإبقاؤهم فعلى لا يصلح لهم، فيلزم ترك الأصلح الواجب عليه تعالى وعلى الثاني، فلا يكون ذلك رحمة، لأنّه كان عليه أنْ يفعل ذلك بهم ولا يفعل غيره، وقد أخبر بأنّه رحمة منه تعالى لهم، فدل على أنه ليس عليه حفظ إلا صلح أي: إنما تنقذهم لا لوجوب علينا، بلْ رحمة وتفضّلا منا. ﴿**وَمَتَاعًا**﴾[٦٣٥] وتمتعا لهم بزهرة الحيوة الدّنيا ﴿**إلى حِينٍ**﴾[٦٣٦] إلى أجل مسمّى﴿*فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ*﴾[٦٣٧]

﴿**وَإذا قِيلَ لَهُمْ**﴾[٦٣٨]بيان لغيّهم وتماديهم في الضلال والأعراض عن الإيمان والنذر﴿**اتَّقُوا**﴾[٦٣٩]افتعال مِن الوقاية يقال: وقاه، فاتقى. والوقاية لغةً: فرط الصّيانة وشدّة الاحتراس مِن المكروه، ومِنه فرس واق إذا كان يقي حافره أدنى شيء يصيبه، وشرعا: الصّيانة عما يضر في الآخرة.

ولها ثلاث مراتب:

---

٦٣٣ ي: ف.

٦٣٤ و: أبقاهم.

٦٣٥ سورة يس ٣٦/٤٤.

٦٣٦ سورة يس ٣٦/٤٤.

٦٣٧ سورة النحل ١٦/٦١؛ سورة يونس ١٠/٤٩.

٦٣٨ سورة يس ٣٦/٤٥.

٦٣٩ سورة يس ٣٦/٤٥.

الأولى: الصيانة عن الشرك المفضي إلى العذاب المخلّد وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[640]

والثانية: الصيانة عن كل يؤثم من فعل أو ترك، وعليه قوله *تعالى:* ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾[641]

والثالثة: الصيانة والتنزه عن كل ما يشغل السّر عن الحق والتّبتّل إليه بالكلية وهو التقوى الحقيقي المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[642] والمراد ههنا هو المرتبة الأولى، لأنّ المخاطبين هم الكفرة المعرضون عن الآيات أي: إذا قيل لهم نصحا وموعظة لا تشركوا بالله واحذروا ﴿**مَا بَيْنَ اَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ**﴾[643] أي: ما أحاط بكم مِن جوانبكم عن السماء والأرض، فلا تؤمنوا مِن نوازل السماء، ومِن نوائب الأرض، فإنّا ﴿إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾[644]، فلا تستطيعون ﴿أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[645] وهذا المعنى هو الملائم لقوله "فلا صريخ لهم"، وهو الموافق أيضا لقوله تعالى في سورة سبأ [٣٦/أ] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

---

٦٤٠ سورة الفتح ٢٦/٤٨.
٦٤١ سورة الأعراف ٩٦/٧.
٦٤٢ سورة آل عمران ١٠٢/٣.
٦٤٣ سورة يس ٤٥/٣٦.
٦٤٤ سورة سبأ ٩/٣٤.
٦٤٥ سورة الرحمن ٣٣/٥٥.

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾[٦٤٦] وإنّ القرآن مفسّر بعضه بعضا. فعلى هذا المراد، التحذير ممّا يلحق مِن جميع الجهات، لأنّ السماء والأرض محيطان مِن الجوانب، فذكر الجهتين، أعني القدام والخلف لشهرتهما، ويجوزان أنْ يراد بـ"ما بين أيديهم" جنس الوقائع التي حلت في الأمم السالفة المكذبة لأنبيائهم وبـ"ما خلفهم" العذاب المعد في الآخرة، أو عكسه، وأنْ يراد عذاب الدنيا والآخرة، أو عكسه، فيكون إشارة إلى وجوب الحذر وعدم الاغترار بالدنيا ووجوب الجد والعمل للآخرة.

فإنْ قيل لا فرق بين هذا وبين جنس الوقائع السّابقة والعذاب المعد في الآخرة.

قلت: هذا مطلق العذاب الواقع في الدنيا سواء كان مِن جنس الوقائع السّابقة وأمثاله أوّلا. نعم، عذاب الآخرة عين العذاب المعد في الآخرة إلاّ أنه يكفي المغايرة التوجيهين تغايرهما باعتبار بعض الأجزاء، وأنْ يراد ما تقدّم مِن ذنوبكم وما تأخر، أو بالعكس.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٦٤٧] أي: تنخرطون[٦٤٨] في سلك المرحومين. واعلم أن كلمة "لعلّ" موضوعة لإنشاء توقع أمرا ما[٦٤٩] مرهوب ويسمي "ترجّيا"[٦٥٠] نحو:[٦٥١] قوله تعالى:

---

[٦٤٦] سورة سبأ ٣٤/٩.
[٦٤٧] سورة يس ٣٦/٤٥.
[٦٤٨] و: تنتظمون.
[٦٤٩] و: مما.
[٦٥٠] و: إشفاقا.
[٦٥١] و – قوله تعالى﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ﴾، (سورة طه ٢٠/١٠). مرغوب ويسمى إشفاقا.

﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾[652] الآية أو مرغوب ويسمى إشفاقا، نحو: لعلّ الحبيب يلبس النّعال، ويقطع الوصال.

ثُمّ كل واحد منهما يكون تارة مِن المتكلم وهو الأصل، لأنّ معانى الإنشاءآت قائمة به كما في المثالين المذكورين ويكون تارة مِن المخاطب وهو أيضا لتنزيله منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام، كما في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[653] ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[654]

وقد يكون مِن غيرهما ممن له نوع تعلق بالكلام، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيكَ﴾[655] على أحد الوجهين وهي أنك بلغت مِن التهالك على إيمانهم مبلغا يرجون أنْ تترك ما يوحى إليك.

وقد جاء في مواضع مِن القرآن للإطماع أي: ألا يقع في الطمع وذلك لقرب الطمع مِن الرّجاء، فكان الإطماع هو التوجيه، وفرق بين الإطماع والترجي بأنّ الإطماع يكون مِن المتكلم للغير والترجي إما للمتكلم والمخاطب.

---

[652] سورة طه ١٠/٢٠.

[653] سورة طه ٤٤/٢٠.

[654] سورة الشورى ١٧/٤٢.

[655] سورة هود ١١/١١.

ثُمّ الإطماع إما أنْ يكون مقرونا بالتحقيق، كما إذا كان إطماعا مِن كريم أو عظيم، وإما إطماع مجرد غير مقرون به، بلْ يكون مع الإحتمال لئلا يتكل العباد [٣٦/ب] كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.[٦٥٦]

إذا عرفت هذا، فاعلم أن "لعل" في هذه الآية يجوز أنْ يستعمل على حقيقته وأصله، لأنّه داخل في خبر، قيل: فالمتكلم ليس هو الله حتى لا يتصور منه الرّجاء، بلْ قائل اتقوا الآية، فالمعنى لتكونوا على حال.[٦٥٧]

وقيل: "لعل" ههنا للتعليل بمعنى "كيْ" ورد بأنّ "لعلّ" لا يكون بمعنى "كيْ" وأجيب بأنّه إن أريد أنها لا يكون بمعنى كي بحسب الحقيقة، فمسلّم، لكن لا يجوز أنْ يكون بمعناها مجازا، بلْ نقول حكى البغوي[٦٥٨] عن الواقدي[٦٥٩] أن جميع ما في القرآن من

---

[٦٥٦] سورة التحريم ٦٦/٨.

[٦٥٧] و، ى + يرجي لكم الرحمة، ويجوز أن يستعمل الرجاء المخاطب أي: لتكونوا راجين رحمة الله تعالى.

[٦٥٨] الْبَغَوِيّ الْفراء، الْحُسَيْن بن مَسْعُود بن مُحَمَّد الْمَعْرُوف بالفراء أَبُو مُحَمَّد الْبَغَوِيّ من أعمال هراة، الْفَقِيه الشَّافِعِي (المتوفى ٥١٦)، من تصانيفه: معالم التَّنْزِيل فِي تَفْسِير الْقُرْآن، إرشاد الأنوار فِي شمائل النَّبِي الْمُخْتَار،تَرْجَمَة الأَحكام فِي الْفُرُوع، الْكِفَايَة فِي الْقِرَاءَة. (هدية العارفين، ج: ١، ص:٣١٢)

[٦٥٩] الْوَاقِدِيّ، مُحَمَّد بن عمر بن وَاقد المواقدي أَبُو عبد الله المدني الأصل بغدادي، كَانَ عَالما مُحدثا أخباريا (المتوفى ٢٠٧). من تصانيفه: أخبار مَكَّة، التَّارِيخ والمبعث والمغازي، التَّارِيخ الْكَبِير، كتاب الرِّدَّة ،تَفْسِير الْقُرْآن وَغير ذَلِك. (هدية العارفين، ج: ٢، ص: ١٠).

"لعل"، فإنّها للتعليل إلاّ قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[٦٦٠]، فإنّها للتشبيه أيْ "كأنّكم تخلدون" إلاّ أن التشبيه معنى لم يذكره النحاة. ووقع في صحيح البخاري في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[٦٦١] أن "لعل" للتشبيه.[٦٦٢] وذكر غيره أنه للرّجاء المحض وهذا جواب الشرط محذوف للاختصار أي: أعرضوا، أو القرينة على خصوص المحذوف.

قوله: ﴿**وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ**﴾[٦٦٣] كائنة ﴿**مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إلاّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ**﴾[٦٦٤] وهذه الآية استئناف نشاء عن الوجوب المحذوف مبين لعلّته، فمحصّل المعنى: إذا قيل لهم إتّقوا العذاب أعرضوا، لأنّ الإعراض صار عادة لهم والعادة طبيعة ثانية، فكأنهم جبلوا عليه، فإن قلت الإتيان مستقبل والإعراض ماض، فيؤل المعنى إلى أنّهم أعرضوا في الماضي عن كل آية تأتيهم في المستقبل وهذا إلا يكاد يصحّ قلت.

---

[٦٦٠] سورة الشعراء ١٢٩/٢٦.

[٦٦١] سورة الشعراء ١٢٩/٢٦.

[٦٦٢] أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح الجامع الصحيح، ج: ١٩، ص: ٩٩، "قَالَ ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾، (الشُّعَرَاء: ١٢٩) إن معنى: "لَعَلَّكُمْ" كأنكم، وَقَرَأَ أبي بن كَعْب: كأنكم تخلدون، وَقَرَأَ ابْن مَسْعُود: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُون﴾، وَعَن الواحدي: كل مَا فِي الْقُرْآن: لَعَلَّ، فَهُوَ للتَّعْلِيل إلاَّ هَذَا الْحَرْف، فَإِنَّهُ للتشبيه، قيل: فِي الْحصْر نظر، لِأَنَّهُ قد قيل مثل ذَلِك فِي قَوْله: ﴿لَعَلَّك باخِعٌ نَفْسَك﴾، (الشُّعَرَاء: ٣)."

[٦٦٣] سورة يس ٤٦/٣٦.

[٦٦٤] سورة يس ٤٦/٣٦.

قال ابن مالك:[٦٦٥] يجيئ "كان" للاستمرار بمعنى لم يزل إلاّ أن الشّيخ الرضي ردّه بأنّه للماضي إما دائم في الواقع، أو منقطع.

وقال أبو بكر الرازي: كان يجيئ للاستمرار والدّوام، كما في الصفات الذاتية والحال نحو: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[٦٦٦] و﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾[٦٦٧] والاستقبال، نحو: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٦٦٨] فللحمل على الحال والاستقبال مساغ. وكذا الاستمرار على مذهب ابن مالك، أي: لهم إعراض مستمرّ قبل كل آية.

﴿وَإذا قِيلَ لَهُمْ﴾[٦٦٩] نصحا وتذكيرا ﴿أنْفِقُوا﴾[٦٧٠] في سبيل الله على الفقراء والمحاويج ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّه﴾.[٦٧١] الرزق في الأصل مصدر بمعنى [٣٧/أ] الإخراج، لأنّ التركيب وقلبه، أعني الرزق بتقديم الزاء المعجمة مِن رزق البول إذا أخرج بقوّة تدلان عليه وشاع في اللغة أوّلا في إخراج خط إلى آخر ينتفع به، وهذا يلائم ما يذهب إليه العارفون حيث يجعلون الرزق عامّا بحيث يتناول كل غداء جسماني، كالأطعمة والأشربة وغيرها؛

---

[٦٦٥] ابن مالِك (٦٠٠ – ٦٧٢ هـ)، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجيّاني، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية. ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها. أشهر كتبه الألفية في النحو، (الأعلام، ج: ٦، ص: ٢٣٣)

[٦٦٦] سورة آل عمران ٣/١١٠.

[٦٦٧] سورة النساء ٤/١٠٣.

[٦٦٨] تمام الآية: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾. سورة الإنسان ٧٦/٧.

[٦٦٩] سورة يس ٣٦/٤٧.

[٦٧٠] سورة يس ٣٦/٤٧.

[٦٧١] سورة يس ٣٦/٤٧.

وروحاني، كالعلوم والمعارف والأذواق والمواجيد. ثُمّ شاع استعمالا وشرعا في إعطاء الله الحيوان ما ينتفع به ويستعمل بمعنى المرزوق كثيرا.

ثُمّ إنّه يطلق على ما أعطى الله العبد وأمكنه مِن التصرف فيه وعلى ما هو لقوامه وبقائه خاصّة. والمراد في الآية هو المعنى الأوّل، لأنّه بهذا المعنى يمكن أنْ ينفق بعضه، أو كله. ولا خفاء أيضا في أنّ المراد بما رزقهم الله هو الحلال مِن جهة أنّ الأمر بالإنفاق لا يكون إلاّ مِن الحلال. فإنْ قلت لم لا يجوز أنْ يراد به الرّزق مطلقا وبالبعض المستفاد عن "من" التّبعيضية الحلال منه، قلت يفهم منه بحسب الظاهر إنفاق الحلال كله، وهو إسراف وتبذير، فلا يؤمر بهما، لأنّه ورد النهي عنهما في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾[٦٧٢] ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾[٦٧٣] وإما إنْ أريد به الحلال، فتخصيص البعض إما لأنّ اللمراد الزكوة أو للحث على الاقتصاد، فهو المحمود لذاته، لأنّه الجود الّذِي هو وسط بين الإسراف والإقتار، وعلى كل وجه يحسن الأمر به

و"ما" المجرورة يحتمل أنْ يكون موصولة، أو موصوفة، والعائد محذوف، وتقديره: رزقكموه الله، أو: رزقكم الله إيّاه. وإنّما حذف ضمير الرزق دون ضمير المرزوقين ليكون الوجود اللفظي على طبق الوجود العيني لانطواء الرزق في المرزوق واختفائه، ولأنّ الإنفاق إنفاد

---

[٦٧٢] سورة الإسراء ٢٩/١٧.

[٦٧٣] سورة الإسراء ٢٧/١٧.

والمنفد هو الرزق، لا المرزوق. وأورد عليه أنّه إنْ قدر متّصلا يلزم منه اتصال الضمير مع اتحاد الرتبة واجب الانفصال حينئذ وإنْ قدر منفصلا يمنع حذفه، فإنّهم نصّوا على امتناع الحذف على تقدير انفصاله. وأجيب عن الأوّل بأنّه لما اختلف الضميران جمعا وأفرادا. وإنّ اتحدا رتبة جاز اتصاله وأيضا [٣٧/أ] لا يلزم من منع ذلك ملفوظا به منعه مقدار الزّوال القبح اللفط. وعن الثاني بأنّه إنّما يمنع حذف الضمير اللمنفصل، لأنّه يلتبس عند الحذف على السامع أنّ المحذوف منفصل أو متصل، وهذا الالتباس مدفوع ههنا، لأنّ الشايع عند اتحاد الرتبة الانفصال. ويحتمل أنْ يكون "ما" مصدرية يكون المصدر بمعنى المفعول، وفيه تعسّف، أو يكون "مِن" الابتداء الغاية، لا للتبعيض.

ثُمّ إنّ إسناد الرزق إلى نفسه تعالى للإعلام بأنّ المأمور هو الإنفاق مِن الحلال ما هو مِن أعظم[٦٧٤] المنائح، فإنّ ما يسند إلى الله تعالى ينصرف الى الأفضل الأكمل. وبالجملة، إذا قيل لهم أحسنوا، كما أحسن الله إليكم.

﴿قَالَ﴾[٦٧٥] في جوابه ﴿اَلّذِينَ كَفَرُوا﴾[٦٧٦] من وضع الظاهر موضع الضمير للإشعار بأنّ عدم امتثالهم بذلك الأمر وتلقيهم بهذا الجواب الفاسد إنّما هو لكفرهم وضلالهم. ثُمّ إنّ كفرة مكة وقبائل العرب كانوا فرقتين: معطّلة ومشركين. والمعطلة كانوا

---

[٦٧٤] و، ى: عظيم.

[٦٧٥] سورة يس ٤٧/٣٦.

[٦٧٦] سورة يس ٤٧/٣٦.

أصنافا منهم من كان ينكر الصانع والبعث ويقول: المعنى هو الدهر والمحيي هو الطبع، وقوله تعالى: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾[٦٧٧] خبر عنهم أشاروا إلى الطبائع المحسوسة مِن العالم الحسيّ وقصروا الحيوة والموت على تركيبها وتحليلها، ومِنهم من كان يقر بالخالق وينكر البعث، ومِنهم من كان يقر بهما وينكر الرّسل ويتخذ الأصنام ويقول: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، صرح به الشهرستاني صاحب الملل والنحل[٦٧٨]، فإنْ كان المراد بالذين كفروا المعطلة المنكرين للصانع. فقولهم خطابا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾[٦٧٩] إن يطعمه ﴿أَطْعَمَهُ﴾[٦٨٠] تهكّم بالمؤمنين واستهزاء لهم بما كانوا يعقلون[٦٨١] الأمور بمشيئة الله، فيقولون لو شاء الله لأغنى فلانا، ولو شاء لأعزة ولو شاء لكان كذا، فكلمة "لو" على هذا لانتفاء الأوّل، وإنْ كان المراد بهم مشركوا العرب وغير المعطلة المذكورة حين استطعمهم، فقراء المؤمنين بـ"اللام" بمعنى "عن"، كما في قوله تعلى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾[٦٨٢] وكلمة لو للاستدلال على انتفاء الأوّل [٣٨/أ] بانتفاء الثاني. ومرادهم أنه لم يشإ الله إطعامهم وإلا لأطعمهم، فإذا لم يشإ الله إطعامهم، فكيف

---

٦٧٧ سورة الجاثية ٢٤/٤٥.

٦٧٨ الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ).

٦٧٩ سورة يس ٤٧/٣٦.

٦٨٠ سورة يس ٤٧/٣٦.

٦٨١ ي، و: يعلقون.

٦٨٢ سورة الأحقاف ١١/٤٦.

نطعمهم؟ فإنّ إطعامنا لا يحصل إلاّ بمشيئة الله تعالى، فمبني هذا الكلام على عدم حصول شيء إلاّ بمشيئة الله تعالى. والخلل في هذا الجواب إن البناء على المشيئة لايصلح اعتذارا عن عدم الإطعام، لأنّه لو لم يشإ الله إطعامهم لما أمر وحث بإطعامهم. وأما أنه لو شائه لأطعمه، فممنوع إن أريد الإطعام بدون مباشرة الأسباب ومسلم معها، لكن بطلان الثاني ممنوع.

وقال القاضي: "مرادهم أنّ الله تعالى لما كان قادرا على أنْ يطعمهم وما أطعمهم، فنحن أحقّ بذلك"[٦٨٣] فيرد عليه أنه يلزم حينئذ استدراك المشيئة، بلْ ينبغي أنْ يقال: أنُطْعِمُ من لم يطعمهم الله تعالى، فإنْ قلت، ما معنى وقوع "لو شاء الله أطعمه" صلة، وما وجه إعراب هذا الكلام، قلت: معناه "أنُطْعِمُ" من صفته وحاله "لو شاء الله أطعمه" فالجملة الشرطية بهذا التأويل صلة لـ"من" والمجموع في موضع المفعول به لقوله "أنُطْعِمُ".

﴿إِنْ اَنْتُمْ﴾[٦٨٤] في شيء ﴿إلاّ في ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾[٦٨٥] إفعال بمعنى الصّيرورة إذ أصله أي: ضلال ذات بيان وظهور، فمحصّله في ضلال بيّن كونه ضلالا إذ أمرتمونا بإطعام من يعلق الأمور بمشيئة الله ونحن لسنا بقائلين به، أو أمرتمونا ما يخالف مشيئة الله وإرادته.

فالأوّل على تقدير كون المراد بالكفرة المعطلة.

---

٦٨٣ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٩٩، ص: ٢٦٩.

٦٨٤ سورة يس ٤٧/٣٦.

٦٨٥ سورة يس ٤٧/٣٦.

والثاني على تقدير كون المراد بهم المشركون. وأيّاما كان فهو من تتمة الجواب. ويجوز أنْ يكون جوابا من الله تعالى لهم، أو حكاية لجواب المؤمنين لهم، فالمعنى حينئذ إن أنتم أي: ضلال بيّن حيث لا تمتثلون بالأمر ولا تعرفون الخير مِن الشر والنفع مِن الضّر، بلْ تلقونه بالجواب الفاسد والعذر الكاسد أف لكم ولما أنتم عليه مِن الضلال المبين.

﴿وَيَقُولُونَ﴾[٦٨٦] عطف على الجملة الشرطية، لا على الجزاء، وبيان الجناية أخرى لهم. وهو إنكارهم البعث واستبعادهم إياه بقولهم ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾[٦٨٧] أي: وعند البعث، والوعد يستعمل في الخير غالبا وههنا استعمل في [٣٨/ب] الشر على أنّهم زعموا أنّ لهم الحسنى عند الله إنْ كان الوعد حقا، فاستعمل في الخير أيضا بزعمهم ومقصودهم من هذا الاستفهام الإنكار. وإن وعد البعث وعد بلا وفاء، أيْ، فلم لا يقع ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٦٨٨] في ذلك.

﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾[٦٨٩] أي: ما ينتظرون لإيمانهم ﴿إِلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[٦٩٠] هي نفخة الصعق الكائنة بعد نفخة الفزع، فعندها يؤمنون، لكن لا ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا. والنفخات ثلثة: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث. والتاء لئلا يذهب الوهم إلى أنّ

---

[٦٨٦] سورة يس ٤٨/٣٦.
[٦٨٧] سورة يس ٤٨/٣٦.
[٦٨٨] سورة يس ٤٨/٣٦.
[٦٨٩] سورة يس ٤٩/٣٦.
[٦٩٠] سورة يس ٤٩/٣٦.

المراد الجنس وإنّ الوحدة جنسية. إذا لاسم الحاصل للجنسيّة والوحدة. قد يقصد به إلى الجنس. ثُمّ وصف تلك الصيحة بقوله ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾[٦٩١] أي: تأتيهم بغتة ﴿وَهُمْ﴾[٦٩٢] أي: والحال أنّهم لا يشعرون بذلك، بلْ ﴿يَخِصِّمُونَ﴾[٦٩٣] افتعال بمعنى التفاعل أي: يتخاصمون بعضهم مع بعض في المعاملات والمتأجرات غافلين عن أمثال هذه العلامات. ويخصمون بكسر الخاء، وقرئ بفتحها أيضا. وأصله يختصمون فأسكنت التاء. ثُمّ أدغمت في الصاد لقرب المخرج. ثُمّ حركت الخاء لالتقاء الساكنين. أما بالكسرة، لأنّ الساكن إذا حرّك حرّك بالكسر. وأما بالفتحة بنقل حركة التاء إليه لخفّة الفتحة. وتوضيحه أنّه قد تقرّر في موضعه إنّ ما بعد تاء الافتعال إذا كان مثلها، أو مقارنا لها كانتا بمنزلة المثلين، أو متقاربين من كلمتين ولم يجر مجرى الكلمة الواحدة في وجوب الإدغام في المثل وامتناعه في المقارب، فإذا أقصد إلى الإدغام أسكن تاء الافتعال ويحرك الفاء لالتقاء الساكنين. أما بالفتح وأما بالكسر، ويحذف همزة الوصل استغناء عنها، فيصير "اختصم" مثلا بعد الإعلال المذكور "خصّم" بفتح الخاء، أو كسرها والمضارع يتبع الماضي وكان قياس إجرائه مجرى الكلمتين منع الإدغام لسكون ما قبل الأوّل، لأنّهم يمنعون [٣٩/أ] من إدغام مثل "قرَم مالك "كراهة لإلتقاء الساكنين، فكذا هذا.

---

[٦٩١] سورة يس ٣٦/٤٩.

[٦٩٢] سورة يس ٣٦/٤٩.

[٦٩٣] سورة يس ٣٦/٤٩.

لكن يقال: فيه شائبة شبه الكلمة الواحدة وشبه الكلمتين، فيجوز فيه الإدغام لذلك ولم يجر مجرى "قرم مالك"، لأنّ الانفصال فيه محقق، أو إنّما لم يجئ في بقاء الهمزة وحذفها وجهان، في لحمر والحمر من حيث كانت الحركة في لحمر محققة العروض لا أصل للحرف فيها ألبتة، وأما هذه فأصلها الحركة، وسكونها عارض.

فلما تحركت لم يكن اعتبار سكونها العارض أولى من اعتبار حرمتها الأصلية مع كونها متحركة في الحال. ولذلك لم يختلف في إسقاط الهمزة التي لم يجئ بها إلاّ لذلك االسكون العارض هذا. وقرئ بكسر الياء لاتباع الخاء. وقرئ يخصّمون من خصمه إذا جاد له وبالجملة ملخّص المعنى: أنهم إنما ينتظرون الصّيحة التي تأتيهم بغتة وهم عنها غافلون.

﴿فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾[٦٩٤] إلى الحاضرين ﴿ولاَ إلى أهلهِمْ﴾[٦٩٥] الغائبين ﴿يَرْجِعُونَ﴾[٦٩٦] لعدم المهلة، بلْ يموت كل في مكانه الّذِي وجد فيه من هول تلك الصّيحة. قال القاضي: معناه: لا يرجعون إلى أهلهم، فيروا حالهم.[٦٩٧]

يقال: هذا مشعر ببقاء أهلهم مع أنّ كلهم يهلكون بالصيحة. أقول: لا يلزم أنْ يكون الباعث على الفعل مترتبا عليه وهو ظاهر.

---

٦٩٤ سورة يس ٣٦/٥٠.

٦٩٥ سورة يس ٣٦/٥٠.

٦٩٦ سورة يس ٣٦/٥٠.

٦٩٧ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٢٧٠.

ثُمّ إنّه كان مقتضى الظاهر أنْ يقول: ولا إلى أهلهم "رجعة" بدل "يرجعون" ليكون عطفا على "توصية" ويكون المعنى: ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، لأنّ نفي استطاعة الرجوع أبلغ من نفي نفس الرّجوع، إذ لا يلزم من انتفاء فعلية الشيء من أحد انتفاء أماكنه منه وعدم مقدوريته له. قال: معنى أيضا على نفي استطاعة الرجوع إلاّ أنه عدل عنه إلى ما ذكر لرعاية الفواصل: ولهذا قدّم الظرف أيضا إذ لا مساغ للحصر. وكذا سائر جهات التقديم. تأمل، تبصر.

﴿**وَنُفِخَ**﴾[٦٩٨] تعبير عن المستقبل بلفظ الماضي لتحقق وقوعه[٦٩٩] أي: ينفخ ﴿**في الصّورِ**﴾[٧٠٠] لقيام الساعة وحشر الأجساد، فهذه النفخة االثالثة، والصور قرن، فيه أرواح الموتى ينفخ فيه إسرافيل ﴿**فَإذاهُمْ**﴾ أي: الموتى ﴿**مِنَ الْاَجْدَاثِ**﴾[٧٠١] أي: أجداثهم، فاللام عوض عن المضاف إليه والأجداث، [٣٩/ب] جمع جدث، وهو القبر. وقرئ الأجداف بإبدال الثاء فاء، كما إبدال الفاء ثاء في ثروغ الدلو أصله فروغ، وقد يقال: الفاء ليس من حروف الإبدال، كما فصل في موضعه. ﴿**إلى رَبِّهِمْ**﴾[٧٠٢] أي: إلى أمره وحسابه

[٦٩٨] سورة يس ٥١/٣٦.
[٦٩٩] ى + في الصّور.
[٧٠٠] سورة يس ٥١/٣٦.
[٧٠١] سورة يس ٥١/٣٦.
[٧٠٢] سورة يس ٥١/٣٦.

﴿يَنْسِلُونَ﴾[٧٠٣] بكسر العين وضمها أي: يخرجون، فإنّ النّسل الخروج، وسمّي به الدلو لخروجه من بطن أمه وقد يفسر بـ"يسرعون"[٧٠٤] يخالف قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[٧٠٥] فالأولى تفسير بـ"يخرجون".

أقول: هذا معارض بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾[٧٠٦] *سراعا* على أنّ الخروج مِن القبر بسرعة لا ينافي كونهم قياما ينظرون بعد إسراعهم في الخروج إلاّ أن الزمانين لما كان متقاربين عُدّا زمانا واحدا، فأُدخِل فاء التعقيب و"إذا" المفاجأة في كلا المقامين، واعلم أنّ المعنى: فإذاهم ينسلون مِن الأجداث إلى ربهم، لكنه قدم الظرفان لموافق الرّؤس.

ثُمّ إنّه لما كان ههنا مظنة أنْ يسأل أنّ الكفرة المخرجين من أجداثهم لما خرجوا منها وعاينوا ما كان ينكرونها مِن البعث والإحياء ماذا قالوا فأجيب بأنّهم ﴿قَالُوا﴾[٧٠٧] تحسّرا، أو تحزّنا ﴿يَا وَيْلَنَا﴾[٧٠٨] أي: يا قوم، انظروا ويلنا وما كنا فيه، وتعجبوا منه. والويل حلول الشر، وكلمة العذاب، ووادٍ في جهنم، أو بئرَ، أو باب لها. والمناسب ههنا هو الأوّل. ولما كان عذاب القبر في جنب ما عاينوا من أهوال المحشر وشدائده، كالنوم قالوا ﴿مَنْ

---

٧٠٣ سورة يس ٥١/٣٦.

٧٠٤ و – فانه جاء ينسل بمعنى يسرع أيضا قيل تفسيره بيسرعون.

٧٠٥ سورة الزمر ٦٨/٣٩.

٧٠٦ سورة المعارج ٤٣/٧٠.

٧٠٧ سورة يس ٥٢/٣٦.

٧٠٨ سورة يس ٥٢/٣٦.

﴿بَعَثَنَا﴾[٧٠٩] " وقرأ أبيّ ابن كعب: "منْ هَبَّنَا" وابن مسعود: "مَنْ أهَبَّنَا"، بالهمزة. وهي أولى إذ يقال: هَبَّ من نومه، أي: انتبه وأهببته أنا أي: أنبهته. وأما "هبَني" بمعنى أيقظني، فلم يثبت في اللغة إلاّ أنْ يقال: كان أصله: هب بنا أي: أيقظنا، فحذف حرف الجر، وأوصل الفعل بنفسه. وليس المعنى: من هَبَّ فَهَبَبْنَا معه. وإنّما المعنى: من أيقظنا، كما قالوا في قوله تعالى:﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[٧١٠] ليس معناه "تعالى" أنه ذهب وذهب بنورهم معه [٤٠/أ] بلْ أَذْهَبَ نُورَهُمْ، فذَهَبَ، كما "ذهبه" بمعنى "أزاله" "[٧١١] وبالجملة، يعدّون عذاب القبر وآلامها بالنسبة إلى هو القيامة وعذابها نوما وراحة ويقولون: "من أيقظنا ؟".

﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[٧١٢] أما مصدر بمعنى الرقاد، وهو النوم، أو اسم مكان. ثُمّ إنّهم لم يوقظوا مِن النّوم حقيقة. ففي الكلام استعارة، فعلى الأوّل الاستعارة أصلية وعلى الثاني تبعيّة لكون المنظور فيه في التشبيه هو الموت والرقاد، ولا مجرد القبر والمكان الّذِي ينام فيه. ولأنّ الاستعارة في المشتقات تبعيّة، كما تقرّر في موضعه. وأيّاما كان فالمستعار منه، هو الرقاد والمستعار له هو الموت، والجامع البعث الّذِي هو في النوم أقوى وأشهر لكونه ممّا لا شبهة فيه لأحد. وقيل: الجامع عدم ظهور الأفعال. وردّ ذلك بأنّ الجامع يجب أنْ يكون في

---

[٧٠٩] سورة يس ٥٢/٣٦.

[٧١٠] سورة البقرة ١٧/٢.

[٧١١] أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج: ٢، ص: ٢١٤.

[٧١٢] سورة يس ٥٢/٣٦.

المستعار منه أقوى وأشهر ولا شك أنّ عدم ظهور الأفعال في الموت الّذِي هو المستعار له أقوى، فهو لا يصلح جامعا. واعلم أنّ جعل الجامع عدم ظهور الأفعال. قال: قرينة هذه الاستعارة، هو ذكر البعث. وردّ أنّ البعث لا اختصاص له بالموت، لأنّه يقال: بعثه من نومه إذا أيقظه، وبعث الموتى إذا أنشرهم. والقرينة يجب أنْ يكون لها اختصاص بالمستعار له، ومَن قال: الجامع البعث جعل القرينة كون هذا الكلام كلام الموتى مع قوله:

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾[٧١٣] وربّما قررنا من كون هذا الكلام غير محمول على حقيقة، بلْ استعارة مستجمعة لشرائطه مِن الجامع والقرينة ظهر بطلان ما استدل بعضهم بهذه الآية على نفي عذاب القبر بناء على أنّ المرقد موضع الراحة، وللراقد[٧١٤] راحة، وقد يحمل الكلام على حقيقته، ويجاب بوجوه أخرى.

منها أنّه رُوِي أنّ العذاب يرفع عنهم بين النفختين،

ومِنها أنّهم ينامون نومة قبل البعث،

ومِنها أنّ إطلاق المرقد منهم لإختلاط عقولهم مِن الهول،

ومِنها أنّه يجوز أن يكون آلام الواقعة في القبر على الرّوح وله آلة تخيّل قبل البعث وبعد تعلق الرّوح بالبدن يظهر أمر آلام على البدن، فيقولون ذلك هذا. ثُمّ إنّ "هذا" مبتدأ

---

٧١٣ سورة يس ٥٢/٣٦.

٧١٤ و: والمراقد.

و"ما" إما موصولة محذوفة العائد أي: [٤٠/ب] وعده الرحمان وصدق فيه المرسلون، أو مصدرية، والوعد بمعنى الموعود، والصدق بمعنى المصدوق فيه، والموصول مع الصلة والجملة بتأويل المصدر المذكور خبر للمبتدأ. ويجوز أنْ يكون هذا صفة لـ"مرقدنا" وفائدته تحقيق أمر الموصوف وإفادة أن كونه مرقدا ومحلاّ للراحة مشاهد لايتأتّى إنكاره، و"ما وعد" إما خبر مبتدإ محذوف أي: الّذي يعاينه[٧١٥] ما وعد الآية، أو مبتدأ خبره[٧١٦] محذوف أي: "مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ". ثبت ووقع. وكلمة "ما" أيضا يحتمل الوجهين المذكورين. والظاهر أنّ مقصودهم من هذا الكلام ليس إفادة فائدة الخبر، أو لازمها[٧١٧] بلْ هو إنشاء التحسر وإظهار التحزن، كما قالوا في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾[٧١٨] وآثروا اسم "الرحمن" لما لاح لهم من أنّ إرسال الرسل وإنزال الكتب المشتملة على الوعد والوعيد كان محض رحمة مِن الله لهم . وإنّ الرسل كانوا أبعد في نصح من[٧١٩] آلهتهم، فلم يقعوا فيما وقعوا إلاّ من فرط غفلتهم وغلبة شقوتهم حيث عصوا أمر من يرحمهم وكذّبوا قول من ينصحهم، فهذا غاية الكفران ونهاية الخسران ولأنّهم رأوا أنّ المتّقين يحشرون إلى الرحمان وَفْداً التجؤوا[٧٢٠] إلى

---

٧١٥ ى: نعاينة.

٧١٦ و: مبتدأ خبر.

٧١٧ و: لازما.

٧١٨ سورة آل عمران ٣/٣٦.

٧١٩ و: عن.

٧٢٠ ى: التحاوا.

اسم الرحمان لعلهم يرحمون ولو يعلمون أنّ المتقين كانوا في اسم القهار، فيومئذ يحشرون مِن "القهار" إلى "الرحمن" وأما المجرمون، فيحشرون إلى القهار، كما قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ[٧٢١] وِرْداً﴾[٧٢٢] أو لأنّهم كانوا[٧٢٣] ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾.[٧٢٤]

فلما كشفوا الغطاء علموا أن الرحمان ما هو وأمر الرسل إياهم بالسّجدة له كان محض نصح لهم، فاعترفوا بذنوبهم وأقرّوا برحمانيّته وصدق[٧٢٥] الرسل إلاّ أنهم بالصّيف ضيّعوا اللبن ويجوز أنْ يكون هذه الآية جوابا بالملائكة والمؤمنين عن سؤالهم مِن الباعث بقولهم "من بعثنا" إلاّ أنه كان الظاهر في الجواب أنْ يقول "الرحمان"، أو "الله"، لكن لما كان قوله: ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾[٧٢٦] حكاية قولهم هذا عند البعث بعد ما سبق من قولهم ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٧٢٧] [٤١/أ] وجب أنْ يذكر في الجواب كلام يخرج منه جواب كل منهما، فإذَنْ كان مقتضى الظاهر أنْ يقال: بعثكم الرحمان الّذِي وعدكم البعث وأتاكم به الرسل إلاّ أنه عدل إلى هذا تذكيرا لكفرهم بتصوير أحوالهم الهائلة وتقريعا لهم على كفرهم

---

[٧٢١] و: الرحمن.
[٧٢٢] سورة مريم ٨٦/١٩.
[٧٢٣] و – كانوا.
[٧٢٤] سورة الفرقان ٦٠/٢٥.
[٧٢٥] ى: صدقوا.
[٧٢٦] سورة يس ٥٢/٣٦.
[٧٢٧] سورة يونس ٤٨/١٠ ؛ سورة الملك ٢٥/٦٧.

وتنبيها بأنّ الّذِي يهمّكم أن تسألوا عن البعث ذو الأهوال والأفزاع، لا السؤال عن الباعث، فيكون الجواب من باب تلقي السائل بغير ما يتطلب. ومثله يقال له الأسلوب الحكيم أيضا لا يقال: البعث حاضر واقع[٧٢٨] حينئذ فلا وجه للسؤال عن البعث، فلا يكون مهما، بلْ المقام يقتضى السؤال عن الباعث، لأنّا نقول هو. وإنْ كان حاضرا ومشاهدا، لكن لكونه ذو الأهوال[٧٢٩] شديدة وأفزاع فظيعة لا يكتنه كنهه ويكل العقول دونه، فالمهمّ أن يسأل عنه ليحصل الخلاص عن ورطة الحيوة.

ثُمّ لما كان البعث وحشر الموتى وسائر أهوال المحشر من عظائم الأمور بحيث يظن أنْ لا يقع إلاّ متدرجا في أزمنة متطاولة بترتيب مقدمات ومباشرة أسباب متناسبات هوّن ذلك بقوله ﴿**إِنْ كَانَتْ**﴾[٧٣٠] أي: ما كانت هذه الفعلة وهي جمع أجزائهم الأصليّة، وإعادة الروح فيها، وإخراجهم سراعا مِن الأجداث، وإراءة هذه الآيات الكبرى ﴿**إلاّ صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾[٧٣١] من غير مزاولة أسباب ومعالجة ومعاناة. فالمراد بالصّيحة الواحدة هي النفخة الأخيرة أي: لم يتحقق حين "فعلنا فعلتنا" هذه سوى صيحة واحدة ﴿**فَإذا هُمْ**﴾[٧٣٢] بمجرد

---

٧٢٨ ى: واقع حاضر حيذ (حينئذ).

٧٢٩ ى: ذا أهوال

٧٣٠ سورة يس ٣٦/٥٣.

٧٣١ سورة يس ٣٦/٥٣.

٧٣٢ سورة يس ٣٦/٥٣.

تلك الصيحة من غير تراخ ومهلة ﴿**جَمِيعٌ لَدَيْنَا**﴾[٧٣٣] ظرف مقدّم لقوله ﴿**مُحْضَرُونَ**﴾[٧٣٤] والمعنى: فإذاهم جميعهم بحيث لا ينشذ منهم محضرون عندنا، وقد يفرق بين "عند" و"لدى" بأنّ "عند" يكون ظرفا للأعيان، والمعانى: بخلاف "لدى"، فإنّه مختصّ بالأعيان وبأنّ "عند" يستعمل في الحاضر والغائب و"لدى" لا يستعمل إلاّ في الحاضر، وعلى هذا "لدينا" يدل على الحضور، فيجوز أنْ يتعلق "لدينا" بـ"جميع"، فيكون المعنى: جميعهم حاضرون عندنا، فيكون فائدة "محضرون" بعده للدلالة على أن حضورهم إنما هو بالإحضار [٤١/ب] وألجأهم عليهم لتجزى كلّ نفس بما كسبت.

﴿**فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ**﴾[٧٣٥] مطيعة، أو عاصية ﴿**شَيْئًا**﴾[٧٣٦] ما بأنْ ينقص شيء من حقوقها، أو يعاقب بغير ذنب ﴿**ولا تُجْزَوْنَ إلاّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[٧٣٧] إن خيرا فخير. وإن شرا فشر. فيه دلالة إلى ما يثاب[٧٣٨] به ويعاقب إنما هو نفس الأعمال حيث قيل: "ما تجزون" ولم يقل: "بما تجزون" وسيجيئ تحقيقه. واعلم أنه يجوز أنْ يراد بـ"اليوم" يوم القيامة يحمل اللام على العهد. ويجوز أنْ يراد به زمان الحال، كما هو الشائع في استعمال اليوم

---

[٧٣٣] سورة يس ٥٣/٣٦.

[٧٣٤] سورة يس ٥٣/٣٦.

[٧٣٥] سورة يس ٥٤/٣٦.

[٧٣٦] سورة يس ٥٤/٣٦.

[٧٣٧] سورة يس ٥٤/٣٦.

[٧٣٨] و: يشارب.

المعرف باللام فحينئذ يكون هذا القول حكاية لما يقول لهم حينئذ تصوير الموعود وتمكينا له في نفوسهم.

ولما كان أوعد الكفرة وبيّن وخامة عاقبتهم ونكال آخرتهم أردفه بما أعدّ للمؤمنين من نعيم الجنة ولذّاتها تتميماً لمسّرة المؤمنين ومعّرة الكافرين، فقال:

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾[٧٣٩] فإنْ قلت لفظ الجنة ورد في القرآن مفردا تارة، ومثنى تارة وجمعاً تارة فما وجهه؟ قلت: لفظ الجنة في الأصل مرّة مِن الجَنّ بفتح الجيم مصدر جنّهُ إذا سَتَرَهُ، نقلت إما إلى الأشجار الملتفة المتكاثفة المظلّلة، لأنّها تستر وجه الأرض بنفسها لمنعها شعاع الشمس، أو[٧٤٠] البصر عن وصوله إليه، أو بظلّها[٧٤١] سترة واحدة[٧٤٢]، أو إلى مجموعها، إذ به يتحقق تلك السترة ولا يبعد أنْ يعتبر أوّلا نقلها إلى الأشجار، ثُمّ إلى الأرض، ثُمّ إلى مجموعها. والمراد بوحدة السترة أنْ لا تتكثر بتخلل الشعاع، فرجع ما بين الأشجار والأغصان لالتفاتها وكثرة أوراقها، فإنّه إذا تخللها صارت السّترة سترات لكل شجر، أو غصن مثلا سترة. ثُمّ نقلت شرعا إلى دار الثواب أي: جعلت اسما للقدر المشترك بين مجموع دار الثواب وبين أجزائها، فيطلق عليها كلها حسب ما يقتضيه المقام، والمشهور

---

٧٣٩ سورة يس ٣٦/٥٥.

٧٤٠ و: و.

٧٤١ و، ى + بامتداده عليه.

٧٤٢ ي، و + أو إلى الأرض الّتي فيها الأشجار لأنها مستورة بها أو بظلّها سترة واحدة.

أن أجزاء الجنة وتسمى الدرجات ثمانية أعلاها على ما صرح به صاحب الفتوحات[٧٤٣] الشيخ الأكبر[٧٤٤] في الفتوحات المكية جنة عدن، فيها الكثيب الّذِي يكون اجتماع الناس فيه لرؤية الحق تعالى، والتي تليها جنة الفردوس، ثُمّ جنة الخلد، ثُمّ جنة النعيم، ثُمّ جنة المأوى، ثُمّ دار السلام، ثُمّ دار المقام،[٧٤٥] وأما الوسيلة، فهي أعلى[٧٤٦] [٤٢/أ] درجة في جنة[٧٤٧] عدن.

وهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصل له بدعاء أمته فعل الله سبحانه ذلك الحكمة أخفاها. ثُمّ أنْ تشعّب الجنة على هذه الدرجات بسبب تشعب الأعمال، ولذا تسمى جنة الأعمال لنزول الناس فيها بأعمالهم إذا ما سره عمل مِن الأعمال فريضة ولا نافلة، ولا فعل خير ولا ترك محرّم ومكره[٧٤٨] إلاّ وله جنة مخصوصة به ونعيم خاص يناله من دخلها، فمن كان له مِن الأعمال أكثر كان له مِن الجنات أكثر، وفي شأن هذه الجنة ورد

---

٧٤٣ و – صاحب الفتوحات.

٧٤٤ الشَّيْخ الاكبر، مُحَمَّد بن على بن مُحَمَّد بن احْمَد بن مُحَمَّد ابْن عبد الله بن الْعَرَبِيّ الطائي الحاتمي محيى الدَّين أَبُو عبد الله الأندلسي الْمَعْرُوف بِابْن عَرَبِيّ الشهير بالشيخ الأكبر،(المتوفى ٦٣٨). لَهُ من التصانيف الْآبَاء العلويات والأمهات السفليات، الفتوحات المكية. (هدية العارفين، ج: ٢، ص: ١١٤)

٧٤٥ و،ى: المقامة.

٧٤٦ ى: أعلا.

٧٤٧ و: الجنة.

٧٤٨ و: مكروه.

ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم:[749] "«إنّ الجنة قاع صفصف ليس فيها عمّارة، فأكثروا من غراس الجنة في الدنيا. قيل: يا رسول الله، وما غراس الجنة؟ قال صلى الله عليه والسلم: [750]التسبيح والتهليل»"[751] فهذه الجنة مع ما فيها مِن الأشجار والأنهار والثمرات وغيرها مِن الحور والقصور والغلمان والولدات هي أعمالهم وأخلاقهم ومقاماتهم وأحوالهم مثلت وصورت في أمثلة مناسبة وصورة مشابهة. ثُمّ ردّت إليهم ولهذا يقال لهم: إنما هي أعمالكم ترد إليكم، وإليه أشير بقوله تعالى: ﴿*كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا*﴾[752] أي: كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ هي من صور نتائج أعمالهم وتنبّهوا لما بين الصورة وذي الصورة مِن المناسبة والمشابهة قالوا هذا المرزوق في الجنة بعينه هو الّذِي رزقناه من قبل في الدنيا وهذا، كما إذا رأيت ليلة في المنام أنك تشرب اللبن [753]وحصل لك[754] مِن العلم مِن المشابهة، فإنّ اللبن، كما أنّه غذاء صالح للأبدان، كذالك

---

[749] أحمد بن محمد بن حنبل، لمسند، ج: ٣٨، ص: ٥٣٣، رقم الحديث ٢٣٥٣٢، باب حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، بلفظه؛ "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ: " مَنْ مَعَكَ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ، فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ، وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. "

[750] ش: صلعم

[751] مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج: ٦، ص: ٤٣٩٥.

[752] سورة البقرة ٢/٢٥.

[753] و، ى – أنك تشرب اللبن.

[754] و،ى: وبين ما حصل لك.

العلم غذاء صالح للقلوب والأرواح، قلت: ما هذا، رأيته البارحة قي المنام وأتيت بما رزقت في النوم واليقظة متشابها أي: يشابه كل واحد منهما الآخر وفوق جنة الأفعال لا يزالون مقيدين بها، لا يرجون عنها إلى ما فوقها، ولا يترفون إلى جنة الصفات وجنة الذات بخلاف أهل جنة الصّفات [٤٢/ب] فإنّهم وإنْ كانوا غير مترفين إلى جنة الذات، لأنّهم الذين حصل لهم بالرياضات والمجاهات تخلية الباطن عن الرذائل وتخليته بالفضائل، فتخلقوا بأخلاق الله، فهو حُبسوا[٧٥٥] في عالم الصفات لو[٧٥٦] دنوا أنملة لاحترقوا لكنهم ينزلون إلى جنات الأفعال ويختظون بما فيها من غير تقييد[٧٥٧] بها، لأنّهم جاوزوا عن مقام الأفعال الّذِي هو تذهيب الظاهر باستعمال الشرائع النبوية والنواميس الإلهية. وأما أهل جنة الذات، أعنى الذين غيب عليهم الحبّ والعشق الإلهي وطاروا إلى جنات القدس بحول وقوة الإلهية، كبعض الأناسي الكاملين، فلهم الشرّاح والإطلاق ولهم التمكن مِن الظهور في كل درجة مِن الجنان بمظهر يناسبها، بلْ في كل دركة مِن النّيران. ولكنّ من غير أنْ يتألم بها، بلْ يلتذوا إليه الإشارة بقدم الجبار المذكور في الحديث عند "قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن جهنم لا تزال تقول: هل من مزيد، حتى يضع الجبار قدمه فيها ينزوي بعضها إلى بعض

---

[٧٥٥] و: فحبسوا.

[٧٥٦] و: فلو.

[٧٥٧] ى: تقيد.

ويقول: قط قط"[٧٥٨] أي: حسبي. قال الشيخ الأكبر:[٧٥٩] أُخبِرْتُ من جانب الحق أن القدم الموضوع في جهنم هو الباقي في هذا العالم من صور الكمّل مما لا يصحبهم في النشأة الجنانية وكنى عن ذلك الباقي بالقدم المناسبة شريفة لطيفة، فإنّ القدم مِن الإنسان آخر أعضاء صورته، فكذلك نفس صورته العنصرية آخر أعضاء مطلق الصورة الإنسانية، لأنّ صور العالم بأجمعها، كالأعضاء لمطلق صورة الحقيقة الإنسانية، وهذه النشأة آخر صورة ظهرت بها الحقيقة الإنسانية، وبها قامت الصّور كلّها التي قلت أنها كالأعضاء."[٧٦٠] انتهى. ومِن دونها جنتان أيضا، وهي جنة الإختصاص الإلهي وجنة الميراث.

فالأوّل هي الّتي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا[٧٦١] الحلم والمجانين الّذين ما عقلوا، وأهل الفترات، ومن لم يصل إليهم دعوة رسول وصِيت إسلام.

والثانية هي التي ينالها كلّ من دخل الجنة ممّن ذكرنا، ومِن المؤمنين. وهي الأماكن الّتي كانت معيّنة لأهل النار لو دخلوها. ثمّ إنّ جمهور المسلمين على أن الجنّة [٤٣/أ] والنّار مخلوقتان الآن وخالفتهم المعتزلة. والخلاف مشهور وكلّ واحد مِن الفريقين يحتج فيما ذهب إليه بما يراه حجّة عنده وهو مذكور في الكتب الكلامية.

---

٧٥٨ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، باب النار يدخلها الجبارون والجنة، ج: ٤، ص: ٢١٨٧، رقم الحديث: ٢٨٤٨.

٧٥٩ يشير المؤلف إلى مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْعَرَبِيِّ.

٧٦٠ إسماعيل حقي، روح البيان، ج: ٩٩، ص: ١٢٩.

٧٦١ و + الحلم.

وقال الشيخ الأكبر[٧٦٢] في الْفُتُوحَاتِ: "أما عِنْدَنَا وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا أَهْلِ الْكَشْفِ، فهما مَخْلُوقَتَانِ غَيْرُ مَخْلُوقَتَيْنِ. فَأَمَّا قَوْلُنَا مَخْلُوقَتَانِ فَكَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ دَارًا فَأَقَامَ حِيطَانَهَا كُلَّهَا الْمُحْتَوِيَةَ عَلَيْهَا خَاصَّةً فَيُقَالُ: قَدْ بَنَى دَارًا فَإِذَا دَخَلَهَا لَمْ يَرَ الْأَسْوَارَ دَائِرًا عَلَى فَضَاءٍ وَسَاحَةٍ. ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَبْنِي بُيُوتَهَا عَلَى أَغْرَاضِ السَّاكِنِينَ فِيهَا." [٧٦٣] فهي بتفصيل بيوتها غير مخلوقة إلاّ بعد دخولهم. وإنْ كانت بحسب حيطانها وسورها مخلوقة قبل ذلك انتهى. فوجه لفظ الجنة ههنا أن المقصود ههنا بيان أحوال مطلق أهل الجنّة بأنّهم ﴿**الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ**﴾[٧٦٤] بضم وضمتين وفتح وفتحتين لغات، فهو ضدّ الفراغ، وتنكيره للتفخيم أي: في شغل بلغ في الفخامة مبلغا لا يكتنه كنهه، ويقصر عن دركه الأفهام، إذ لا يناسب شيأ مما عرف من أمور هذا العالم إلاّ في الاسم، فهذا التفخيم ليس لنفس الشغل، بلْ لتفخيم شأن متعلّقة، والظاهر أنه متعلق بقوله؛﴿**فَاكِهُونَ**﴾[٧٦٥] أي: مبتهجون ومتلذذون في شغل عظيم.

---

[٧٦٢] يشير المؤلف إلى مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الْعَرَبِيِّ.

[٧٦٣] محيي الدين بن العربي، الفتوحات المكية، طبعة دار الكتب العلمية، تحقيق أحمد شمس الدين، ج: ١، ص: ٢٩٧؛ حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، ج: ٢، ص: ٤٨٥.

[٧٦٤] سورة يس ٥٥/٣٦.

[٧٦٥] سورة يس ٥٥/٣٦.

هو مِن الفكاهة بمعنى التلذّذ، وفي القاموس "فكه، كفرح، فكهاً وفكاهةً، فهو فَكِهٌ وفاكهٌ: طَيِّبُ النَّفسِ ضُحُوكٌ."[٧٦٦]

فإنْ قلت اسم الفاعل ههنا للاستمرار يشمل الحال والاستقبال، فيجوز العمل نظرا إليهما، كما ترك الأعمال نظرا إلى شكول الماضي، أو باعتبار أن تلك الاشتراط غير لازم في الظروف، أو الأعمال على مذهب الكسائي[٧٦٧] ويجوز أنْ يكون "فاكهون" خبرا أو "في شغل" حالا من ضميره، أو هما خبران، لأنّ "وَ" تعدّد الخبر حينئذ لتعدّد المخبر عنه بأنْ يكون المراد ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾[٧٦٨] فرقتان: فرقة فِي شُغُلٍ عظيم وهم أهل الشهود والفائزون بلقاء الله المستغرقون في بحر النّور، وفرقة متلذذون بنعيم الجنة لا يقال يجب في مثله العطف نحوهما عالم وفاضل، لأنّا نقول: إذا اعتبر أن الجنة أمر ذو أجزاء يكون [٤٣/ب] لكلّ جزء حال يجوز ترك العطف، نحو: هذا أسود أبيض وقرئ فكهين بالنصب على الحال مِن المستكن في الظرف، وفائدة الحال إن هذا ليس كاشتغال أهل الدنيا ممّن يؤدي إلى الألم والحزن، بلْ هذا شغل من كان فيه كان في عين اللذّة والسرور، ويجوز أنْ يكون كلاهما حالين من ضمير "متكئون" ويكون هو خبرا على أنْ يكون قوله تعالى: ﴿هُمْ﴾[٧٦٩] تأكيدا

---

[٧٦٦] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج: ١، ص: ١٢٥٠.

[٧٦٧] علي بن الكسائي

[٧٦٨] سورة يس ٣٦/٥٥.

[٧٦٩] سورة يس ٣٦/٥٦.

إما لما ذكر وإما لاسم إنّ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ﴾[٧٧٠] عطف على "هم" إذا لم يكن تأكيدا، أو إلاّ فهو عطف على المؤكد. والمراد بـ"أزواجهم" إما حلائلهم، أو أهلوهم وأولادهم، جمع زوج يشترك بين الذكر والأنثى. ﴿فِي ظِلَالٍ﴾[٧٧١] جمع ظل، كشعاب جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق في الجبل ومسيل الماء في بطن أرض، أو ماء انفرج بين الجبلين، أو سمة للإبل والظل[٧٧٢] هو ضد الضحّ أي: الشمس، أو هو الفيئ بالغداة، أو بالعشى ويطلق على الجنة أيضا.

قال الشيخ أبو منصور: إنهم إذا كانوا مع أزواجهم لا يقع عليهم بصر غيرهم إذا الحجاب ليس بمانع حقيقة، بلْ بإرادته تعالى، فأهل الجنة إنما[٧٧٣] يبصرون ما خلق في أعينهم رؤيتها ولا يبصرون ما خلق في أعينهم ضدّ رؤيته ويجوز أنْ يكون جمع ظلة، كقباب جمع قبة، والظلة شيء كالصّفة يستتر به مِن الحر والبرد، ويقال: الغاشية ويؤيد كونه جمع ظلة قراءة في ظلل. ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾[٧٧٤] جمع أريكة، وهو السرير المزيّن، وقيل: الفراش في الحجلة، وقيل: هي الوسادة، وقيل:[٧٧٥] الحجلة ﴿مُتَّكِئُونَ﴾[٧٧٦] أي: مسندون إليها ظهورهم

---

[٧٧٠] سورة يس ٥٦/٣٦.

[٧٧١] سورة يس ٥٦/٣٦.

[٧٧٢] و + ضدّ الحر ورأى الشمس و.

[٧٧٣] و: اما.

[٧٧٤] سورة يس ٥٦/٣٦.

[٧٧٥] و – هي.

لما فتح الله عليهم أبواب كلّ شيء، ففرحوا بما أوتوا، "قيل لهم" مبتدأ وخبره (فِي ظِلَالٍ وعَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ) جملة مستأنفة، كأنّه قيل: ماذا يصنعون في الظلال.

فقيل: يتكِئُونَ على الأرائك، أو خبر ثان من تعدد الخبر بغير عطف ليدل على استقلال كل منهما في الحكم به على المبتدإ، أو خبره "مُتَّكِئُونَ" والجاران صلتان له، ويجوز أنْ يكون هو تأكيدا للمضمر في "شغل" و"فاكهون" و"في ظلال" إما خبر بعد خبر، أو حال (عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ) خبر آخر أيضا. لأنّ (وَأَزْوَاجُهُمْ) عطف على "هم" لمشاركة الأزواج مع أَصْحَابَ الْجَنَّةِ. والأحكام الثلثة، أعنى كونهم في الظلال [٤٤/أ] والأرائك والاتكاء، أو الشغل والتفكه والاتكاء.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾[٧٧٧] كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴿ولهُمْ فيها مَا يَدَّعُونَ﴾[٧٧٨] يفتعلون مِن الدعاء، أصله "يدّعيون" نقل حركة التاء الثانية إلى العين، وحذفت لالتقاء السّاكنين. والمراد ما يدّعون به لأنفسهم من قولهم دعا له بطول العمر ونظيره، اشتوى واحتمل إذا شوى وحمل لنفسه.

[٧٧٦] سورة يس ٣٦/٥٦.

[٧٧٧] سورة يس ٣٦/٥٧.

[٧٧٨] سورة يس ٣٦/٥٧.

وقال الإمام[779] في التفسير الكبير: ليس المراد أنهم يدعون، فيجاب لهم، بلْ أن لهم ما يصحّ أنْ يدعوه ويطلبوه بلا دعاء وطلب، فإنّ الملك قد يقول لبعده: لك ما تطلب، ويريد أن لك كل ما يصحّ أنْ تطلب من غير طلب هذا، ولو قلت بالطلب والإجابة أيضا. لم يعبد لو كان له مجال أنْ يطلب كلّ شيء لدل على علوّ شأنه ومكانته عند مولاه، أو ما يتداعونه، كقوله: ارتمق بمعنى[780] ترامق، والتداعى الطلب مِن الآخر، فهو حاصل له، وفي القاموس: "وتَداعَى العَدُوُّ: أقْبَلَ"[781] فجاز أنْ يكون المراد لهم ما يقبلون إليه ويتمنّون من قولهم: ادّع[782] عليّ ما شئت، بمعنى تمنه، ويجوز أنْ يكون المراد: ما يدعونه مِن الدعوى أي: يعطون جميع ما يدّعون لأنفسهم ليس كالدنيا، أو من الدعا أي: ما يدعون به في الدنيا مِن الجنة ودرجاتها على أنْ يكون المراد خبرا عن أهل الجنة حال كونهم في الدنيا بأنّ لهم ما سألوه في المستقبل مِن الجنّة ولا يلزم ظرفيّة الشيء لنفسه، إذا اللازم حصول الجنة لهم في الجنة، فالجنة ظرف لحصولها لهم ولا محذور فيه، وقد يتوهم أن عدم لزومها لفقد كلمة "فيها" فيه وفيه "ما" فيه. أو يكون المراد خبرا عن حالهم في الجنة بأنّ لهم ما كانوا يطلبونه في الدنيا.

---

[779] يشير المؤلف إلى الرازي.

[780] و – بمعنى.

[781] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ج: ١، ص: ١٢٨٣.

[782] و: ادعى.

كلمة "ما" إما موصولة، أو موصوفة، والفرق بينهما أنّ الأوّل معرفة، فالجملة صلته. والثاني نكرة، وهي صفته. وعلى تقديرين هي مرتفعة إما بالابتداء و"لهم" خبرها، أو[٧٨٣] بكونه فاعلا للظرف ويجوز أنْ يكون مصدريّة أي: ولهم دعاءهم أي: مدعوّهم، أو متمنّاهم على أنْ يكون الدعوة بمعنى المدعوّ به، أو المتمنى إطلاقا [٤٤/ب] للمصدر على المفعول.

وأما قوله عزّ وجلّ. ﴿سَلَامٌ﴾[٧٨٤] فالظاهر أنه بدل من لفظة "ما" إما على تقدير كونه موصوفة فظاهر. وإما على تقدير كونه موصولة معرفة مع أنّهم اشترطوا في إبدال النكرة مِن المعرفة اتحاد اللفظين وكون النكرة موصوفة، نحو: ﴿بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ﴾[٧٨٥] فلأنّ الاشتراط المذكور مبني على الأعمّ الأغلب لتحقق إبدال النكرة مِن المعرفة بدون الشرط المذكور في الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٧٨٦] على بعض الوجه وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.[٧٨٧] والسّر فيه أن سبب ذلك الاشتراط هو أنْ لا ينحطّ البدل الّذي هو المقصود بالذات في الإفادة عن المبدل الّذي هو مقصود بالعرض، فإنْ اتفق أنْ يفيد زيادة بدون تحقق الشّرط المذكور، فذلك مخره.

---

٧٨٣ و: ان.

٧٨٤ سورة يس ٥٨/٣٦.

٧٨٥ سورة العلق ١٥/٩٦، ١٦.

٧٨٦ سورة الإخلَاص ١/١١٢.

٧٨٧ سورة طه ١٢/٢٠.

قال سيبويه: "وإن شئت قلت: دخلوا رجلٌ فرجلٌ، تجعله بدلاً"[٧٨٨] فعلم أنهم لم يلتزموا الشرط المذكور حيث جوّز سيبويه كونها معطوفا عليها على أنه يمكن أنْ يقول إن النكرة المبدلة ههنا موصوفة معنى بجملة يقول قولا سواء كانت صفة، أو حالا لا يقال الإبدال يوجب تخصيص عموم المبدل منه، لأنّ ما يدعون يعم كل موجود، فيتخصّص بالإبدال، لأنّا نقول استمرار السّلام على ما يفيده مفهوم الكلام يتضمن كلّ مدعوّ إذ لو لم يحصل شيء لهم عرض آفة بفقدانه، فيحصل العموم بالطريق البرهاني الّذِي هو أبلغ لا بطريق الادّعاء على ما ادّعاه بعضهم. وأما منع عموم المبدل منه، فحقيق أنْ لا يصدر عن العوام فضلا عن الخواص. ويجوز أنْ يكون "سلام" صفة أخرى. لـ"ما الموصولة"، فإنّها كما توصف بالجملة توصف بالمفرد أيضا، نحو: مررت بما معجب لك مر جوابه، وأنْ يكون خبرا له و"لهم" إما متعلق به أي: ما يدعونه سالم خالص لهم على أنْ يكون "سلام" بمعنى سالم، أو بمعناه أي: سلام لهم لا آفة معه، نحو: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾،[٧٨٩] أو خبر أخرى مقدم ويجوز أن يكون "سلام" خبر مبتدإ محذوف أي: هو يعني ما يدعونه سلام، أو مبتدأ [٤٥/أ] محذوف الخبر أي: ولهم سلام على حذف حرف العطف مع الخبر حتى يكون الجملة عطفا على "لهم ما يدعونه"، فإنّ حذف حرف العطف مع العطف[٧٩٠]

---

٧٨٨ سيبويه، الكتاب، ج: ١، ص: ٣٩٨.

٧٨٩ سورة الأنبياء ٢١/٦٩.

٧٩٠ و – مع العطف؛ ى: مع المعطوف.

كثير، كما في قوله *تعالى:* ﴿*سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ*﴾[٧٩١] *أي:* الحر والبرد، وقوله تعالى ﴿*لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ*﴾[٧٩٢] أي: أحد واحد وقرأ ابن مسعود بالنصب على المصدرية أي: يسلّمون سلاما، أو الحال أي: لهم مرادهم خالصاً.

﴿**قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾[٧٩٣] أي: يقول الله قولا على ما رُوِي عن النبي "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ فَإِذَا الرَّبُّ، عَزَّ وَجَلَّ، قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ، تَعَالَى: سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ. فَيَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، فَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ.»"[٧٩٤]

ويجوز أنْ يكون المعنى يقال لهم ذلك قولا كائنا من جهة الرب الرحيم على ما رُوِي عن مُقَاتِلٍ: "إِنَّ الْمَلائِكَةَ تَدْخُلُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ كُلِّ بَابٍ، يَقُولُونَ: سَلامٌ عَلَيْكُمْ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، مِنْ رَبِّكُمُ الرَّحِيمِ."[٧٩٥]

---

[٧٩١] سورة النحل ٨١/١٦.

[٧٩٢] سورة البقرة ٢٨٥/٢.

[٧٩٣] سورة يس ٥٨/٣٦.

[٧٩٤] ابن ماجه، السنن، باب فيما أنكرت الجهمية، ج: ١، ص: ٦٥، رقم الحديث: ١٨٤؛ أنظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج: ٨، ص: ١٣٣.

[٧٩٥] الواحدي، النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج: ٣، ص: ٥١٧.

وجعل صاحب الكشاف[٧٩٦] انتصابه على الاختصاص أوجه، لأنّ المقام من محازّ المدح، لأنّ هذا القول صادر عن ربّ رحيم في مقام التعظيم، فكان جديرا بأنْ يفخم أمره ويعظم قدره، ويكون جملة مستقلة[٧٩٧] مفصولة عما سبق. وأما حديث كون المنصوب على المدح نكرة، فقد جوّزوا[٧٩٨] ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[٧٩٩] على أحد الوجوه وإيثار الرب الرحيم من بين الأسماء الحسنى للتنبيه على أن هذا السلام ناشيء من محض الرحمة تربية لهم، فتدبر.

و[٨٠٠] حين يحشر المؤمنون ويشار بهم إلى الجنة يقال لمجرمين.

﴿وَامْتَازُ الْيَوْمَ﴾[٨٠١] أي: انفردوا مِن المؤمنين، وصيغة الأمر للتهويل ﴿أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[٨٠٢] وإنّما يقول ذلك لهم ليُشار بهم إلى النّار، كما يشار بالمؤمنين إلى الجنة، فعلى هذا الكلام من عطف الخبر على الخبر بتقدير القول، ويجوز أنْ يكون العطف على أمر يتضمّنه الخبر السابق، وتوضيحه أنّ قوله تعالى: "ولا تجزون" خطاب مجمل يعمّ أهل

---

٧٩٦ يشير المؤلف إلى الزَّمَخْشَرِيّ.

٧٩٧ و: مستأنفة.

٧٩٨ و: جوّزه.

٧٩٩ سورة آل عمران ١٨/٣.

٨٠٠ و: ثم.

٨٠١ سورة يس ٥٩/٣٦.

٨٠٢ سورة يس ٥٩/٣٦.

المحشر، وفيهم الفريقان وقوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ﴾[٨٠٣] قوله: "وامتازوا" تفصيل لذلك المجمل، فلا بد [٤٥/ب] من ذلك التقدير ليكون من عطف الإنشاء على مثله، فقوله: "إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ" في قوة: "امتازوا اليوم ايّها المؤمنون"، ويجوز أنْ يعتبر عكس هذا بأنْ يتصرف في المعطوف بتأويله بالخبر أي: إن المجرمين يمتازون اليوم، وبيانه أن أهل الجنة والنار يجتمعون في القيامة ابتداء ولذلك يسمى يوم الجمع، ثُمّ يفرّقون، فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾[٨٠٤] وفي زيادة "يومئذ" ايماء إلى أنّ التفرقة لا يعاقب حدوث قيام الساعة إذ هناك اجتماع، وإنّما الافتراق متراخ عنه. وفيها دلالة أيضا على امتياز كلّ مِن الفريقين عن الآخر إذ ما بعدها، نحو:، "فأما الذين آمنوا" الآية، مشتمل على تفصيل حال الفريقين وامتيازهما، ويؤيّد هذا التأويل ما ذكر في آية أخرى، وهو قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ﴾.[٨٠٥] ثُمّ إنّ التصريف في المعطوف عليه بتأويله بالإنشاء أولى من هذا العكس، لأنّ المجمل وهو "فاليوم لا تجزون" خطاب، فالمناسب أنْ يكون التفصيل أيضا خطابا ليطابق المجمل. وأما تجويز كون "امتازوا" فعلا ماضيا، فناش من عدم الذكاء على ما لا يخفى على الأذكياء.

---

[٨٠٣] سورة يس ٥٥/٣٦.

[٨٠٤] سورة الروم ١٤/٣٠.

[٨٠٥] سورة الأنفال ٣٧/٨.

وقد يقال: الامتياز: التفرق. والمعنى اعتزلوا من كل خير وتفرقوا في النار، فإنّ لكل كافر بيتا ينفرد به لا يرى أحد، أو لا يراه أحد وينافيه ما ورد من تخاصم أهل النار إلاّ أنْ يخصّص كل مِن الأمرين ببعض الأزمان. واعلم أنه من جملة ما يقال لهم تقريعا وتوبيخا وإلزاما للحجة.[٨٠٦]

هذا الكلام أعني قوله تعالى:﴿أَلَمْ أَعْهَدْ﴾[٨٠٧] الهمزة للتذكير وهو من معاني الهمزة، ومنه قوله تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾.[٨٠٨] والعهد: الوصية، وعهد إليه إذا وصاه. وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة، لأنّ العرب سوى الحجازيين يجوّزون كسر غير الياء من حروف المضارعة في باب علم ولو معتلا ، أو مضعّفا وذلك التنبيه على كسر عين الماضي ولم يكسروا الفاء، لأنّ أصله في المضارع السكون ولا العين للالتباس بالمفتوح ولم يكسروا الياء استثقالا إلاّ إذا كان الفاء واوا، نحو: ييحل لاستثقال الواو [٤٦/أ] بعد الياء المفتوحة وكسر هو بقبلها ياء من غير كسر ما قبلها، فأجازوا الكسر مع الواو في الياء أيضا لتخفيف الكلمة بانقلاب الواو ياء. ﴿إليكُمْ﴾[٨٠٩] الخطاب إما لكل بجعل الكلام انتقالا من أحوال الفريقين إلى خطاب كلّهم، فالتفريع باعتبار البعض، كما يقول القوم: أنتم

---

٨٠٦ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٢٧١.

٨٠٧ سورة يس ٦٠/٣٦.

٨٠٨ سورة يوسف ٨٩/١٢.

٨٠٩ سورة يس ٦٠/٣٦.

فعلتم باعتبار البعض وإما للمجرمين، فلا بدّ من نكتة في التعبير عنهم باسم لكلّ قوله: ﴿يَا بَنِي﴾[810] وكأنها هو إنّ العهد إشارة إلى ما أخذ مِن الذّر المخرج من ظهر آدم على ما ورد في الأخبار.

وقيل: عهده إليهم ما نصب لهم مِن الدلائل العقلية والسّمعية الآمرة بعبادته الزاجرة من عبادة غيره. ﴿آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾[811] أي: بأنْ لا تعبدوه، فإنّ حذف حرف الجر من "أن". وإنّ قياس مما عهد إليهم هو النهي عن عبادة الشيطان. ومعنى عبادتهم الشيطان هو سلوكهم سبيل الغيّ حسبما دعاهم إليه الشيطان واستجابتهم له. كما قال ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[812]. والشيطان إما مشتق من "شطن يشطن" أي: بعد لبعده عن رحمة الله، ووزنه على هذا فيعال. وإما مشتق من "شاط يشيط" أي: هاج واحترق. ولا شك في كون هذا المعنى موجودا فيه ووزنه على هذا فعلان. وعدم تصاريفه إلا ثابت النّون يؤيّد الأوّل وهو المتمرد مِن الجن.

وقال بعض العارفين: هو ملك خلقه الله سبحانه لعمارة الدّار الدنيا، فهو يصرف وجوه العباد عن الآخرة إلى الدنيا، وعن السّعادة الأبدية إلى الّذات الفانية. وهذا معنى إضلاله لهم.

---

[810] سورة يس ٣٦/٦٠.

[811] سورة يس ٣٦/٦٠، و: ﴿آدَمَ أَنْ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾.

[812] سورة إبراهيم ١٤/٢٢.

وقال بعضهم: هو القوة الوهمية وغيرها في النشأة الإنسانية وليس خارج هذه النشأة بشيء، يقال له شيطان. والحق ما سبق أنّه موجود مستقل خارج هذه النشأة وما فيها مِن القوة الوهميّة. وغيرها مما يضاهيه ويشابهه، فهو شيطان أنفسي، كما أنّ الأوّل[٨١٣] شيطان آفاقي.

ثُمّ علّل النهي عن عبادة الشيطان بقوله ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[٨١٤] بيّن العداوة حيث أخرج أبويكم مِن الجنة ولم يسجد لآدم حين سجد للملائكة كلهم أجمعون واختار اللام على كلمة على [٤٦/ب] للتنبيه على أن عداوته مختصّه بهم لا يتجاوز غيرهم.

﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾[٨١٥] معطوف على (أنْ لا تعبدوا) فيما عهد إليهم أمرا (أنْ لا تعبدوا الشيطان). وأنْ يعبدوه تعالى إلاّ أن كلا منهما لما كان معلّلا بعلّة منفصلة عن الأخرى، فصل بين المعطوفين بعلة المعطوف عليه ليقع كلّ منهما في جنبه، فلا يكون في الكلام انتشار. فقوله﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٨١٦]جملة مستأنفة سبقت لتعليل الأمر بقصر عبادتهم في الله تعالى. والمعنى: هذا الّذِي أمرتهم به من أنْ لا تعبدوا إلاّ إيّاي صراط

---

٨١٣ في الهامش: "فهو شيطان أنفسي كما أنّ الأمل شيطان آفاقي.(ابن كمال)."

٨١٤ سورة يس ٣٦/٦٠.

٨١٥ سورة يس ٣٦/٦١.

٨١٦ سورة يس ٣٦/٦١.

مستقيم يوصل سالكه إلى المقصد الحقيقي، فاتبعوه ولا تتبعوا السّبل، فتفرق بكم عن سبيله.

ولما كان هذا الصّراط صراط الله العزيز الحميد نكّره،[٨١٧] فكأنه صراط لا يكتنه كنهه، ففي التنكير مِن المبالغة والتفخيم ما لا يخفى. واعلمْ أنه قد بيّن أوّلا معادات الشيطان مع كونها في غاية الوضوح بحيث يستغني عن البيان إلاّ أنه لما كان مجاري أحوالهم ليست موافقة للعلم بها، بلْ يشبه أحوالِه أقوى إنكار بها رجع إلى البيان بالتأكيد القسمي، و"قد" التحقيقية، فقال:

﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ أَضَلَّ﴾[٨١٨] أي: تسبب للضلال، إذا المضل هو الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾،[٨١٩] فنسبته إلى غيره تعالى، كالشيطان والأصنام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾[٨٢٠] للتسبّب[٨٢١]كيف والإضلال خلق الضّلال بمعنى سلوك، سبيل لا يوصل إلى المطلوب، ولا خالق سوى الله، فالله أضل بسبب وسوسة الشيطان.

---

[٨١٧] و: نكروه.

[٨١٨] سورة يس ٦٢/٣٦.

[٨١٩] سورة النحل ٩٣/١٦ ؛ سورة فاطر ٨/٣٥؛ سورة المدثر ٣١/٧٤.

[٨٢٠] سورة إبراهيم ٣٦/١١.

[٨٢١] و: للتسيّب.

﴿مِنْكُمْ جِبِلًّا﴾[٨٢٢] "قرأ نافع وعاصم بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالْبَاءِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ، وَأَبُو عمروٍ وابنُ عَامِرٍ بِضَمِّ الْجِيمِ وإسْكَان البَاءِ وتخفيف اللام. والباقون كذلك غير أنهم ضمّوا الباء،[٨٢٣] والكل لغات، ومعناه: الخلق."[٨٢٤]

وقال الإمام:[٨٢٥] "الْجِيمُ وَالْبَاءُ وَاللَّامُ لَا تَخْلُو عَنْ مَعْنَى الِاجْتِمَاعِ."[٨٢٦] ويؤيّده ما فسّرها بعض أئمة اللغة بالأمة والجماعة وبالكثير من كلّ شيء، فيستفاد من قوله تعالى "منكم جبلّا" الكثير مِن الإنسان، فتوصيفه بقوله ﴿كَثِيرًا﴾[٨٢٧] للمبالغة.

وقال الكلبي:[٨٢٨] معناه" قرونا كثيرا، وبالجملة المراد أنّه تسبّب لضلال خلق كثير منكم، كالأمم الماضية، فإنه [٤٧/أ] وإنْ كان منهم من اهتدى، لكن قيل ما هم، فإنّ أكثرهم ضلّوا واتبعوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وأغرّوا بوساوسه.

---

٨٢٢ سورة يس ٣٦/٦٢.

٨٢٣ الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج: ٩، ص: ٢٨٢.

٨٢٤ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج: ٤، ص: ١٨.

٨٢٥ هو فخر الدين الرازي.

٨٢٦ الرازي، مفاتح الغيب = التفسير الكبير: ٢٦/٣٠١.

٨٢٧ سورة يس ٣٦/٦٢.

٨٢٨ ابن جُزَيّ الكَلْبي (٦٩٣ - ٧٤١ هـ.)، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية " بتونس، و " تقريب الوصول إلى علم الأصول " و " الفوائد العامة في لحن العامة " و " التسهيل لعلوم التنزيل " تفسير، و " الأنوار السنية في الألفاظ السنية " و " وسيلة المسلم " في تهذيب صحيح مسلم، و " البارع في قراءة نافع " و فهرست " كبير اشتمل على ذكر كثيرين من علماء المشرق والمغرب. وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب. (الأعلام، ج: ٥، ص: ٣٢٥)

﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[829] أي: ذوي عقل، وأصل إدراك على أنْ يكون منزلا منزلة اللازم إشارة إلى أنّ معاداته لكم وإضلاله في الظهور والوضوح بحيث لا يحتاج إلى دليل وبرهان، بلْ يكفي لذلك حصول العقل والإدراك، فهو توبيخ لهم في تركهم النظر في أمر من أضلّهم الشيطان ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾[830] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾[831] وكان عاقبة أمرهم خسرا ﴿ثم إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾[832] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[833] يوم القيامة، فيقال لكم عند رؤيتكم إياها توبيخا لكم ﴿هَذِهِ﴾[834] الّتي ترونها ﴿جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[835] في الدنيا بأنّكم تدخلونها إن لم تؤمنوا. ثمّ يقال لكم بعد ما عاينتموها ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾[836] أي: ذوقوا حرّها وتحققوا بها حقّ اليقين بعد ما علمتموها علم اليقين وعاينتموها عين اليقين، من "صلى"، كـ"رِضى" يقال: صلى النار

---

[829] سورة يس ٣٦/٦٢.

[830] سورة التغابن ٦٤/٥.

[831] سورة الطَّلَاق ٦٥/٩.

[832] سورة الواقعة ٥٦/٥١.

[833] سورة التكاثر ١٠٢/٦.

[834] سورة يس ٣٦/٦٣.

[835] سورة يس ٣٦/٦٣.

[836] سورة يس ٣٦/٦٤.

وبها صُليّا بالضّمّ وصِليّا وصلاّء بالضّمّ والكسر بمعنى قاسي حرّها، كـ"تصلي" وأصلّي النار ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٨٣٧] بسبب كفركم المستمّر في الدنيا إلا الموتى.

﴿اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾[٨٣٨] التفات مِن المخاطب إلى الغيبة تبعيدا لهم عن ساحة الحضور والخطاب معهم والختم قريب مِن الكتم لفظا لتوافقهما في العين واللام ومعنى، لأنّ الختم على الشيء يستلزم كتم ما فيه، ولاختم ثمة على الحقيقة، بلْ على سبيل المجاز والاستعارة فإن جعل المشبه به المعنى المصدر الحقيقي للختم والمشبه أحداث حالة، في أفواهم مانعة مِن التكلم كان طرفا التشبيه مفردين والاستعارة تبعيته. وإن جعل المشبه به هيئة مركبة منتزعة مِن الشيء والختم الوارد عليه منعه صاحبه مِن الانتفاع به والمشبّه هيئة منتزعة مِن الفم والحالة الحادثة فيه ومنعها صاحبه عن الاستنفاع به في التكلم وبيان المقصد كان طرفا التشبيه مركبين والاستعارة تمثيلية.

قد اقتصر فيها مِن ألفاظ المشبه به على معناه عمدة في تصوير تلك الهيئة واعتبارها أعني الختم وباقي الألفاظ منويّ مراد. وإن لم يكن مقدرا في [٤٧/ب] نظم الكلام والاقتصار على بعض الألفاظ للاختصار في العبارة وتكثّر محتملاتها بأن يحمل تارة على التبعية وتارة على التمثيلية وأخرى على غيرهما ولو صرّح بالكل لتعينّت[٨٣٩] التمثيلية. وإنْ

---

[٨٣٧] سورة يس ٣٦/٦٤.

[٨٣٨] سورة يس ٣٦/٦٥.

[٨٣٩] و: لتعيّنة.

جعل تشبيه أفواههم بأشياء[840] مختومة وجعل ذكر الختم الّذِي هو من روادف المشبه به المسكوت عنه تنبيها عليه ورمزا إليه كان من قبيل الاستعارة بالكناية.

﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾[841] نسبة التكلم إلى تلك الأعضاء مع إسناد الختم إلى ذاته تعالى ليفيد أن شهادة الأعضاء بقدرتها بعد إقدار الله إيّاها لا بقسرها وإلجائها على الشهادة حتى يتوهم عدم اعتبارها، فيكون ثبوت ذنبهم أظهر. ﴿وَتَشْهَدُ﴾[842] عليهم ﴿أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[843] أي: يستمرون على كسبه في الدنيا مِن الكفر والمعاصي. فإنْ قلت لِمَ لَمْ يعطف و"أرجلهم" على "أيديهم" وما فائدة زيادة "تشهد" قلت: ليفيد أنْ تكلم تلك الأعضاء إنما هو بالشهادة عليهم ليلزم الحجة البالغة. فإنْ قلت، فما فائدة قوله و"تكلّمنا"، فلم لم يقل من أوّل الأمر "وتشاهد أيديهم وأرجلهم" الآية، قلت: ليظهر فائدة الختم على أفواههم أي: يختم عليها ليصدر من أعضائهم ما كان حقه أنْ تصدر من أفواههم وهو التكلم كيلا يمكن لهم أنْ يقولوا إن أفواهنا تفتري على أعضائنا. ويجوز أنْ يكون المعنى أن أيديهم تكلمنا بدعوى المعاصي عليهم وتشاهد أرجلهم على طبق تلك الدعوى، فيسجل عليهم بذنوبهم. وقيل: المراد بالتكلم والشهادة ظهور آثار المعاصي

---

[840] و: ناشياً.

[841] سورة يس ٣٦/٦٥.

[842] سورة يس ٣٦/٦٥.

[843] سورة يس ٣٦/٦٥.

على تلك الأعضاء ودلالتها عليها. ويرد عليه أنه لا يستقيم مع قوله تعالى: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.[٨٤٤] والتوجيه بأنّه أيضا يجوز أنْ يكون "ما" و "لا" بمثل هذا غير موجّه ليشاهد قولهم: لم شهدتم علينا على فساد التأويل إذ لا محال لهذا الاعتراض، إذ كانت شهادة جلودهم بظهور علامات منها بلا مدخليتها، بلْ الاعتراض بناء على أنّه تعالى أقدرهم على النطق، وبتلك القدرة شهدت عليهم، نعم يمكن أنْ يقول: يجوز كون ظهور العلامات في موطن، وأصل الإنطاق في موطن.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾[٨٤٥] فحذف المفعول للبيان [٤٨/أ] بعد الإبهام، فإنّه لو قيل: لو نشاء علم السامع أنّ هناك شيأ تعلقت به المشبه لكنه مبهم عنده، فإذا جيئ بجواب الشرط صار مبينا، وهذا يوجب مزيد تقرير ويمكن في النفس. كذا قال بعض المحققين. أقول: قد سبق منا تحقيقه وتفصيله.

﴿لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾[٨٤٦] أي: لجعلنا أعينهم مطموسة منمحية، أو خلقناهم أوّل مرّة ممسوحة الأعين. فإنْ قلت الأعين جمع قلة، فلا بد لاختياره من نكتة إذ المناسب جمع الكثرة، قلت: إرادة القلة عند عدم الإضافة. ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾[٨٤٧] أي: قصدوا

---

٨٤٤ سورة فصلت ٤١/٢١.

٨٤٥ سورة يس ٣٦/٦٦.

٨٤٦ سورة يس ٣٦/٦٦.

٨٤٧ سورة يس ٣٦/٦٦.

الاستباق إلى الطريق الّذِي اعتادوه، فإنّ السّبق ههنا رتبي بالنظر إلى الطريق، فالسابق هو الأقرب إليه، وهذا لا يتصوّر لمن لا يبصر جهة السلوك. فانتصاب الصراط بنزع الخافض بـ"تضمين" معنى القصد، ويجوز أنْ يكون الاستباق بمعنى الابتدار.[٨٤٨]

قال في الأساس: استبقوا الصّراط ابتدروه[٨٤٩]. ويجوز أنْ يجعل الصّراط مع كونه مسبوقا إليه مسبوقا على الاتساع، أو يجعل منصوبا على الظرفية. فإنْ قلت مع جواز انتصابه على الظّرفية لأوجه لارتكاب الاتساع، قلت: الاتساع يلزم فخامة في المعنى واعتباره عند البليغ أولى، وذلك لأنّ فيه إشارة إلى شدة حرصهم على الحركة حتى أنّهم يقصدون. أو يستبقوا الصّراط. وأما احتمال الظرفية فلتصحيح ظاهر اللفظ وهذا ما ذكره صاحب الكشاف[٨٥٠] بقوله؛ "أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا إليه."[٨٥١] وذكر في الكشف في شرح قول صاحب الكشاف[٨٥٢] أي: من قولهم استبق الصّراط جاوزه لا على الاتساع

---

[٨٤٨] البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: ٤، ص: ٢٧٢، "فاستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه، وانتصابه بنزع الخافض أو بتضمين الاستباق معنى الابتدار، أو جعل المسبوق إليه مسبوقاً على الاتساع أو بالظرف. فَأَنَّى يُبْصِرُونَ الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره."

[٨٤٩] : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، أساس البلاغة، ج: ١، ص:٤٣٥.

[٨٥٠] هو: الزَّمَخْشَرِيّ.

[٨٥١] الزمخشري، الكشاف، ج: ١، ص: ٢٢٩ ٢٥/٤.

[٨٥٢] هو: الزَّمَخْشَرِيّ.

ليعرّض بأنّه ليس من موقت المكان والاتساع فرع أنْ يكون منه، وقد يمنع الأوّل إذ الصراط ليس مكانا مبهما، لأنّه فسّر بالجهات الست، وما أحق بها وهو ليس منها.

وفي القاموس استبق "الصِراطَ: جاوزَاهُ، وتَرَكَاهُ حتى ضَلاَّ."[853] ووهم المانع أن الصواب الاقتصار على قوله: "جاوزاه". وفيه نظر إما أوّلا فلِأن المبهم فسره ابن الحاجب[854] بما له اسم بالقياس إلى أمر خارج عن مسمّاه وهذا كذلك إذ اسم الطريق بالقياس إلى المقصد، لكن يرد [٤٨/ب] على ما في الكشاف[855] أنّ المراد بالاتساع جعل المسبوق إليه مسبوقا، لا جعل المسبوق فيه مسبوقا، ولو سلّم التوقيت. فالاعتراض ساقط أيضا. إذ قد يجعل الموقت بمنزلة المبهم، كما صرح به العلاّمة التفتزاني[856] في حاشية الكشاف في آخر الأعراف. ثُمّ إنّ جواز نصبه على الظرفية مبني على أنه مكان مبهم على ما فسّره إبن

---

[853] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، ج: ١، ص: ٨٩٢.

[854] ابن الحاجب (٥٧٠ - ٦٤٦ هـ)، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل. ولد في أسنا (من صعيد مصر) ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات، (الأعلام، ج: ٤، ص: ٢١١)

[855] الزمخشري، الكشاف.

[856] مسعود التفتازاني (٧١٢ - ٧٩١ هـ)، مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (سعد الدين) عالم مشارك في النحو والتصريف والمعاني والبيان والفقه والاصلين والمنطق وغير ذلك. ولد بتفتازان إحدى قرى نواحي نسا، وأخذ عن القطب والعضد، وإنتفع الناس بتصانيفه، وتوفي بسمرقند. من تصانيفه الكثيرة: شرح تلخيص المفتاح في المعاني والبيان،حاشية علي الكشاف للزمخشري في التفسير، التهذيب في المنطق، المقاصد في علم الكلام، وحقائق التنقيح لصدر الشريعة في الاصول. (معجم المؤلفين، ج: ١٢، ص: ٢٢٨)

الحاجب في الإيضاح وذكره الزمخشري أيضا في قوله تعالى: ﴿اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾[857]

فلا يرد اعتراض "ابن الحيان: بأنّه لَا يَجُوزُ، إذ الصِّرَاط ظَرْفُ مَكَانٍ مُخْتَصٌّ. لَا يَصِلُ إِلَيْهِ الْفِعْلُ إِلَّا فِي شُذُوذٍ، كَمَا أَنْشَدَ سِيبَوَيْهِ قولهم: كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ وَمَذْهَبُ ابْنِ الطَّرَاوَةِ أَنَّ الصِّرَاطَ وَالطَّرِيقَ ونحوهما لَيْسَتْ مُخْتَصَّةً."[858]

وكان ابن الحاجب وافقه في تفسيره بما نقلنا ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾[859] أي: كيف، أو من أين يبصرون الطّريق، وجهة السّلوك والاستفهام إنكاري. ﴿ولَوْ نَشَاءُ﴾[860] مسخهم حجارة، أو حديدا، أو قردة، أو خنازير ﴿لَمَسَخْنَاهُمْ﴾[861] والمسخ في اللغة إبطال الصورة إلى أخرى أقبح منه، لكنّ المراد ههنا ما هو أخصّ مِن المعنى اللغوىّ، وهو تغيير صورهم وإبطال قواهم أي لو نشاء لغيرنا صورهم وأبطلنا قواهم حال كونهم واقفين. ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾[862] وموقفهم ويدلّ على كون المراد ما ذكرنا قوله:﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا

---

[857] سورة يوسف ٩/١٢.

[858] أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج: ٩، ص: ٧٩.

[859] سورة يس ٦٦/٣٦.

[860] سورة يس ٦٧/٣٦.

[861] سورة يس ٦٧/٣٦.

[862] سورة يس ٦٧/٣٦.

﴿يَرْجِعُونَ﴾[٨٦٣]فإنّه مترتب على ذلك ومشعر بأنّ مسخهم بجعلهم حجارة، أو حديد إلاّ بجعلهم قردة، أو خنازير، كما نقل عن ابن عباس، فحاصل المعنى: لو شئنا لصيرناهم حال كونهم قياما، أو قعودا في أمكنتهم جمادات. ولو صيرناهم كذلك لما قدروا ذهابا وانتقالا، نحو: ما كانوا متوجهين إليه ولا رجوعا وانقلابا على عقبهم لينتج أنْ لو نشاء لما استطاعوا الذهاب والرّجوع. ثُمّ تستثنى نقيض المقدم لينتج نقيض التالي، أيْ لكن لم نَشَأْ ذلك، فلذلك استطاعوا إليه إما بيان الشرطية، فقد مرّوا ما بيان المقدمة الاستثنائية، فلأنك فيهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[٨٦٤] والنكتة في وضع "يرجعون" موضع رجوعا على وفق مضيا هي توافق الفواصل. ويجوز أنْ يكون قوله: "وَلَا يَرْجِعُونَ" منفصلا عن ما قبله مسوقا لبيان فرط عنادهم وغيّهم أي: [٤٩/أ] لو نشاء لجعلناهم بحيث لا يستطيعون الحركة والانتقال عن أمكنتهم.

ومع ذلك لَا يَرْجِعُونَ عن تذكيبهم وكفرهم لما ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.[٨٦٥] فهم لا يؤمنون.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾[٨٦٦] جملة معطوفة على متعلق علّة محذوفة. والمعنى: لو نشاء الطّمس والمسخ لفعلناه، لأنّا قادرون على كلّ شيء وعلى قلب الحقائق.

---

[٨٦٣] سورة يس ٦٧/٣٦.

[٨٦٤] سورة الأنفال ٣٣/٨.

[٨٦٥] سورة النحل ١٠٨/١٦؛ سورة محمد ١٦/٤٧.

ألا ترى كيف نقلب الإنسان في الخلق، فإنّ من نطل عمره نقلبه في الخلق، فلا يزال يتزايد ضعفه، وينتقص بنيته وقولا على عكس ما كان أوّل خلقه. "وننكسه" مِن التنكير، أو النكس. وقرئ بكل والأوّل أبلغ، والثاني أشهر. ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[٨٦٧] أن من كان قادرا على خلق الإنسان على عكس ما خلقه من قبل قادر على الطمس والمسخ، فإنّ هذا ليس بأغرب منه وأصعب، بلْ القضيّة منعكسة.

واعلم أن المشركين كانوا يقولون إنّ القرآن لشعر، وإنّ محمدا لشاعر، فرد الله عليهم بأبلغ وجه وأوكده بقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾[٨٦٨] لأنّه كناية تلويحية عن نفي كون القرآن شعر، أو عن نفي أنْ يكون رسول الله عليه وسلم شاعرا إذ المعنى ما علّمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ما جعلنا تعلمنا القرآن له ذريعة إلى تعليم الشعر، فإذا لم يكن تعليم القرآن ذريعة إلى الشعر، فلا يكون القرآن شعرا، ولا النبي صلى الله عليه وسلم شاعرا، وذلك لأنّ من مارس الدواوين والأشعار ربما يستعين به على قرض الشعر، فإذا لم يكن القرآن شعرا لعدم التقضية والوزن والنظم والأساليب، فلا يستعان به على الشعر، ويجعل هذه الآية كناية ظهر تطبيق هذا الرد على قولهم إن محمدا لشاعر وتلفيق قوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا

[٨٦٦] سورة يس ٣٦/٦٨.

[٨٦٧] سورة يس ٣٦/٦٨.

[٨٦٨] سورة يس ٣٦/٦٩.

ذِكْرٌ﴾[٨٦٩] ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٨٧٠] بقوله: "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ" لا يقال هذا ليس بكناية فضلا عن أنْ يكون تلويحية، لأنّه انتقال من ملزوم إلى لازم، لأنّا نقول لا ارتباب في أنّ دلالة "وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ" على أن القرآن ليس بشعر، ودلالة ذلك على نفي الشاعرية عنه صلّى الله عليه وسلم ليس من قبيل المفهوم الحقيقي وهو نفي تعليم الشعر منه، ولا من قبيل الإسناد[٨٧١] المجازي، فوجب المصير إلى الكناية بقرينة المقام لما يلزم من نفي الشاعرية نفي كون [٤٩/ب] القرآن شعرا، ومِنه نفي تعيلم الشعر بواسطة القرآن، فالانتقال من قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾[٨٧٢] إلى أنّ القرآن ليس بشعر، ومِن ذلك إلى أنّه صلّى الله عليه وسلم ليس بشاعر انتقال مِن اللازم إلى الملزوم بمرتبتين، ولا نعني بالتلويح إلاّ تعدد الانتقال. والشعر: في أصل اللغة العلم الدقيق، يقال: ليت شعري بكذا وفي العرف الكلام الموزون المقفّى، والشاعر يقال لمن له ملكة يقتدر بها على تأليف ذلك الكلام.

ويقرب من هذا ما قال الراغب[٨٧٣]: "الشِّعْرُ معروف والجمع أشعار. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾[٨٧٤] وشَعَرْتُ: أصبت الشَّعْرَ، ومنه استعير: شَعَرْتُ

---

[٨٦٩] سورة التكوير ٢٧

[٨٧٠] سورة الحجر ١٥/١.

[٨٧١] و + المجاز المفرد ولا المركب أعني الاستعارة التمثيلية ولا من قبيل الإسناد.

[٨٧٢] سورة يس ٣٦/٦٩.

[٨٧٣] يشير المؤلف إلى الراغب الأصفهاني، صاحب المفردات في غريب القرآن.

[٨٧٤] سورة النحل ١٦/٨٠.

كذا، أي: علمت علما في الدّقّة كإصابة الشّعر، وسمّي الشّاعِرُ شاعرا لفطنته ودقّة معرفته."[875] ثُمّ إنّ عدم كون القرآن شعرا غير خفي على الأعوام فضلا على[876] بلغاء الأقوام، فمقصودهم رميه ءم بالكذب لأنّه فلما يخلوا الشعر عن المبالغة والكذب حتى قيل: أفصح الشعراء أكذبهم. وقال تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ[877] يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾،[878] ومِن ثمه ترى منطقيين سمّوا القياس المؤلف من مقدمات كاذبة مخيلة شعراء.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لَهُ**﴾[879] اعتراض لتقرير أنه ليس بشاعر أي: لا يستقيم عقلا أنْ يكون له شعر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[880] لأنّه لو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة، لم يبق إلاّ المعاندة، فيحق القول عليهم. والمعنى لا يليق الشعر بمثله ولا يصلح له، لأنّ الشعر يدعوا إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن ولأنّ أحسنه المالغة والمجازفة والإغراق في الوصف وكلها يستدعي الكذب وجلّ جناب الشارع عنه. بلْ ﴿**إِنْ هُوَ إلاّ ذِكْرٌ**﴾[881] مِن الرحمان محدث أتاهم ليتذكروا، لكن ما استمعوه إلاّ وهم يلعبون

---

[875] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج: ١، ص: ٤٥٥.

[876] و: عن.

[877] و – والشعراء.

[878] سورة الشعراء ٢٦/٢٢٤.

[879] سورة يس ٣٦/٦٩.

[880] سورة مريم ١٩/٩٢.

[881] سورة يس ٣٦/٦٩.

﴿وَقُرْآنٌ﴾[882] وكتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته الفوز في الدارين. ﴿مُبِينٌ﴾[883] بيّن كونه كتابا لكونه معجزا خارجا عن طوق البشر، فكم بينه وبين الشعر الّذي هو ﴿مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾،[884] كما رُوِي عنه عم[885] قال: «لِأَنَّ يمتَلِئُ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يمتَلِئَ شِعْرًا»[886] [٥٠/أ]

﴿لِيُنْذِرَ﴾[887] "قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ بِتَاءِ الْخِطَابِ، فالمخاطب الرسول عم[888] والْبَاقُونَ بِيَاءِ الْغَائِبِ"[889] فالضمير المستكن إما راجع إلى الرسول أو إلى القرآن. والأوّل أولى ليوافق[890] القرائتين حينئذ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾[891] وهو لم ينطفأ[892] نور فطرته التي فطر الله الناس عليها، فإنّ الذين انطفأ[893] نور فطرتهم، فهم﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾[894] أو المراد

---

[882] سورة يس ٣٦/٦٩.

[883] سورة يس ٣٦/٦٩.

[884] سورة المؤمنون ٢٣/٩٧.

[885] ى ، و: عليه السلام.

[886] مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر، باب كتاب الشعر، ج: ٤، ص: ١٧٦٩،، رقم الحديث: ٢٢٥٧ بلفظ؛ «لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِلَّا أَنَّ حَفْصًا لَمْ يَقُلْ «يَرِيهِ»

[887] سورة يس ٣٦/٧٠.

[888] ى ، و: عليه السلام.

[889] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: ٢٣، ص: ٦٦؛ أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج: ٩، ص: ٨١.

[890] و: والاولى اولى ليوافق؛ ى: لتوافق.

[891] سورة يس ٣٦/٧٠.

[892] و: ينطفى.

[893] و: انطفى.

من كان مؤمنا، فإنّ الكافر ميّت حقيقة. وعلى كلا التقديرين، ففي الحيّ استعارة مصرّحة تحقيقية استعير الحيوة لنور الفطرة، أو الإيمان لجامع[٨٩٥] التكميل والتزيين إلاّ أن تسميتهم مؤمنين قبل الدخول في الإيمان، كما يفيده كلمة "كان". أما بالنظر إلى العلم الأزلي أي: من كان مؤمنا في علم الله تعالى وسبق الكتاب على إيمانه، أو مجاز لمشارفتهم ذلك، كأنّه قيل: لينذر من كان مال أمره إلى الإيمان، أو أطلق "كان" أريد معنى "يكون". وبالجملة المراد لينتفع بالإنذار المؤمن. ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ﴾[٨٩٦] ويثبت كلمة العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٨٩٧] أي: على من وجب وثبت في علم الله تعالى كفره وإصراره عليه، كما ثبت فيه إيمانهم فظهر من هذا التقابل أن الكافر كالميت، والمؤمن كالحي.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾[٨٩٨] أولم يعلموا أولم يتفكروا ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾[٨٩٩] لأجل انتفاعهم. ثُمّ بيّن ذلك المخلوق لهم بقوله ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾[٩٠٠] فآثر صيغة التعظيم، والأيدى ليدلّ على إبداع خلق عجيب وإبداع صنع غريب، لأنّ اليد إذا استعيرت للقدرة دلّت على

٨٩٤ سورة الجاثية ٢١/٤٥.
٨٩٥ و: جامع.
٨٩٦ سورة يس ٧٠/٣٦.
٨٩٧ سورة يس ٧٠/٣٦.
٨٩٨ سورة يس ٧١/٣٦.
٨٩٩ سورة يس ٧١/٣٦.
٩٠٠ سورة يس ٧١/٣٦.

دقة في المقدور، فذكر الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد المبالغة في الاختصاص والتفرد في الأحداث أي: تولينا خلقة بإبداعنا من غير إعانة أحد.

ولما كان دلالة الأنعام على بدائع الصنع وغرائب القدرة أكثر خصّها بالذكر، فقال ﴿أَنْعَامًا﴾[٩٠١] جمع نَعَم، وهو ما يرعى مِن الحيوان ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾[٩٠٢] أيْ، فملكناها إياهم، فهم فيها متصرفون تصرف المالك ينتفعون بها من غير مزاحم، فالفاء فصيحة، أو المعنى: فهم لها ضابطون وقاهرون حيث لم يخلق نافرة وحشية من بني آدم لا يقدرون على ضبطها، بلْ هي مسخّرة. لهم.

فعلى هذا يكون ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾[٩٠٣] عطف تفسير لقوله: "لها [٥٠/ب] مالكون". فالوجه الأوّل أوجه، لأنّ قوله: "لها مالكون" يدلّ حينئذ على أن أحدا لا يمنعهم مِن التصرف فيها، ويدلّ قوله: "وذللناها لهم" على أنها في نفسها لا يمتنع من التصرف فيها بما أراد صاحبها، فيكون تأسيسا بخلاف الوجه الثاني، فان قوله: "وذللناها" وتقسيمه بالركوب والأكل يدلّ على الضبط والقهر، فيكون تأكيدا ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾[٩٠٤] قرأ العامة بفتح الراء، كالحلوب بمعنى مركوبهم وقرئ ركوبتهم، كالحلوبة بمعنى المركوبة، وقرئ

---

[٩٠١] سورة يس ٧١/٣٦.

[٩٠٢] سورة يس ٧١/٣٦.

[٩٠٣] سورة يس ٧٢/٣٦.

[٩٠٤] سورة يس ٧٢/٣٦.

بضم الراء على حذف المضاف لكونه مصدرا أي: ذو ركوبهم، أو فمن منافعها، أو من أغراضها ركوبهم. وبالجملة، جعلنا بعض الأنعام مركبا لهم يركبون عليها ويحملون أثقالهم عليها إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس، كالخيل والإبل والبغال والحمير. ﴿**وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ**﴾[٩٠٥] وجعلنا بعضها مأكول اللحم يأكلون من لحومها، كالضأن والمعز. ﴿**ولهُمْ فِيهَا**﴾[٩٠٦] أي: في الأنعام وراء ما ذكر من منافع الركوب الأكل ﴿**مَنَافِعُ**﴾[٩٠٧] أُخَر عظيمة لما ينتفعون ﴿*مِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا*﴾[٩٠٨] ونسلها ﴿**وَمَشَارِبُ**﴾[٩٠٩] جمع مشرب بمعنى موضع الشرب، أو مصدر بمعنى المشروب، وهي لبنها ومحيضها والزبد والسّمن وإلا قط والحين وغيرها، فلولا خلق الله تعالى تلك الأنعام وتذليله إياها لهم لما أمكن لهم التوسّل إلى تحصيل هذه المنافع المهمة، فيجب عليهم أنْ يشكروا ربّ هذه النعم. ﴿**أَفَلَا يَشْكُرُونَ**﴾[٩١٠] مع ذلك، فأفٍّ لهم حيث لم يشكروا، بلْ كفروا بالله بما لم يعلموا.

---

٩٠٥ سورة يس ٧٢/٣٦.

٩٠٦ سورة يس ٧٣/٣٦.

٩٠٧ سورة يس ٧٣/٣٦.

٩٠٨ سورة النحل ٨٠/١٦.

٩٠٩ سورة يس ٧٣/٣٦.

٩١٠ سورة يس ٧٣/٣٦.

﴿وَاتخذوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾[911] بعد مشاهدة تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة والتفرد بخلقها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾[912] أي: يمنعون مِن العذاب بِنَصْر الآلهة، فانعكست القضية ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾،[913] لأنّهم:

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾[914] أي: لا يقدر ما اتخذوا آلهة على نصرهم ورفعتهم مِن العذاب لكونها جمادات ينحتونه بأيديهم وكيف يستطيعون نصرهم ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾[915] أي: معدودون لخدمتهم وعبادتهم، والذبّ عنهم والغضب لهم، وهم لا يسوقون إليهم خيرا ولا يعدون لهم خيرا. فوجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنْ يجعل حالا مقرّرة لجهة الإشكال أي: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾[916] وفعلنا كذا وكذا. وهم ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[917] ما لا يستطيعون نصرهم.

ومع ذلك [٥١/أ] أنهم يذبون عنها ويغضبون لها، أو المعنى: هم لهم أي: لأجل عبادتهم وخدمتهم جند محضرون في النّار والعذاب. ثُمّ إنّه تعالى لما ردّ عليهم قولهم: إنه شاعر عدّ ما أنعم به عليهم تسلية للرسل عليه السلام، يعني: لقد كان لك أسوة حسنة في

---

[911] سورة يس ٣٦/٧٤.
[912] سورة يس ٣٦/٧٤.
[913] سورة الزمر ٣٩/٤٧.
[914] سورة يس ٣٦/٧٥.
[915] سورة يس ٣٦/٧٥.
[916] سورة يس ٣٦/٧١.
[917] سورة مريم ١٩/٨١؛ سورة العنكبوت ٢٩/٤١.

ربّك حيث أراهم تلك الآيات الباهرة وأولاهم تلك النعم المتظاهرة وعلموا أنه[٩١٨] المتفرد بها.

ومع ذلك كابروا وعاندوا ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾[٩١٩] ﴿وَجَعَلُوا له شُرَكَاءَ﴾[٩٢٠] فما ظنك بهم معك.

فإذا كان الأمر كذلك، ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ﴾[٩٢١] بفتح الياء وضمها ﴿قَوْلُهُمْ﴾[٩٢٢] فيك بالتكذيب والتهجين،[٩٢٣] أو في الله باتخاذ والشريك.[٩٢٤] ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾[٩٢٥] استئناف سبق لتعليل النهي بحذف لام التعليل أيْ، لأنّا نعلم ﴿مَا يُسِرُّونَ﴾[٩٢٦] في قلوبهم من تكذيبك ومعاداتك ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[٩٢٧] بألسنتهم من اذاك وعبادة الأصنام، فنجازيهم عليه، فلا

---

٩١٨ و: ان.
٩١٩ سورة الفرقان ٣/٢٥.
٩٢٠ سورة الرعد ٣٣/١٣ .
٩٢١ سورة يس ٧٦/٣٦.
٩٢٢ سورة يس ٧٦/٣٦.
٩٢٣ و: التهجيز.
٩٢٤ ي،و: بالإلحاد والشرك.
٩٢٥ سورة يس ٧٦/٣٦.
٩٢٦ سورة يس ٧٦/٣٦.
٩٢٧ سورة يس ٧٦/٣٦.

يغرّهم أمهالنا إياهم أيّاما قلائل ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٩٢٨] وكفى بهذا تسلية من ربّ الأرباب إلى عبده الأوّاب.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ﴾[٩٢٩] معطوف على قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾[٩٣٠] وأسلوبها هو أسلوب سابقها في التعكيس، يعني: أنا كما تولينا لأحداث النعم ليكون ذريعة إلى أنْ يشكر الإنسان، فجعلناها وسيلة إلى الكفر أن كذلك خلقناه ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾[٩٣١] هي أخسّ الأشياء وأمهنها يتخضّع ويتذلل ﴿فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[٩٣٢] أي: مفرط في الخصومة ومظهر إيّاها غير مستحي مِن الله تعالى. ففيه أيضا تسلية للرسول عليه السلام بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر. وفيه أيضا تقبيح بليغ لإنكارهم حيث أعجب منه يعني أنه ينكر الحشر ويخاصم مع مهانته الجبّار مع مهائية في شيء في غاية الظهور والجلال. ما أبعد ذلك مِن العاقل.

"ورُوِي أن أُبي بْنُ خَلَفٍ أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَظْمٍ بَالٍ وقال: أترى الله يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا أرمّ وبلى؟ فَقَالَ صلى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، وَيَبْعَثُكَ ويدخلك

---

[٩٢٨] سورة القلم ٦٨/٤٤، سورة الأعراف ٧/١٨٢.

[٩٢٩] سورة يس ٣٦/٧٧.

[٩٣٠] سورة يس ٣٦/٧١.

[٩٣١] سورة يس ٣٦/٧٧.

[٩٣٢] سورة يس ٣٦/٧٧.

النَّارَ»"[٩٣٣] فنزلت هذه الآيات. وقد يقال المعنى، فإذا هو بعد ما كان ماءً مهينا مميّز منطيق[٩٣٤] قادر على الخصام معرب عما في ضميره.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾[٩٣٥] أي: شبهنا بالخلق وجعل قدرتنا قاصرة، كقدرتهم، ووصفنا بالعجز عن إحياء الموتى. ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾[٩٣٦] العجيب وبدأه الغريب. [٥١/ب] ﴿قَالَ﴾[٩٣٧] مستبعدا إياه، بلْ منكرا له ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٩٣٨] أي: بالية ومفتتة، ولم يقل "رميمة"، لأنّه معدول عن فاعلة، وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن إعرابه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٩٣٩] حيث كانت[٩٤٠] مصروفة عن

---

[٩٣٣] الواحدي، أسباب نزول القرآن، ج: ١، ص: ٣٧٩؛ أَخْبَرَنَا سعيد بن محمد بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيِّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْفَقِيهُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْجُنَيْدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ: حَدَّثَنَا حُصَيْنٌ عَنْ أَبِي مَالِكٍ:أَنَّ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ الْجُمَحِيَّ جَاءَ إِلَى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بِعَظْمٍ حَائِلٍ فَفَتَّهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ يَبْعَثُ اللَّه هذا بعد ما أَرَمَّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَبْعَثُ اللَّهُ هَذَا وَيُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ ثُمَّ يُدْخِلُكَ نَارَ جَهَنَّمَ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. ؛ أنظر: ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، ج: ٦، ص: ٥٩٣؛ يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، ج: ٢، ص: ٨٢٠؛ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: ٢٠، ص: ٥٥٤.

[٩٣٤] و: مطيق.

[٩٣٥] سورة يس ٧٨/٣٦.

[٩٣٦] سورة يس ٧٨/٣٦.

[٩٣٧] سورة يس ٧٨/٣٦.

[٩٣٨] سورة يس ٧٨/٣٦.

[٩٣٩] سورة مريم ٢٨/١٩.

[٩٤٠] و: كان.

باغية،[٩٤١] أو نقول هو فعيل بمعنى فاعل من "رمّ الشيء"، فصار اسما بالغلبة فلم يؤنث، أو بمعنى مفعول من "رممته" وفي هذه الآية دلالة على أن العظم فيه حياة فيوش فيه الموت كسائر الأعضاء. واعلم أن أرباب النظر والحجة استدلوا على حقيقته حشر الأجساد بأنّ عود البدن في نفسه ممكن، والله قادر على كل الممكنات، وعالم بكل المعلومات، فكان القول بالحشر ممكنا، والأنبياء قد أخبروا عن وقوعه وفعليته، والصّادق إذا أخبر عن وقوع أمر ممكن وجب القطع بصحّة، وإنما احتاجوا إلى إثبات شمول القدرة والعلم، لأنّه إذا علم جميع المعلومات علم أجزاء تلك العظام النخرة والجلود الممزقة المتلاشية في أقطار الآفاق. وإذا قدر على جميع المقدورات كان قادرا على تمييز الأجزاء وجمعها وإعادتها، كما كانت أوّل مرة، فسبحان من جلت حكمته ودقت كلمته حيث أشار إلى هذه المقدمات بأسرها في جواب قولهم: (مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ).

فإنّ قوله: ﴿قُلْ﴾[٩٤٢] يدل على الإخبار عن الصادق المصدوق لمشهود عندهم بالأمين الثابت نبوّته بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة. وقوله ﴿**يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[٩٤٣] يدلّ على شمول القدرة، لأنّ المقتضى لقدرته هو ذاته المقدسة عن شوائب العجز

---

[٩٤١] البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج: ٥، ص: ٧٩٠؛ "باليَةٌ، وَلَمْ يقلْ رَمِيمَةً لِأَنَّهُ مَعْدُولٌ عَنْ فَاعِلَةٍ وَكُلُّ مَا كَانَ مَعْدُولًا عَنْ وَجْهِهِ وَوَزْنِهِ كَانَ مَصْرُوفًا عَنْ أَخَوَاتِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، (سورة مَرْيَمَ ١٩/٢٨) أَسْقَطَ الْهَاءَ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَصْرُوفَةً عَنْ بَاغِيَةٍ."

[٩٤٢] سورة يس ٣٦/٧٩.

[٩٤٣] سورة يس ٣٦/٧٩.

والمصحّح للمقدورية هو الأماكن اللازم لماهية الممكن، فإذا ثبت قدرته في البعض كالإبداء ثبت في الكل، فيقدر على الإعادة أيضا. وقوله ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[٩٤٤] وهو يدل على شمول علمه تعالى، فإذا أعلم تفاصيل المخلوقات يعلم أجزاء الأشخاص المفتتة المتبدرة.

والحاصل أنه إن عجز تعالى عن إحيائها وإعادتها، فإما لعدم علمه بالأجزاء المتفرقة وهو باطل، لأنّه بكل خلق عليم. وهما[٩٤٥] لعدم قدرته [٥٢/أ] على جمعها وإفاضة الحياة عليها، وهو أيضا باطل. لأنّه[٩٤٦] قدر على ما هو أقوى وأبعد في تعلق القدرة عليه منه كيف وهو: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾[٩٤٧] فمن كان قادرًا على الجمع بين الضّدّين كان أقدر على إحياء الموتى.

"قال ابن عباس في البادية شَجَرَتَانِ يقال لأحدهما: المرخ والأخرى: الْعَفَارُ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْهُمُ النَّارَ قَطَعَ مِنْهُمَا غُصْنَيْنِ[٩٤٨] مِثْلَ السِّوَاكَيْنِ وَهُمَا خَضْرَاوَانِ يَقْطُرُ مِنْهُمَا الْمَاءُ، فَيُسْحَقُ الْمَرْخُ عَلَى الْعِفَارِ،[٩٤٩] فَيَخْرُجُ مِنْهُمَا النَّارُ بقدرة الله تعالى، والعَرَبُ يَقُولُ فِي كُلِّ

---

[٩٤٤] سورة يس ٣٦/٨٠.

[٩٤٥] و: إما.

[٩٤٦] ى – بكل خلق عليم وهما لعدم قدرته على جمعها وإفاضة الحيوة عليها وهو أيضا باطل.

[٩٤٧] سورة يس ٣٦/٨١.

[٩٤٨] ى: غصنان.

[٩٤٩] و: الغفاء.

شَجَرَة نَارٌ، لكن اسْتَمْجَدَ الْمَرْخُ وَالْعَفَارُ، وَقَالَ الْحُكَمَاءُ: فِي كُلِّ شَجَرٍ نَارٌ إِلَّا الْعُنَّاب."[٩٥٠]

فلهذا يستعمله القصارون.

ولما كان المنكرون لقدرة الله تعالى على حشر الأجساد معترفين بما هو أعظم من ذلك، لأنّك[٩٥١] ﴿إِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٩٥٢] احتج تعالى عليهم بذلك تبكيتا لهم، فقال مستفهما بالاستفهام التقريري.

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[٩٥٣] يعني أنهم ليسوا أشدّ خلقا من هذه الأجرام العظام والأجسام الجسام. وقد خلقهن الله تعالى وهم يعرفون به، أليس من خلقهنّ ﴿بِقَادِرٍ﴾[٩٥٤] بالطريق الأولى ﴿عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾[٩٥٥] في الصغر والحقارة بالنسبة إلى تلك الأجرام العظيمة، والعدول عن المخاطب إلى الغيبة في "مثلهم" للتنبيه على أنهم ليسوا بقائلين للخطاب والإلزام والتبكيت حتى يواجهوا بما يسكنهم ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾[٩٥٦] وتبعيد لهم عن ساحة عزّ أنْ يختم الكلام بالخطاب معهم. ثُمّ إنّ جمع

---

٩٥٠ البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، ج: ٧، ص: ٢٩.

٩٥١ ى: اذا ؛ و – ان.

٩٥٢ سورة لقمان ٢٥/٣١.

٩٥٣ سورة يس ٨٢/٣٦.

٩٥٤ سورة يس ٨٢/٣٦.

٩٥٥ سورة يس ٨٢/٣٦.

٩٥٦ سورة الأعراف ١٧٩/٧.

السموات وإفراد الأرض مع أنّها متعدّدة[٩٥٧] مثل السموات، كما قال *تعالى*: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[٩٥٨] لأنّ طبقات الأرض متّفقة الحقائق، فكأنها طبقة واحدة بخلاف طبقات السموات، فإنّها متخالفة الحقائق.

ولما لم يكن لهذا الاستفهام جواب سوى الإقرار بالمنفيّ. قال تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾[٩٥٩] أيْ، بلْ قادر على ذلك. واعلم أن كلمة "بلى" من حروف التّصديق مثل "نعم" إلاّ أن "نعم" يقع[٩٦٠] تصديقا للإيجاب والنفي في الخبر والاستفهام جميعا بمعنى أنها يقررهما فيهما على حالهما، [٥٢/ب] كقولك لمن قال: قام زيدا ولم يقم زيدا وأقام زيدا وألم يقم زيد نعم أي: الأمر كما أخبرت، والحال كما سألت. وأما بلى، فيختص بالمنفي خبرا واستفهاما على معنى أنها إنما تقع تصديقا للمنفي على سبيل الإيجاب ولا يقع تصديقا للمثبت أصلا. فلا يقال: "بلى" في جواب "قام زيد"، أو "أقام زيد"، وإنّما يقال في جواب "لم يقم زيد"، أو "ألم يقم زيد". لا بمعنى تقريرهما على حالهما، بلْ بمعنى "بلى قد قام". ولهذا قيل: قائل "بلى" في جواب ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٩٦١] مِن الأرواح الظاهرة على ظهر آدم بمسح جبرائيل عليه السلام مؤمن، لأنّه في قوّة بلى أنت ربنا، وقائل "نعم" منها كافر، لأنّه في قوّة نعم

---

[٩٥٧] و: متعدّد.

[٩٥٨] سورة الطَّلَاق ١٢/٦٥.

[٩٥٩] سورة يس ٨٢/٣٦.

[٩٦٠] و: تقع.

[٩٦١] سورة الأعراف ١٧٢/٧.

"لست ربنا". وقد يستعمل "نعم" في العرف مثل "بلى"، ورجحه أهل الشرع. ألا يرى أنك إذا قلت "نعم" في جواب من قال: "أليس لى عليك كذا درهما" حمل القاضي كلامك على الإقرار وألزمك أداء المقربة، واستشكل بعض المحققين بأنّ "بلى" إذا كانت لإيجاب ما بعد النفي لم يكن تصديقا لما سبقها، بلْ تكذيبا لها. فما وجه إدراجها في حروف التصديق وتسميتها بحرف التصديق؟

أقول: وجهه هو إنّها وإنْ كانت تكذيبا للنفي لكنها تصديق للمنفي وكفى بهذا وجها للدرج والتسمية، تبصر. ثُمّ أنه تعالى شيّد أركان المقربة بكلمة "بلى" وأسّس بنيانه بقوله: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[٩٦٢] أي: كيف لا يكون قادرا على ذلك وهو البالغ في الخلق نهايته، وفي العلم غايته، إذ لا مؤثر في الوجود إلاّ هو، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرّة مما سواه، ولا يتأتى عن قدرته شيء مِن الممكنات، فإنّ كل ما يمكن أنْ يوجد يصح منه تعالى إيجاده وتركه، وهو معنى القدرة عند المتكلمين وليس شيء منهما لازما لذاته بحيث يستحيل انفكاكه على ما زعمت الفلاسفة، فهو مختار في إيجاد ما يوجد، لكن لا على النحو المتصوّر من اختبار الخلق الّذِي هو تردد واقع بين أمرين، كل منهما ممكن الوقوع عنده، فيترجّح عنده أحدهما لمزيد فائدة، أو مصلحة يتوخاها، فمثل هذا يستنكر في حقه تعالى، لأنّه إحدى الذات وإحدى الصفات، وأمره واحد وعلمه بنفسه [٥٣/أ] وبالأشياء

---

٩٦٢ سورة يس ٨٢/٣٦.

علم واحد، فلا يصح لديه تردد ولا إمكان مختلفين، بلْ لا يمكن غير ما هو المعلوم المراد في نفسه، والاختيار الإلهيّ إنما هو بين الجبر والاختيار المفهومين للناس. وإنّما معلوماته سواء قدر وجودها أولم يقدر، مرتسمة في عرصة أزلا وأبدا مرتبة ترتيبا لا أكمل منه في نفس الأمر. وإن خفيَ ذلك على الأكثرين، فالأوّلية بين أمرين يتوهم إمكان وجود كل منهما إنما هي بالنسبة إلى المتردد.[٩٦٣] أما في نفس الأمر، فالواقع واجب وما عداه مستحيل الوجود. وإنّما سمّي القادر قادرا، لأنّه يوقع فعله على قدر علمه وإرادته، أو قوته واستطاعته.

ثُمّ لما كان ههنا مظنة أنْ يقيس الجاهل المنكر الغائبَ بالشاهدِ والقادرَ على الإطلاق بالعاجز المحتاج عقب ما سبق من إثبات القدرة على خلق السموات والأرض وخلق مثلهم بقوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ**﴾[٩٦٤] أي: شأنه وعادته تعالى ﴿**إِذا أَرَادَ شَيْئًا**﴾[٩٦٥] إذا تعلّقت إرادته الأزلية بوجود شيء. ثُمّ إنّ الشيئية على النوعين: شيئية ثبوتية، وهي ثبوت المعلومات في علم الله تعالى متميزا بعضها عن بعض، وهي على أقسام: أحدها ما يجب وجوده في العين كذات الواجب سبحانه، وثانيها ما يَمكن بروزه مِن العلم إلى العين وهو الممكنات، وثالثها ما لا يمكن وهو الممتنعات، ومتعلق إرادة الله سبحانه وقدرته هو القسم الثاني دون الأوّل، والثالث وشيئة وجودية. وهي وجودها خارج العلم، والموجودات الخارجية

---

٩٦٣ و: المتوهم.

٩٦٤ سورة يس ٨٣/٣٦.

٩٦٥ سورة يس ٨٣/٣٦.

من حيث تعلق القدرة في إخراجها مِن العلم إلى العين لا يتعلّق بها قدرة أخرى لاستحالة تحصيل الحاصل، فإنْ تعلقت قدرة وإرادة بها، فباعتبار إعدامها وإيجادها بعد الإعدام في كل آن على القول بالخلق الجديد مع الأنفس، كما هو مذهب المحققين مِن الصّوفية، فذات الواجب تعالى وصفاته والممتنعات والموجودات الممكنة من حيث أنّها تعلقت الإرادة والقدرة بها مستثناة عقلا مِن الحكم على الله تعالى بأنّه إذا أَرَادَ شَيْئًا يوجده ويحدثه حسب ما تعلقت به إرادته والحاصل أن قدرته تعالى[٥٣/ب] في الكمال بحيث لا يتأتى عنها شيء مِن الممكنات، وإنّما يتوقف بتأثيره فيها على مجرد تعلق الإرادة، فإذا تعلقت إرادته تعالى بوجود ممكن فشأنه: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾[٩٦٦] فإذا قال له كن ﴿فَيَكُونُ﴾[٩٦٧] فيتكون من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة إعمال واستعمال آلات بخلاف إرادتنا الناقصة، فإنّ مجرد تعلقها بشيء لا يوجد وجوده ما لم يحصل جميع ما يتوقف عليه من استجماع الشروط وارتفاع الموانع الّتي من جملتها تعلق الإرادة الأزليّة، كما قال عزّ من قائل ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.[٩٦٨]

واعلم أنهم اختلفوا في أنّ هذا الكلام هل هو على حقيقته أم هو مجاز، فذهب أكثر المفسرين إلى هذا الكلام مجاز عن سرعة الإيجاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته

---

٩٦٦ سورة يس ٨٣/٣٦.

٩٦٧ سورة يس ٨٣/٣٦.

٩٦٨ سورة الإنسان ٣٠/٧٦؛ سورة التكوير ٢٩/٨١.

تمثيلا للغائب أعنى تأثير قدرته في المراد بالشاهد أعني أمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس هناك قول ولا كلام، وإنّما وجود الأشياء بالخلق والتكوين مقروونا بالعلم والقدرة والإرادة. وذهب بعضهم إلى أنّه حقيقة وإنّ الله تعالى قد أجرى سنته في تكوين الأشياء أنْ يكونها بهذه الكلمة وإن لم يمتنع تكوينها بغيرها. والمعنى: يقول له أحدث، فيحدث عقيب هذا القول، لكنّ المراد الكلام الأزلي القائم بذات الله تعالى، لا الكلام اللفظي المركب مِن الأصوات والحروف، لأنّه حادث، فيحتاج إلى خطاب آخر، فيتسلسل، ولأنّه يستحيل قيام الصوت والحروف[٩٦٩] بذاته[٩٧٠]

ولمّا لم يتوقف خطاب التكوين على الفهم واشتمل على أعظم الفوائد وهو الوجود، جاز تعلّقه بالمعدوم، بلْ خطاب التكليف أيضا أزليّ، فلا بدّ أنْ يتعلّق بالمعدوم على معنى أن الشخص الّذِي سيوجد مأمور بذلك. وبالجملة لا يرد أن الخطاب بالأمر بالمعدوم لا يصحّ. أما على الأوّل فلأنه لا أمر ولا خطاب. ههنا حقيقة، بلْ هو تمثيل لسرعة الإيجاد. وأما على الثاني فلأن خطاب التكوين ولا يتوقف على الفهم والوجود على أن الممكنات باعتبار وجوداتها العالميّة قديمة [٥٤/أ] موجودة في حضرة العلم أزلا. وتسمى بالأعيان

---

٩٦٩ ى: والحرف.

٩٧٠ ى + تعالى.

الثابتة، فالمأمور وإنْ كان معدوما في الخارج[٩٧١] قال المتألهون: الأمر أمران: إيجابي وإيجادي، فالإيجابي صيغة "أفعل" والإيجادي كلمة "كن". أعني سرعة نفوذ القدرة في المقدور، فإذا توافق الأمران بأنْ يقال للعبد مثلا: "صلّ" وتعلقت القدرة بإيجاد الصلاة فيه تحققت الطّاعة والانقياد وإذا تخالفا، كما إذا لم تتعلق القدرة بإيجادها في هذه الصورة تحققت المعصية والمخالفة. فإنْ قلت أي سرّ في الأمر يفعل مع إيجاد الفعل المأمورية في بعض المأمورين، فيتّصف بالطاعة وعدم إيجاده في بعض آخر، فيتصف بالمعصية؛ قلنا: إن الله سبحانه وتعالى هو الجواد المطلق والفياض بالحق لكنّه ما يعطي إلاّ ما يسأله القائل بلسان الاستعداد، والعباد متفاوتون في ذلك، فبعضهم يسأله بلسان استعداده إيجاب الفعل عليه وإيجاده فيه وهو من جملة المطيعين، وبعضهم يسأله بلسان استعداده إيجاب الفعل عليه لا إيجاده فيه. وهو من جملة العاصين، فليست الطّاعة والمعصية إلاّ من مقتضيات عين العبد التي هو من شؤنات الذات الّذِي لا ينفذ فيها جعل الجاعل. وهذا هو سرّ القدر الّذِي إذا ظهر في القيامة الّتي تبلى فيها السّرائر، لا يلومن أحد إلاّ نفسه ويضرب له المثل السّائر، وهو بلْ يداك أوكتا وفوك نفخ وتفصيل المقام على وجه يتضح به المرام يتوقف على مقدّمات.

فاستمع لما نقول: وهو أنّ القضاء عبارة عن الحكم الكلي الإلهي على أعيان الموجودات بأحوال جارية وأحكام طارئة عليها مِن الأزل إلى الأبد. والقدر عبارة عن

---

[٩٧١] و – لكنه موجود علما. فالمعنى: أيها الموجود في العلم أحدث في الخارج.

تفصيل هذا الحكم الكلي بتخصيص إيجاد الأعيان بأوقات وأزمان تقتضي استعداداتها[٩٧٢] لوقوع فيها وتعليق كل حال من أحوالها بزمان معيّن وسبب مخصوص. وسرّ القدرة هو أنّه لا يمكن لعين مِن الأعيان الثابتة. [٥٤/ب] أنْ يظهر في الوجود ذاتا وصفة وفعلا إلاّ بقدر خصوصية قابلية الأصلية واستعداده الذاتي وسرّ سرّ القدر هو أنّ الأعيان الثابتة ليست أمورا خارجة عن ذات الحق[٩٧٣] وتعالى معلومة[٩٧٤] له أزلا ومتعينا في علمه تعالى على ما هي عليه، بلْ هي نسب وشؤنات ذاتية له تعالى، فلا يمكن أنْ يتغير عن حقائقها، لأنّ ذاتياته تعالى منَزّهة عن قبول الجعل والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان.

فإذا تمهد هذا، فاعلم أن حكمة تعالى على موجودات تابع لعلمه بأعيانها الثابتة وعلمه تعالى بتلك الأعيان تابعة بتلك الأعيان على معنى أنْ لا أثر للعلم الأزليّ في المعلوم بإثبات أمر له لا يكون ثابتا، أو بنفي أمر عنه يكون ثابتا، بلْ علمه تعالى بالمعلوم على وجه يكون هو في حدّ ذاته على ذلك الوجه، فلا أثر ولا سر آية للعلم في المعلوم بوجه مِن الوجوه، والأعيان الثابتة صور نسب وشؤن ذاتية الحضرة الحق سبحانه وتعالى، والشؤن الذاتية له تعالى مقدسة عن قبول التغير أزلا وأبدا، فالأعيان الّتي هي ظلالها وصورها يمتنع أنْ يتغير عن الأحكام الّتي هي عليها في حد أنفسها، فحكمه تعالى عليها ليس إلاّ على

---

٩٧٢ ى: استعدادها.

٩٧٣ ي، و + سبحانه.

٩٧٤ و: معلولة.

مقتضى قابلياتها ومواجب استعداداتها، فكل ما يطلبونه بلسان الاستعداد من جناب الملك المنان يعطيه بلا زيادة ولا نقصان من درجات السّعادة[٩٧٥] ودركات[٩٧٦] النيران.

ثُمّ لما تكلّم كفّار قريش في البعث وإنكاره كل الإنكار حتى أتى أحد منهم بعظمٍ بالٍ قائلاً: أترى ربّك يا محمد يحيي هذا بعد ما رمّ وأجاب الله سبحانه[٩٧٧] عن ذلك بقوله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[٩٧٨] الآية وعقبه[٩٧٩] بقوله﴿إِنَّمَا أمرهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾[٩٨٠] الآية رتب عليه بالفاء قوله:

﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي**﴾[٩٨١] تأكيدا وتقريرا أي: إذا تقرر هذا، فسبحان من ﴿**بِيَدِهِ**﴾.[٩٨٢] واعلم أن اليد قد وردت بمعنى الملك، يقال: الملك الرجل هو ملك يمينه، وبمعنى الجارحة، وبمعنى الصّلة والبركة والنعمة والحفظ والنصر، وجاءت بمعنى القدرة كقوله تعالى ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾[٩٨٣]

---

٩٧٥ و + والإحسان.

٩٧٦ و + الشقات في.

٩٧٧ ى – عن ذلك.

٩٧٨ ى – ﴿ أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، سورة يس ٧٩/٣٦.

٩٧٩ و: عقبها.

٩٨٠ ى – شَيْئًا ؛ سورة يس ٨٢/٣٦.

٩٨١ سورة يس ٨٤/٣٦.

٩٨٢ سورة يس ٨٤/٣٦.

٩٨٣ سورة ص ٤٥/٣٨.

واختلفوا في يد الله، فقال بعضهم: المراد بها ذاته تعالى، وبعضهم جعلها بمعنى نعمته تعالى، وبعضهم أوله بملكه، وبعضهم بقدرته، وهو المناسب [٥٥/أ] ههنا أي: بقبضة قدرته ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٩٨٤] وهو فعلوت مِن الملك للمبالغة، كالجبروت والرغبوت، ولا يطلق إلاّ على الأمر العظيم.

وقيل: المراد عصمة كلّ شيء من "ملكت العجين" إذا أخذت[٩٨٥] عجنته، فقويته بذلك. ومنه الملك، لأنّه القدرة على المملوك، والملك إذ به قوام الأمور.[٩٨٦] وعند الصوفيين ملكوت الشيء حقيقة المجردة اللطيفة لغير المقيدة بقيود كثيفة شبحية جسمانية، ويقابله الملك بمعنى المادة الكثيفة المقيدة بالقيود أي: سبحان من بيده مبتدأ[٩٨٧] سلسلة الحقائق المجردة المتدرجة في النقصان وقبول الكثافة بسبب المرور على عوالم المترتبة المتنازلة ولانصباغ بأحكام تلك العوالم إلى ان ينتهي آخر السلسلة إلى عالم الأجسام الكثيفة التي في سلسلة نظام الوجود أسفل السافلين، كما قال *تعالى:* *﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾*.[٩٨٨] ثُمّ إنّه لا بدّ للإنسان، بلْ لكل شيء أنْ يرجع عوده إلى بدائه،

---

٩٨٤ سورة يس ٨٤/٣٦.

٩٨٥ و: أجذت.

٩٨٦ و – هذا.

٩٨٧ و،ى: مبدأ.

٩٨٨ سورة التين ٩٥/٤، ٥.

كما قال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ﴾[989] أي: لا إلى غيره ﴿تُرْجَعُونَ﴾[990] فتخصيص رجوع المشركين بالذكر مع ردوع الكل للدلالة على غضب شديد وتهديد عظيم لما قالوا: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[991] ولهذا أيضا أجاب النبي عليه السلام أُبَيّا عن هذا القول بقوله: "نعم ويبعثك ويدخلك النار".

فأنظر إلى هذه السّورة الكريمة كيف اشتمل على حسن الفاتحة والخاتمة حيث أكمل، فواتحها على أمهات مسائل أصول الدين من إثبات الصانع وصفاته والنبوة[992] والمعجزة وكيفية دعوة الأمة من استعمال الرفق وبيان خاتمة السعداء والأشقياء وإثبات القضاء والقدر، وإنْ كان[993] الكائنات كلها واقعة بقدرته وأحاط بها علمه. وإنّ أفعال العباد مخلوقة له تعالى، وبيان إمارات السّاعة وحشر الأجساد والحضور في الموقف والعرصات للجزاء والحساب حينئذ فـ ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.[994] ثُمّ أورد قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾[995] الآية كالفذلكة للمذكورات وجعل قوله: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ

---

[989] سورة يس ٣٦/٨٤.
[990] سورة يس ٣٦/٨٤.
[991] سورة يس ٣٦/٧٨.
[992] و: النبوية.
[993] ى – كان.
[994] سورة الشورى ٤٢/٧.
[995] سورة يس ٣٦/٨٣.

كُلِّ شَيْءٍ﴾[996] كالختم له لاشتماله على أسرار [٥٥/ب] عجيبة يتحير فيها الأفهام وتكل[997] من شرحه الألسن والأقلام.[998] فسبحان من دقت كلمته وجلّت حكمته.

هذا آخر ما أردنا[999] مِن الفوائد، ونظمه مِن الفرائد، مع توزع البال، وتشتّت الأحوال،[1000] وتفاقم الأحزان والمحسن[1001] وتكاثر[1002] الأفزاع والفتن. نسأل الله أنْ يتفضّل علينا بحسن الخاتمة، ويعصمنا عن صرصر البليّات العاتية.[1003]

تم على يد مؤلف الجاني محمد أمين الشرواني يوم الثلاثاء، السابع والعشرون من شهر صفر، ختم بالخير والظّفر سنة خمس عشرة وألف هجرية وأمد لازال محطا لرحال أهل الفضل من كل عالم وعابد، فلله الحمد من كل حامد، وللرسول فضل الصلوات ما بدت التواجد.

---

[996] سورة يس ٨٤/٣٦.

[997] و: يكل.

[998] ى – والأقلام.

[999] و، ى + جمعه.

[1000] و: الحال.

[1001] ى – والمحسن.

[1002] و: وتفاهم.

[1003] و + آمين بحرمة سيد المرسلين والحمد لله رب العالمين تم بعون الله الملك الرّبّاني على يد أضعف العباد يوسف ابن الحاج عَلِى عُفِى عنهما في آخر سنة ثمان عشرة وألف.

SONUÇ

Osmanlı tefsir mirasının günyüzüne çıkarılmasına az da olsa katkı sağlamak amacı ile yapmış olduğumuz bu tezde Fethullah b. Muhammed b. Sadruddin eş-Şirvânî'nin hayatı ve farklı kütüphanelerde bulunan eserleri hakkında bilgi verilmeye çalışılmış ve müellifin tefsire dair eserleri arasında önemli bir yere sahip olan "Tefsîru Sûret-i Yâsîn" adlı eserinin tahkiki yapılmıştır.

Muhammed Emin b. Sadruddin eş-Şirvânî'nin (v.1036-1626) Osmanlı Devleti'nin en geniş sınırlarına ulaştığı, fütuhat, siyâset, ilim irfân ve sanat itibariyle en parlak devrini yaşadığı, idârî, hukûkî, iktisâdî, ilmî ve ictimâî müesseseleriyle yüksek bir İslam medeniyetinin bütün vasıflarına hâiz, dünya üzerinde en etkili olduğu dönemler olarak kabul edilen Kanunî Sultan Süleyman (1520-1566), II. Selim (1566-1574), III. Murat (1574-1595), III. Mehmet (1595-1603), I. Ahmet (1603-1617), I.Mustafa (1617-1618), II. Osman (1618-1622) kısmen de IV. Murat (1623-1640) devrinde yaşamış, başta tefsir alanında olmak üzere hadis, fıkıh, kelam, tasavvuf, mantık, hendese, meani, edebiyat gibi değişik eserleri olan "velûd" bir şahsiyettir.

Şirvânî'nin ailesinden aldığı tasavvufî kültürün etkisi, ilmî şahsiyetinin oluşmasında önemli bir rol oynamıştır. O, daha ziyâde halkın istifâde edeceği eserler kaleme almış ve böylelikle toplumun dünya ve âhiret saadetine ulaşmasını hedeflemiştir. Müfessir, hidâyet rehberi olan Kur'ân'ın en doğru şekilde anlaşılıp yaşanmasına vesile olması yönüyle tefsir ilmine büyük önem vermiştir. Müellifin tefsir alanındaki eserleri genel bir değerlendirmeye tabi tutulduğunda, onun tam bir tefsir yazmadığı, daha ziyâde bireyin ve toplumun saadetini amaçlayan vaaz ve irşad yönü ağır basan, halkın en çok okuduğu sûreleri ya da halka pratik açıdan faydalı olacak âyetleri tefsir ettiği görülmektedir.

Şirvânî, tefsirinde kendinden önce dirâyet metoduyla yazılmış tefsirleri takip ederek onlardan büyük ölçüde istifâde etmistir. Eserde dirâyet tefsirinin özellikleri ön plana çıkmakta, kullandığı kaynaklar da genel itibariyle dirâyet ağırlıklı eserlerden oluşmaktadır. Eserde, Osmanlı'da yazılan tefsirlerin genel karakteristiğine uygun olarak dirayet metodunun yanında kısmen rivayet metodu da uygulanmıştır. Bununla birlikte eser muhtevası itibariyle değerlendirildiğinde okuyucuya toplumu irşâd

düşüncesiyle kaleme alındığı izlenimi vermektedir. Müellifin tasavvufi bir çevrede yetişmiş olması bunda etkili olmuştur.

Tefsirini yaptığı âyet-i kerîmeleri evvela kelime kelime tahlil eden Şirvânî, ele aldığı ıstılahları da gerekli gördüğünde kısaca izah etmiştir. Fıkhî ve kelâmî meselelerin izahıyla da zenginleşen eser, Osmanlı Devleti'nin en parlak ilim adamlarını yetiştirmeye başladığı bir dönemi tanıma noktasında da bizlere ışık tutmaktadır.

Tahkik çalışmamızda Süleymaniye Kütüphanesi, Şehid Ali Paşa Bölümü 314 numarada kayıtlı mecmuanın 23-77 varakları arasında yer alan nüsha esas alınmış, diğer iki nüsha ile karşılaştırması yapılmış ve gerektiğinde müellifin kaynak olarak kullandığı eserlere de müracaat etmek sûretiyle daha sağlıklı bir metin elde etmeye çalışılmıştır. Böylelikle metin daha çok istifade edilebilir hale getirilmiş, okuyucunun önüne kolay, anlaşılır bir eser sunulmuştur.

Yaptığımız bu çalışmayla, halen genel Tefsir tarihi içinde kopuk bir halka mesabesinde olan Osmanlı Tefsir tarihine bir nebze de olsa katkı sağlayabildiysek kendimizi bahtiyar hissedeceğiz. Ümidimiz, kütüphanelerde yazmalar halinde bulunan çok kıymetli eserlerin, araştırmacıların eliyle okuyucularıyla buluşmasıdır.

KAYNAKÇA (TÜRKÇE BÖLÜM)

Ahmed b. Hanbel, **el-Müsned**, Çağrı Yayınları, İstanbul, 1982.

Altıntaş, Ramazan, "Şirvânî Sadreddinzâde", **Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi**, İstanbul, 2010.

Atâî, Nev'i-Zâde, **Hadâ'iku'l-Hakâ'ik fi Tekmileti'ş-Şekâ'ik**, Matbaa-i Amire, İstanbul, 1268.

el-Bağdâdî, İsmail Paşa, **Hediyyetü'l-Ârifîn Esmâü'l-Müellifîn ve Âsarü'l-Musannifîn**, Maarif Vekâleti - Behiye Matbaası, İstanbul, 1951.

Bilmen, Ömer Nasûhî, **Tabakâtü'l-Müfessirîn**, Bilmen Yayınevi, İstanbul, 1974.

Brockelmann, Carl, **Supplementband,** Leiden, 1937-1942.

Burhanuddîn el-Bukâî, **Nazmu'd-Dürer fî Tenâsubi'l-Âyâti ve's-Süver**, Dâru'l kutubu'l ilmiye, (Tahkîk: Abdurrezzak Ğâlib el-Mehdî), Beyrut, 1995.

Bursalı Mehmet Tahir Efendi, **Osmanlı Müellifleri**, Meral Yayınevi, İstanbul, 1972.

Çelik, Ömer,"**Muhammed Emin b. Sadruddin eş-Şirvânî'nin Hayatı ve Fetih Sûresi Tefsîrinin Tahkiki**", (Yayınlanmamış Yüksek Lisans Tezi) Marmara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, İstanbul, 1992.

Çelik, Ömer," **Muhammed Emin b. Sadruddin eş-Şirvânî'nin Hayatı, İlmî Kişiliği ve Eserleri**", M.Ü. İlahiyat Fakültesi Dergisi, sayı: 13-15, İstanbul, 1995-1997.

Elmalılı, M. Hamdi Yazır, **Hak Dini Kur'ân Dili**, Eser Kitabevi, İstanbul, 1971.

Fığlalı, Ethem Ruhi, "**İbn Sadruddin eş-Şirvânî ve İtikadi Mezhepler Hakkında Türkçe Risalesi**", Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi, sayı XXIV, Ankara, 1981.

Hamevî, Şihâbuddîn Yâkût b. Abdullah, **Mu'cemu'l-Büldân**, Dar'us-Sadır, Beyrut, ts.

İbnu'l-Cevzî, Cemaleddin Ebu'l-Ferec Abdrurrahman b. Ali b. Muhammed, **Zâdu'l-Mesir fi İlmi't-Tefsîr**, (tahkik: Abdurrazzak el-Mehdi), Daru'l-Kitabu'l Arabiyye, Beyrut, h.1422.

Karahan, Abdülkadir, **Tercümanü'l-Umem** (İtikad Mezhepleri Üzerine Türkçe Bir Yazma), İstanbul Yüksek İslam Enstitüsü Yayınları, sayı 3, İstanbul, 1962.

Karaman, Hayrettin – Mustafa Çağrıcı, İ. Kafi Dönmez, Sadrettin Gümüş, **Kur'ân Yolu Türkçe Meal Ve Tefsir**, Diyanet İşleri Başkanlığı Yayınları Ankara, 2007.

Kâtip Çelebi, **Keşfu'z-Zunûn an Esâmi'l-Kütübi ve'l-Fünûn**, Tahran, 1967.

Kehhâle, Ömer Rıza, **Mucemu'l-Müelelifîn**, Dâru İhyâi Turâsi'l-Arabî, Dımaşk, 1957.

Muhibbi, Muhammed, **Hulâsatu'l-Eser fi Terâcimi A'yâni'l-Karni'l-Hâdi-Aşer**, Dâru Sâdır, Mısır, 1284.

Pakalın, Mehmed Zeki, **Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü**, Milli Eğitim Basımevi, İstanbul, 1983.

Süreyyâ, Mehmed, **Sicill-i Osmânî**, Tarih Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul, 1996.

Yaka, Eyüp, **Fethullah ibn Sadruddin eş-Şirvânî'nin İbadet Risalesi**, Tasavvuf, İlmi ve Akademik Araştırma Dergisi, Yıl: 3,sayı 8, , Ankara, 2002.

Zeydan, Corcî, **Târîhu Âdâbi'l-Luğati'l-Arabiyye**, Dâru'l-Mektebeti'l-Hayat, Beyrut, 1983.

Ziriklî, Hayruddîn b.Mahmûd, **el-A'lâm**, Dâru'l Kütübi'l-ilmiye, Kahire,1954.

المصادر (ARAPÇA BÖLÜM)

ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، حجة الوداع، تحقيق: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار، الرياض، ١٩٩٨.

(İbn Hazm Ebu Muhammed Ali b. Ahmed b. Said, **Huccetu'l-Vedâ**, (tahkik: Ebu Suheyb el-Kerami), Beytul-Efkâr, Riyâd, 1998.)

ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن، تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الكتاب العربي – بيروت، بدون تاريخ.

(İbn Asâkir Ebu'l-Kasım Ali b. Hasan, **Tebyînu Kizbi'l-Müfterî fîmâ nüsibe ilê el-İmâm Ebi'l-Hasan el-Eşâri**, Dâru'l-Kitâbi'l-Arabi, Beyrut, trhsz.)

ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.

(ibn Atiyye, Ebu Muhammed Abdülhak b. Galib el-Endelüsî (h.542), **el-Muharrerü'l-Vecîz fi Tefsîri'l-Kitâbi'l-Azîz,** (thk. Abdüsselam Abdüşşâfî Muhammed), Dâru'l Kütübü'l-İlmiyye, Beyrut h.1422-m.2001.)

ابن كثير القرشي أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(İbn Kesir el-Kuraşi Ebu'l- Fedâ İsmail b. Ömer, **Tefsîru'l-Kur'âni'l-Azim**, (tahkik: Sami b. Muhammed Selâme), Dâr-u Tayyibe lin-Neşri ve 't-Tevzîı, h.1420-m.1999.)

ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد، السنن (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بدون تاريخ.

(İbn Mâce Ebu Abdullah Muhammed b. Yezid (h.273), es-Sünen, (tahkik: Muhammed Fuad Abdulbaki), Dâru İhyâu'l-Kütübi'l-Arabî, trhsz.)

أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى الحلبي وشركاه، بدون تاريخ.

(Ebu'l-Bekâ Abdullah b el-Hüseyin b. Abdullah el-Ukberî, **et-Tibyân fî İ'rabi'l-Kur'ân**, (tahkik: Ali Muahammed el-Bicâvi), İsa el-Halebi ve Şürekâhu, trhsz)

أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

(Ebû Hayyân Muhammed b. Yûsuf el-Endelûsî (h.745), **el-Bahru'l-Muhît fî't-Tefsîr**, (Tahkik: Sıdkî Muhammed Cemîl), Dâru'l-Fikr, Beyrût, 1420.)

أَبُو طَاهِرٍ أَحْمَدَ بنِ الحَسَنِ بن خُدَادَ الكَرَجِيُّ (المتوفى: ٤٨٩هـ)، الاعتقاد القادري، تحقيق: عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ١٤٢٧ هـ.

(Ebu Tahir Ahmed b. Hasan b. Hudâd el-Keracî, **El-İtikâdü'l-Kâdirî**, (tahkik: Abdülaziz b. Muhammed Âli Abdullatîf), Mecelletü Câmiati Ummil-Kurâ li-Ulûmi'ş-Şerîa ve'l-Luğatu'l Arabiyye ve Âdebuhâ, h. 1427.)

أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.

(Ebu'l-Abbas, Şihâbeddin, Ahmed b. Yusuf el-Halebî (h.756), **ed-Durru'l-Masûn fi Ulûmi Kitâbi'l-Meknûn**, (tahkik: Dr. Ahmed Muhammed el-Harrâd), Dâru'l-Kalem, Şam, trhsz.)

أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

(Ebu'l-Feth Osman İbn Cinnî el-Mevsılî, **el-Muhteseb fi Tebyîn Vucûhi Şevâzi'l-Kıraât ve'l-Îzâhi anhâ**, Vezâratu'l-Evkâf, h.1420-m.1999.)

أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي، الدكتور حسن عباس زكي ،القاهرة، ١٤٢٣ هـ.

(Ebu'l- Abbas Ahmed b. Muhammed b. el-Mehdi b. Acîbe el-Hasenî, **el-Bahru'l-Medîd fî Tefsîri Kur'âni'l-Mec'id**, (tahkik: Ahmed Abdullah el-Kuraşi, Dr. Hasan Abbas Zeki), Kahire, h.1423.)

أبو عبد الله أحمد بن محمد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المسند، (المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

(eş-Şeybânî, Ebû Abdullah Ahmed b. Muhammed (h.241), **el-Müsned**, (tahkik: Şuayb el-Arnaût – Adil Mürşid ve Âharûn), Müessesetü'r-Risâle, h. 1421– m. 2001.)

أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(Ebu Muhammed Mahmud b. Ahmed b. Musa b. Ahmed b. Hüseyin el-Ğaytâbî Bedreddin el-Aynî (h.855), **Umdetu'l-Kâri Şerhu Sahihu'l-Buhâri**, Dâru İhyâi't-Türâs, Beyrût.)

أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (المتوفى: ٤٣٧هـ)، مشكل إعراب القرآن، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٥.

(Ebu Muhammed Mekkî b. Ebî Tâlib Hammûş b. Muhammed b. Muhtâr el-Kaysi el-Kayravânî (h.437), **Müşkilu İ'râbi'l-Kur'ân** (tahkik: Hatim Salih ed-Damin), Müessesetu'r-Risale, Beyrut 1405.)

أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني (المتوفى: ٤٣٧هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، تحقيق: مجموعة رسائل

جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(Ebu Muhammed Mekkî b. Ebî Tâlib Hammûş b. Muhammed b. Muhtâr el-Kaysi el-Kayravânî (h. 437), **el-Hidâye İlâ Bulûği'n-Nihâye f'i 'İlmi Maâni'l-Kur'ân ve Tefsîrihi ve Ahkâmuh-u**, Mecmûa buhûsi'l-Kitab ve's-Sünne, h.1429-m.2008.)

إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (المتوفى: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر، بيروت.

(İsmâîl Hakkı b. Mustafa el-İstanbulî (h. 1127), **Rûhu'l-Beyân**, Dâru'l-Fikr, Beyrût, trhsz.)

الآلوسي شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

(el-Âlûsî Şihâbuddin Mahmûd b. Abdullah (h.1270), **Rûhu'l-Me'ânî fî Tefsîri'l-Kur'âni'l-'Azîm**, (tahkik: Ali Abdulbârî 'Atiyye), Dâru'l-Kütübi'l-'İlmiyye, Beyrût, h. 1415.)

أيوب بن موسى الحسيني، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بدون تاريخ.

(Eyyub b. Musa el-Huseyni Ebu'l-Bekâ el-Hanefî (h1094), **el-Külliyat Mu'cem fi'l-Mustalahâti ve'l-Furûki'l-Lüğaviyye**, (tahkik: Adnan Derviş-Muhammed Mısri), trhsz.)

البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

(el-Buhârî Muhammed b. İsmâîl Ebû Abdullah el-Cu'fî, **Sahîh-i Buhârî** (el-Câmiu'l-Müsnedi's-Sahîh el-Muhtasar min Umûri Rasûlilâhi sav ve Sünenihi ve Eyyâmihi), (tahkik: Muhammed Züheyr b. Nâsıru'n-Nâsır), Dâru Tavki'n-Necât, h.1422.)

البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي (٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

(el-Beydâvî Nâsıruddîn Ebû Saîd Abdullah b. Ömer eş-Şîrâzî (h. 685), **Envâru't-Tenzîl ve Esrâru't-Te'vîl**, (tahkik: Muhammed Abdurrahman el-Mer'aşlî), Dâru İhyâi Turâsi'l-Arabî, Beyrût, et-Tab'atü'l-Ûlâ, h. 1418.)

البغدادي إسماعيل بن محمد أمين (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول، ١٩٥١م.

(Bağdâdî, İsmail b. Muhammed Emin (h.1399), **Hediyyetu'l-Arifîn Esmau'l-Müellifîn ve Âsâru'l-Musannifîn**, İstanbul, 1951.)

البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود (المتوفى : ٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، (المحقق : سليمان مسلم الحرش)، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

(el-Beğavî Ebû Muhammed el-Hüseyn b. Mes'ûd (h. 510), **Meâlimü't-Tenzîl fî Tefsîri'l-Kur'ân = Tefsîru'l Beğavî**, (tahkik: Süleyman Müslim el-Harş), Dâru Tayyibe linneşri ve et-tevzî'.)

تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م.

(Takıyuddin Ebu'l-Hasan Ali b. Abdi'l-Kâfi b. Ali b. Temâm b. Hâmid b. Yahya es-Subkî, **el-İbhâc fî Şerhi'l-Minhâc**, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrût, h. 1416- m. 1995.)

الثعلبي أحمد بن محمد (المتوفى: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(es-S'alebî Ahmed b. Muhammed (h. 427), **el-Keşfu ve'l-Beyân an Tefsîri'l-Kur'ân**, (tahkik: el-İmâm Ebî Muhammed İbn Âşûr, tedkik: Üstâz Nazîr es-S'adî), Dâru İhyâi't-Türâsi'l-Arabî, Beyrût – Lübnan, h. 1422 – m. 2002)

حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بدون تاريخ.

(Hasan b. Muhammed b. Mahmud el- Attâr eş-Şâfi'î (h.1250), **Hâşiyetü'l- Attâr ala Şerhi'l-Celâl el-Mahallî alâ Cemi'l-Cevâmi'**, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, trhsz.)

الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(el-Cevherî Ebû Nasr İsmâîl b. Hammâd, el-Fârâbî (h. 393), **es-Sıhah Tâcü'l-Luğa ve's-Sıhahu'l-Arabiyye**, (tahkik: Ahmed Abdülğafûr Attâr), Dâru'l-'İlm li'l-Melâyîn, Beyrût, et-Tab'atü'r-Râbiatü, h. 1407 – m. 1987.)

الدارمي أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد (المتوفى: ٢٥٥هـ)، مسند الدارمي، المعروف بـ (سنن الدارمي)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

(Ed-Dârimî Ebu Muhammed Abdullah b Abdurrahman b. El-Fadl b. Behrâm b. Abdussamed (h.255), **Müsnedü'd-Dârimî, el-Ma'rûf (Sünenü'd-Dârimi)**, (tahkik: Hüseyin Selim Esed ed-Dârâni, Dâru'l-Muğni, el-Memleketu'l-Arabiyyetu's-Suudiyye, h,1412-m.2000.)

الراغب الإصفهانى أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢ هـ.

(er-Râğıb el-İsfehânî Ebu'l-Kâsım el-Hüseyn b. Muhammed (h. 502), **el-Müfredât fi Ğaribi'l-Kur'ân**, (tahkik: Safvân Adnân ed-Dâvûdî), Daru'l-Kalem, ed-Daru'ş-Şamiyye, Beyrut, h. 1412.)

الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد ، (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م.

(Zerkeli Hayruddin b. Mahmud b. Muhammed (h.1396), **el-A'lâm**, Dâru'l-'İlm li'l-Melâyîn, m.2002.)

الزجاج أبو إسحاق (المتوفى: ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(ez-Zeccâc Ebu İshak (h.311), **Meâni'l-Kur'ân ve İ'râbuhu**, Alemu'l-Kütüb, Beyrut, h.1408-m.1988.)

الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمرو (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

(ez-Zemahşerî Ebu'l-Kâsım Muhammed b. Amr (h. 538), **el-Keşşâf an Hakâiki Ğavâmizi't-Tenzîl**, Dâru'l-Kitâbi'l-Arabî, et-Tab'atü's-Sâliseti, Beyrût, h. 1407.)

الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(et-Taberi Ebu Cafer Muhammed b. Cerir (h.310), **Camiu'l-Beyan Fi Te'vîli'l-Kur'ân**, (tahkik: Ahmed Muhammed Şakir), Müessesetü'r-Risâle, h.1420 – m.2000.)

العسقلاني أبو الفضل أحمد بن علي (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٦هـ.

(el-Askalânî Ebu'l-Fadl Ahmed b. Ali (h. 852), **Tezhîbu'z-Tehzîb**, Matbaatü Dâirati'l-Maârif en-Nizâmiyye, Hind, h.1426.

الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (المتوفى: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة – بيروت.

(el-Gazâli Ebu Hâmid Muhammed b. Muhammed (h.505), **İhyâu Ulûmuddin**, Daru'l-Ma'rife, Beyrut)

فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن(المتوفى: ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

Fahruddin er-Razi, Ebu Abdullah Muhammed b. Ömer b el-Hasan (h.606), **Mefâtîhu'l-Ğayb=et-Tefsîru'l- Kebir**, Dâru İhyâi't-Turâsi'l-Arabî, Beyrût, h. 1420.)

الفيروزآبادى أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة للطباعة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(el-Firuzâbâdi Ebu Tahir Muhammed b. Yakup (h.817), **el-Kmuûsu'l-Muhît**, (tahkik: mekteb tahkiku't-türas, Müessesetu'r-Risale, Beyrut, h.1426-m.2005.)

القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري شمس الدين (المتوفى : ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ.

(el-Kurtûbi Ebu Abdillah b. Ahmed el-Ensârî Şemseddin, **el-Câmiu li-Ahkâmi'l-Kur'ân**, (tahkik: Ahmet el-Berdûni), Dâru'l-Kütübü'l-Mısrıyye, Kahire, h.1384)

كحالة عمر بن رضا (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(Kehhâle Ömer b. Rıza (h.1408), **Mu'cemu'l-müellifin**, Dâru İhyâi't-Turâsi'l-Arabî, Beyrut, trhsz)

السكاكي يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(es-Sekkâkî Yusuf b. Ebi Bekr b. Muhammed b. Ali (h.626), **Miftâhu'l-Ulûm**, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, h.1407- m.1987.)

السمرقندي أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (المتوفى: ٣٧٣هـ)، بحر العلوم.

(es-Semerkandi Ebu'l-Leys Nasr b. Muhammed b. Ahmed b. İbrahim (h.373), **Bahru'l-Ulûm**.)

سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر (المتوفى: ١٨٠هـ)، الكتاب، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(Sîbeveyh Ömer b. Osman b. Ganber el-Hârisi Ebu Bişr (h.180), **el-Kitâb**, (tahkik: Abdusselam Muhammed Harun), Mektebetu'l-Hâncî, Kahire, h.1408-m.1988.)

السيوطي جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(es-Suyûtî Celâleddîn (h. 911), **el-İtkân fî Ulûmu'l-Kur'ân**, (tahkik: Muhammed Ebu'l-Fadl İbrahim), el-Heyetu'l-Mısrıyyetu'l -Âmme li'l-Kitâb, h. 1394 – m. 1974.)

السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ)، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

(es-Suyûtî Abdurrahman b. Ebî Bekr Celâleddîn (h. 911), **ed-Durru'l-Mensur**, Dâru'l-Fikr, Beyrut, trhsz.)

الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٤ هـ.

(eş-Şevkani Muhammed b Ali b. Muhammed b. Abdullah, **Fethu'l-Kadir**, Dâru İbn kesir, Beyrut, H.1414.)

محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.

(Muhammed et-Tahir b.Âşur et-Tûnisi, **et-Tahvîr ve't-Tenvîr**, ed-Dêru't-Tûnisiyye linneşr, Tunus, h.1984.)

محمد بن أحمد بن عبد الهادي (المتوفى : ٧٤٤هـ)، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، تحقيق سامي بن محمد بن جاد الله، أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.

(Muhammed b. Ahmed b. Abdi'lhâdî, **Tenkîhu't-Tahkîk fi Ehâdisi't-Ta'lîk**, (tahkik: Sami b. Muhammed b. Câdullah, Edvâus-Selef, Riyad, h.1428-m.2007)

محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي (المتوفى: ٦٨٦هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

(Muhammed Hasan Rıza el-İsterbâzi (h.686), **Şerhu Şâfiyeti İbnu'l-Hacib**, Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, h.1395-m.1975)

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر،(تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

(Müslim b. el-Haccâc Ebu'l-Hasen el-Kuşeyrî, en-Nîsâbûrî (h. 261), **el-Müsnedü's-Sahîhi'l-Muhtasar**, (tahkik: Muhammed Fuâd Abdülbâkî), Dâru İhyâi't-Türâsi'l-Arabî, Beyrut, trhsz.)

مقاتل بن سليمان أبو الحسن (المتوفى: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، (تحقيق: عبد الله محمود شحاته)، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٣ هـ.

(Mukâtil b. Süleyman Ebu'l-Hasen (h.105), **Tefsîri Mukâtil b. Süleyman**, (tahkik: Abdullah Mahmûd Şehhâte), Dâru İhyâi't-Türâs, Beyrût, h. 1423.)

المناوي زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ١٣٥٦.

(el Münâvî Zeynüddin Muhammed b. Tâcu'l-Ârifin b. Zeyne'l-Âbidin, **Feyzu'l-Kadir Şerhu'l-Câmiis'-Sağir**, el-Mektebetu't-Ticariyyeti'l-Kübra, Mısır, h.1356.)

النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (المتوفى: ٨٥٠هـ)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (المحقق: الشيخ زكريا عميرات)، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

(en-Nîsâbûrî Nizâmü'd-din el-Hasan b. Muhammed (h. 850), **Ğarâibü'l-Kur'ân ve Reğâibü'l-Furkân**, (tahkik: eş-Şeyh Zekeriyâ Umeyrât), el-Kütübü'l-İlmiyye, Beyrût, et-Tabatu'l-Ûlâ, h.1416.)

نعمة الله بن محمود النخجواني الشيخ علوان (المتوفى: ٩٢٠هـ)، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة، دار ركابي للنشر، مصر، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م.

(Ni'metullah b. Mahmud en-Nahcevâni, eş-Şeyh 'Ulvân (H.920), **el-Fevâtihu'l-İlâhiyye ve'l-Mefâtihu'l-Ğaybiyye el-Mûdıha**, Dâru Rukâbi li'-n-Neşri, Mısır, h.1419-m.1999.)

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(El-Vahidi Ebu'l-Hasan Ali b. Ahmed b. Muhammed en-Neysabûri (h.468), **el-Vasît fi Tefsîril-Kur'âni'l-Mecîd,** (tahkik: Adil Ahmed Abdulmevcûd ve Âharûn), Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, h.1415-m.1994.)

الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري (المتوفى: ٤٦٨هـ)، أسباب نزول القرآن، (تحقيق: كمال بسيوني زغلول)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ.

(El-Vahidi Ebu'l-Hasan Ali b. Ahmed b. Muhammed en-Neysabûri (h.468), **Esbâbu Nüzûli'l-Kur'ân**,(tahkik: Kemal Basyuni Zeğlul) Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, h.1411.)

الهلالي أبو شكيب محمد ، الهادية الهدية إلى الطائفة التجانية، بدون تاريخ.

(el-Hilâli, Muhammed Takiyyuddîn, **el-Hediyetü'l-Hâdiye ila et-Tâifeti't-Tİcâniye**, trhsz.)

يحيى بن سلام بن أبي ثعلبي القيرواني(المتوفى: ٢٠٠هـ)، تفسير يحيى بن سلام، (تحقيق: الدكتورة هند شلبي)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.

(Yahya b. Sellam b. Ebi Sa'lebe el-Kayravâni(H.200), **Tefsîru Yahya b. Sellam**, (tahkik: Doktor Hind Şelebî), Dâru'l-Kütübi'l-İlmiyye, Beyrût- Lübnan, h.1420-m.2004.